نبيل فياض

تاريخ الملائكة

في الديانات السومرية والزرادشتية واليهودية والمسيحية والاسلام

أبكالو

نبيل فيّاض

تاريخ الملائكة

أبكالو 2019

المحتوى

مقدّمة.....11
السبي البابلي.....13
ما هو التلمود תלמוד؟.....17
الإسلام واليهودية ـ الملائكة.....20
تاريخ الملائكة: بلاد الرافدين ما قبل الزرادشتيّة!.....25
سين أو شين.....34
من آلهة سومر إلى آلهة الساميين.....37
خاتمة.....39
بين المجوس وزرادشت.....45
المجوس؟.....47
الحقبة المبكرة من التاريخ الإيراني.....48
مجوس البارثيين والساسانيين.....59
العلاقة مع الزرادشتية.....61
زرادشت.....69
خريطة إيران الحالية.....71
إصلاح زرادشت.....72
حقبة الأرساسيد.....75
الحقبة الساسانية.....76
من الهند إلى ما بين النهرين.....79
الطبيعة والأهمية.....80
الإله الكوني.....81
تأثير "السبي".....87
نحميا وعزرا.....91
الزرادشتية: تاريخ، معتقدات، دين مقارن.....99

شياطين الهندوس والبوذيين: مدخل سريع.....103
تأثير الزرادشتية في الأديان الأخرى.....107
القضايا ذات الصلة هي التالية.....112
من قورش إلى إشعياء 117
الإسكاتولوجيا والقيامة 120
المسيا وملكوت الله 122
علم الملائكة وعلم الشياطين.....128
مخطوطات قمران 137
خاتمة 142
الزرادشتية واليهودية: موازيات أخرى!.....143
اليهودية والزرادشتية.....146
أهورا مزدا ويهوه.....150
إسكاتولوجي 157
دين الكنعانيين القدماء لم يعرف يوم ديفونة.....157
الأرواح المقدسة والمخلصون.....159
الطهارة.....163
شريعة الكهنة 165
تاريخ الملائكة: أخير!.....169
في الزرادشتية، اليهودية، المسيحية، والإسلام 171
1 ــ مجموعة الأميشا سبنتا 173
الأميشا سبنتا 173
"الشرارات الإلهيّة " العظيمة 174
في الاستعمال غير النوعي 178
المذهب 179
الأميشا سبنتا الأول: فوهو مانا ه.....181
الأميشا سبنتا الثاني: أشا فاهيشتا 182
المقارنة مع استعمالها في الفيدا.....184
النار كعنصر الحقيقة 185

في الأخرويّات واللاهوت الخلاصي.....186
العلاقة مع باقي الأميشا سبنتا.....188
في التقويم الزرادشتي 188
الأميشا سبنتا الثالث: خشاثرا فايريا.....189
الأميشا سبنتا الرابعة :أرمايتي 191
الأميشا سبنتا الخامسة: هاورفاتات 193
الأميشا سبنتا السادسة: أرمه ره تات 194
في الأفستا الأولى 195
2 – الفرافاشيات 197
3 – اليازاتات (الملائكة) 199
ملحق تعريفي.....203
التشابهات بين الزرادشتيّة واليهوديّة 214
الملائكة تعريفاً 218
هرميّات الملائكة التراتبيّة 221
مختصر إجمالي.....224
ملائكة اليهودية ـ نصوص شائكة 225
عودة إلى ملائكة التكوين.....229
ملائكة التاناخ: بانوراما أخيرة 235
مختصر تاريخ الملائكة: من البدايات إلى العصر الحديث! 245
الشياطين 251
العلاقة مع وجهات نظر الكون الثلاثي.....255
العلاقة بالآراء المتعلّقة بالكون الثلاثي.....256
العلاقة بالمنظورات الثنوية للكون.....258
العلاقة بمنظورات الكون الأحادي.....259
أنواع الملائكة والشياطين.....261
كائنات خيرة 261
الكائنات الخبيثة 267
كائنات متناقضة أو محايدة.....269

استنتاج 270
ملحق 1: سوشيانت 271
سوشيانت: الخلاص الزرادشتي! 272
سوشيانت: المعنى وتفاصيل أخرى 276
المسلمون والزرادشتيّة 279
الخلاص في اليهوديّة والمسيحيّة 280
المسيح المنتظر 280
اليهوديّة 281
المسيحيّة 283
المسيح والمهدي عند أهل السنّة والجماعة 287
المسيح في القرآن 288
الحديث النبوي 291
المهدي عند الشيعة الإثني عشريين 298
مهدي الشيعة الإثني عشريين 299
علامات المهدي بحسب الإثني عشريين 300
سيرة حياة المهدي بحسب الإثني عشريين 300
ميلاد الإمام 301
أم المهدي 304
إعلان إمامته 305
الغيبة الصغرى (874 – 941) 308
الغيبة الكبرى (بدأت عام 941 للميلاد؛ 329 هـ) 309
الانتظار 311
الظهور وإتمام العدل 311
علامات الظهور 313
العلامة الأولى الكبرى 313
العلامة الثانية الكبرى 315
خروج رجل من قم 315
العلامة الثالثة الكبرى 315

قوة عسكرية وإعلامية للإمام قبل الظهور.....315
العلامة الرابعة الكبرى.....315
العلامة الخامسة الكبرى 316
العلامة السادسة الكبرى.....316
السمات المذهبيّة للمهدي الإثني عشري 322
وسماته اليهوديّة.....326
ملحق 2: ميثرا 327
الديانة الميثرويّة.....330
المنابع 330
تاريخ ميثرا 333
الميثولوجيا واللاهوت في الميثرويّة.....338
المعابد الميثرويّة.....343
مباديء الإدخال في الميثرويّة وطقوسه 345
BIBLIOGRAPHY.....347

مقدّمة

ما من شكّ أنّ الملائكة لعبت ـ وما تزال تلعب وإن بهت حضورها ـ دوراً هامّاً للغاية في ديانات الشرق الأدنى الأربع، أي الزرادشتية، اليهودية، المسيحية، والإسلام، بدءاً بمهمتها التكوينية في نقل الوحي من الإله إلى النبي المزعوم، ودون انتهاء بمهامها في الإسكاتولوجيات المتنوعة، مروراً بعملها في مراقبة الأفراد وتدوين حسناتهم وسيئاتهم ومتابعة مصائر الأمم والشعوب. لكن هذا لا يعني أن "مفهوم" الملائكة أو علم الملائكة Angelology بدأ مع الديانة الفارسية الشهيرة، الزرادشتية؛ فالوثائق تقول إن شعوب بلاد ما بين النهرين عرفت "علم الملائكة" قبل الأديان الأربعة بزمن طويل. فهل أخذ الزرادشتيون هذا العلم عن البابليين وقبلهم السومريين، أم أنّ الإصلاح الزرادشتي، إن صح وجوده، نحت مفهوم الملائكة من خلال طموحه إلى نوع من التوحيد[1] ـ توحيد ما

(1) الزرادشتية، مثل بقية أديان الشرق الأدنى، باستثناء المسيحية التي تمتلك مفهوماً للإله غاية في التعقيد، ليست توحيدية على الإطلاق: إنها ديانة ثنوية. والثنوية، dualism، في الدين، عقيدة تقول إن العالم (أو الواقع) يتكون من مبدأين أساسيين، متعارضين، وغير قابلين للاختزال، يمثلان كل ما هو موجود.
==

ورائي يستجرّ توحيداً دنيوياً[1] ـ عبر سعيه إلى شطب كلّ الآلهة وترك إله أوحد، أهورا مزدا؟ لكن زرادشت، كما يُفترض، لم يستطع إلغاء وجود كلّ تلك الآلهة المتجذّرة في المجتمع الإيراني، فعمد من ثم إلى تحويلها إلى أشكال من آلهة أقل شأناً، أو كائنات إلهية تابعة لأهورا مزدا.

إذا كان أهورا مازدا إله الخير المطلق، فإنّ أهريمان هو إله الشرّ المطلق، وإن كان لا يُعتبر إلهاً عموماً. لكن قوته، شخصيته، سلوكه – كلّ ذلك يوحي أنه إله فعليّاً. مثل ذلك الثنوية اليهودية -الإسلامية الشهيرة، يهوه (أو الله) والشيطان. فرغم أنه لا ينظر الإكليروس اليهودي -الإسلامي التقليدي إلى الشيطان على أن إله، إلا أن كل صفاته، إمكانياته على تحدي الله، قدراته على جذب المؤمنين بيهوه (أو الله) إلى مجال سيطرته بما يعاكس إرادة الخالق الأوحد كما يُفترض – كلّ ذلك يوحي بأنه كائن إلهي يحيط الغموض بإمكانيته مقابل إمكانيات من يُقال إنه خالقه.

(1) يمكن الإشارة هنا إلى الإصلاح المحمدي الديني الذي تجلّى في شطب نبي الإسلام لكلّ آلهة جزيرة العرب وتركه لإله واحد هو "الله"، في محاولة لتوحيد القبائل المختلفة. لكن هذا الإصلاح الديني الذي قام به محمد لم ينجح في شطب الفروقات بين القبائل، فتفجّر الوضع بعد رحيله وظلّ الصراع القبائلي قائماً على قدم وساق حتى مراحل متأخرة.

السبي البابلي

مما لا شكّ فيه أن السبي البابلي لليهود كان له أبلغ الأثر على تكوين ما دعي لاحقاً بالديانة اليهودية، إن بالتأثيرات البابلية أو بالتأثيرات الزرادشتية بعدها. فما هي كرونولوجيا هذا السبي، وما هي أهم أحداثه؟

العام	الحدث
609 ق.م.	موت يوشيا
609 – 598 ق.م.	حكم يواكين (خلف يوآحاز، الذي حلّ محل يوشيا لكنه لم يحكم غير ثلاثة أشهر). بدء إعطاء الجزية لنبوخذ نصّر عام 605 ق.م. أول جلي، الذي يُزعم أنه تضمّن دانيال.
597\598	حكم يواكين (حكم 3 أشهر). حصار أورشليم وسقوطها. الجلي الثاني. 16 آذار 597 ق.م.
597 ق.م.	جُعل صدقيا ملكاً على منطقة اليهودية على يد نبوخذ نصّر الثاني البابلي.
594 ق.م.	مؤامرة ضد البابليين.
588 ق.م.	حصار أورشليم وسقوطها. دمار هيكل سليمان. الجلي الثالث، تموز\آب 587.
583 ق.م.	اغتيال جدليا المعيّن من قبل بابل حاكماً لإقليم اليهودية. هروب يهود عديدين إلى مصر وجلي رابع محتمل إلى بابل.

العام	الحدث
562 ق.م.	إطلاق سراح يواكين بعد 37 سنة في سجن بابلي. لكنه بقي في بابل.
539 ق.م.	الفرس يغزون بابل.
538 ق.م.	مرسوم قورش يسمح لليهود بالعودة لأورشليم.
520 – 515 ق.م.	عودة كثير من اليهود إلى منطقة اليهودية تحت إمرة زربابل ويوشيا الكاهن الأكبر. وضع أسس الهيكل الثاني.

وهكذا، يمكن تقسيم السبي البابلي لليهود إلى مرحلتين بارزتين: المرحلة الأولى التي تمتد بين العامين 609 – 538 ق.م. وكان اليهود يخضعون فيها بالكامل للحكم البابلي، مع كل ما يعنيه ذلك من أثر ديني -ثقافي من الحاكم على المحكوم؛ أما المرحلة الثانية التي تبدأ بالعام 539 ق.م. وتنتهي بالعام 515 ق.م.، حيث نجد الفرس يغزون بابل ليصدر بعد غزوهم بنحو من عام، 538 ق.م.، المرسوم الأهم في تاريخ اليهودية في زمنها التكويني الذي يحمل اسم الحاكم الفارسي قورش، والذي سُمح بموجبه لليهود بالعودة إلى أورشليم. لكن الملاحظ أنه لم يعد كل اليهود من بابل؛ وهكذا، فإن مدناً أو أكاديميات بابلية[1] شهيرة للغاية، مثل نهارديا، بومباديتا، وسورا،

(1) غاؤون إسحاق (مار راب إسحاق غاؤون מר רב יצחק גאון أو مار اسحق מר יצחק من فيروز شابور מן פרוז שבור) أو فقط راب اسحق רב יצחק، كان ==

استطاعت عبر علمائها اليهود تقديم أحد أضخم وربما أهم ما أنتجت العقلية اليهودية على مرّ العصور: *التلمود البابلي*.

ما هو التلمود תַּלְמוּד؟

التلمود، كمصطلح، يعني في المرتبة الأولى، "دراسة" أو "تعليماً". وكلمة "ولمدو לְלַמְּדָהּ" في سفر التثنية 31:19، تعني "وعلّمه". (في

غاؤوناً في الأكاديمية اليشيفاه في فيروز شابور في بابل، خلال الفترة الإنتقالية بين الحكماء اليهود السافورا والغيئونيم. وكانت الأكاديمية في فيروز لأجيال عديدة ثالث يشيفا أكاديمية في بابل، بالموازاة مع أكاديميتي يشيفاه بومباديتا وسورا. كان مار إسحق آخر عميداً لتلك الأكاديمية اليشيفا. وخلال ذلك الزمن غزا المسلمون بابل، حيث توجه مار إسحق، مع 90 ألف يهودي، للقاء على بن أبى طالب، بكل مودة. إسحق هذا كان معاصراً لبستاناي Sherira II's "Letter," ed. Neubauer, ib. p. 35; Abraham ibn Daud, ib. p. 62؛ من الممكن جداً هنا، بالتالى، أن علياً كرّم رئيس الجالوت بشكل أو بآخر باعتباره الممثل الرسمى لليهود. إن منصب رئيس الجالوت ، بكل ما له من واجبات وميزات، كما ظهر عبر قرون من الحكم العربى، يمكن اعتباره بدأ مع بستاناي.

ما الذي تعنيه هذه الفقرة المستلّة من كتابنا حول شمعون بار يوحاي؟ إنها تعنى أنه حتى غزو العرب للعراق وفارس بعد معركة القادسية، 636 م.، كان الوجود اليهودي في بابل، تحت حكم الفرس، أكبر مما يمكن لنا تخيله. لقد صدر مرسوم قورش عام 538 ق.م.، وانكسر الفرس في بابل عام 636 م.، هذا يعنى أن اليهود كانوا يعملون في أكاديمياتهم البابلية حيث أُنتج التلمود البابلى ألف سنة تقريباً. وحين يخرج 90 ألف رجل وربما فارس للقاء على بن أبى طالب حين زيارته لمنطقة واحدة في بابل، فهذا يمكنه أن يعطينا صورة أكثر وضوحاً عن حجم الوجود اليهودي هناك.

العربية لدينا المصطلح "تلميذ"). لكن للفظة "تلمود" معانٍ أخرى عديدة، منها: الآراء والتعاليم التي يأخذها التلاميذ عن أسلافهم لشرحها والتعليق عليها. أما أوسع معنى لمصطلح "تلمود" فهو ذلك الذي يشير إلى مجموعات التعاليم التي تضمنتها شروحات المعلمين ونقاشاتهم لمشناه يهودا ها ـ ناسي[1].

"المشناه" هي أوّل نص مدوّن في اليهودية الربانية، حرّرها يهودا ها -ناسي عند نهاية القرن الثاني للميلاد. وتقسم المشناه إلى ستة أقسام:

1 – الشرائع الزراعية والأدعية (11 رسالة)؛

2 – الفصول المعينة (12 رسالة)؛

3 – الشرائع المتعلّقة بالنساء (سبع رسائل)؛

4 – الشرائع المدنية أو الأضرار (عشرة رسائل)؛

5 – مسائل المقدسات (11 رسالة)؛

6 – شرائع الطهارة الطقسية (12 رسالة). وهذا كلّه بحسب *التلمود البابلي*.

---

(1) يهودا هاناسي יהודה הנשיא أو يهودا الأمير أو ربينو هاقوديش רבנו הקדוש: حاخام من القرن الثاني ومحرّر المشناه. كان يهودا هاناسي قائداً بارزاً للطائفة اليهودية أثناء الاحتلال الروماني لمنطقة اليهودية. ووفقاً للتلمود، فإن يهودا هاناسي ينحدر من سلالة الملك داود، ومن هنا جاء اللقب أمير. لكن اللقب أمير كان يُطلق أيضاً على رؤساء السنهدرين. وبحسب المراجع اليهودية، مات يهودا هاناسي يوم 15 كيسليف، 3978 وفق التقويم العبري (1 كانون الثاني، 217 تقريباً).

تفسّر المشناه الشرائع التوراتية، التي لم تعد تناسب الظروف الاجتماعية المتبدلة، وقت تدوين المشناه ذاتها. كذلك فهي تحتوي تفاسير لمقاطع أخرى من الكتاب المقدّس.

الغمارا هي شرح للمشناه. والغمارا مع المشناه تؤلّفان *التلمود*. يُقال إن *التلمود* دوّن بين القرنين الرابع قبل الميلاد والخامس الميلادي. *والتلمود* يحتوي وصايا أخلاقية وأوامر تشريعية؛ يناقش مذاهب وأعرافاً دينية؛ يقدّم أساطير تفسّر نشوء الكون؛ ويزخر بمعلومات غير علمية في مسائل الطب، الفلك والجغرافيا.

التلمود نوعان: البابلي والأورشليمي ـ بحسب مكان نشأة كل واحد منهما. والأول هو الأهم والأوسع مواداً والأكثر اعتماداً.

يتميز *التلمود البابلي* عن *التلمود الأورشليمي* في أنه يغطي بشرحه كل نصوص المشناه (الأقسام أو الكتب الستة)، أما *التلمود الأورشليمي* فإنه ظل ناقصاً لا يشرح إلا بعض المشناه (الثلاثة كتب الأولى)، كما أن أحبار اليهود في بابل كانوا يحظون بثقة أرسخ من ناحية التبحر في الفكر اليهودي مما كان يحظى به أحبار اليهود في فلسطين. لذلك فإن *التلمود البابلي* يتمتع بتقدير أعظم في أعين اليهود من *التلمود الأورشليمي*، وهو المتداول بين اليهود.

ما الذي يمكن استخلاصه من كلّ ما سبق؟ *التلمود البابلي* أهم وأكثر صدقية من *التلمود الأورشليمي*، مع أن الأخير، كما يشير اسمه، كُتب في فلسطين، التي تحمل في ثناياها شكل قداسة معروف يهودياً. لكن هذا يعني أيضاً، خاصة مع تلك الأكاديميات اليهودية

المزدهرة في بابل -العراق، أن الوجود اليهودي في أرض الرافدين ظلّ قوياً ومعتبراً وذا صدقية حتى بعد عودة اليهود المفترضة من بابل إلى فلسطين على أيدي الفرس. ومن ثم، ظل التفاعل بين اليهود وسادتهم من البابليين ومن بعدهم الفرس قائماً على قدم وساق حتى مراحل متأخرة.

إن كلّ من يقرأ النص المتعلّق بدبورة في سفر القضاة (4 وما بعد) من التوراة، والذي يعتبر واحداً من أقدم نصوص العهد القديم، يكتشف دون عناء كثير أن اليهود، في إحدى مراحلهم القديمة، لم يكونوا أكثر من قبائل بدوية تعيش على هامش حضارة الآخرين؛ وأن كلّ ما نجده اليوم من تعقيد مذهبي وتفاصيل دينية في اليهودية جاء بمعظمه من الشعوب المتحضّرة المحيطة بهم. وقد يكون السبي البابلي أوّل نقلة لليهودية باتجاه الخروج من عنق الزجاجة البدوية.

الإسلام واليهودية ـ الملائكة:

وكان الإسلام آخر الأديان الثنوية ذات المظهر التوحيدي. كانت ولادة الإسلام في تلك المنطقة المعزولة البعيدة أيضاً عن مراكز الحضارة في الشرق، بلاد الرافدين ومصر. لكن التأثير البابلي ـ الزرادشتي غمر الإسلام من خلال من لجأ إلى تلك المنطقة الصحراوية النائية هرباً من اضطهاد ديني و/أو سياسي. وكما نتلمس من القرآن ذاته، فقد أحاط ببيئة محمد الكتابية كلّ من اليهود، النصارى، والمسيحيون، وغيرهم. وفي كتابنا، *قصص أهل الكتاب في القرآن*، أثبتنا بالأدلة القاطعة كم التأثير اليهودي على كتاب المسلمين المقدّس؛ ويكفي أن نشير هنا إلى

أن نحواً من 214 نصّاً من *التلمود البابلي* موجودون بشكل شبه حرفي في القرآن. وفي كتابنا *الإسلام المبكّر في أربعة نصوص يهودية*، أشرنا بنوع من التفصيل الموثّق إلى التعداد الكبير للسكان اليهود في العراق زمن عمر بن الخطاب، خاصة في الفصل الذي يحمل عنوان، حاخام في بلاط الخليفة، والذي يحكي عن الجالوت اليهودي الشهير، بستاناي.

لم يأخذ الإسلام عن الأغاداه اليهودية ـ النصرانية قصص الأنبياء وميثولوجيات خلق العالم والطوفان وغيرهما، بل أخذ عنها أيضاً علم الملائكة اليهودي ـ المسيحي ـ النصراني دون إدخال تعديلات هامة عليه. وإذا كان اليهود أعادوا تسمية الملاك الزرادشتي سبنتا مانيو، على سبيل المثال، بما يناسب لغتهم، جبرائيل גַּבְרִיאֵל[1]، فإن الإسلام لم يكلّف نفسه إعادة تسمية جبرائيل بما يتناسب مع دوره باللغة العربية؛ والشيء ذاته ينطبق على ميكائيل מִיכָאֵל[2]، الذي نُقل كما هو إلى العربية فافتقد من ثم أية دلالة ميثولوجية من تلك التي قصدها من وضعه نقلاً عمن سبقوهم[3].

---

(1) وتعني حرفياً الرب قوتي. ملاك مقرّب أو أحد رؤساء الملائكة عمل في الأديان الإبراهيمية كرسول لله..

(2) ويعني اسمه حرفياً، من مثل الله؟

(3) أحد تفسيراتنا لسبب عدم ترجمة محمد لأسماء الملائكة الذين أخذهم عن اليهود، كما فعل اليهود حين ترجموا أسماء الملائكة حين أخذوها عن الفرس بما يناسب وظائف هؤلاء الملائكة، هو إما أن محمداً كان بحاجة ماسّة لعلم الملائكة اليهودي في رسالته النبوية فأدخله بسرعة دون أن يهتم لمسألة اللغة، أو أن محمداً وبيئته كانا ==

إذا كان جبرائيل وميكائيل مذكورين في القرآن، في سورة البقرة: " من كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ" (98)؛ فإن عزرائيل (بالعبرية: עזראל) [من يعين الله] مَلَك الموت في كل من اليهودية والإسلام وكذلك في التقاليد السيخية، لم يرد ذكره في القرآن، بل عوضاً عن ذلك تمت الإشارة إليه بـ"ملك الموت". لكن عزرائيل، كتسمية، منتشر تماماً في البيئة الشعبية الإسلامية بوصفه الملاك المسئول عن أخذ أنفس الميتين. بالمقابل، فإن إسرافيل، الذي لم يذكره القرآن أيضاً، هو الملاك المقرّب[1] الذي يعهد إليه النفخ بالصور[2] وفق الميثولوجيا الإسلامية: إحدى الأساطير التي أخذها الإسلام عن اليهودية، مع تغيير طفيف هو أن الملاك المقرّب الذي يعهد إليه بذلك في الديانة الأقدم هو ميكائيل.

من الندرة النادرة لصنف الملائكة في الإسلام مقارنة بالزرادشتية أو اليهودية، يمكننا القول إن محمداً إما لم يشأ التوسع في علم الملائكة لأنه

يعرفان عبر الاحتكاك مع الكتابيين معاني تلك الأسماء باللغة العبرية -الآرامية الشقيقة للعربية، فلم يجد حاجة لترجمتها.

(1) يبدو أن الاسم "ملاك مقرّب" هو الترجمة الإسلامية لمصطلح "رئيس ملائكة" اليهودي.

(2) في الحديث النبوي الصور هو قرن أحد الحيوانات، الذي يقوم الملاك بالنفخ فيه؛ وهو ما يذكّرنا مباشرة بالشوفار שופר، قرن الحيوان – كبش عموماً – الذي يستخدم في اليهودية للإعلان عن مواعيد الصلاة. نلاحظ هنا أيضاً التقارب اللفظي بين شوفار، صفّر من التصفير، وصور.

بعيد للغاية عن ثقافة مجتمعه المادية – رغم تجذّره في الأوساط الكتابية المعاصرة له – أو لأنه لم يعرف إلا بهؤلاء الذين تم ذكرهم إن في القرآن أو في الحديث. وهنا يبدو جبرائيل، الذي كانت مهمته، كرسول لله، نقل رسالة الإله إلى رسوله ومن ثم شعبه، هو الأهم إسلامياً لأنه المرجع الأوحد حول ألوهية الرسالة المحمدية. ـ هذا غير تدخلاته الكثيرة، هنا وهناك، التي تذكرنا بأدوار إلياهو النبي في التلمود البابلي[1].

(1) أنظر ترجمتي لرسالة عبدة الأوثان من *التلمود البابلي*.

تاريخ الملائكة:

بلاد الرافدين ما قبل الزرادشتيّة!

إن مفهوم الرسول الإلهي أو الملاك الذي يحمل أوامر الإله العلي من السماء إلى الأرض ويفسّر إرادته للبشر، يعود إلى فترة مبكرة في تاريخ الدين البابلي. ويمكننا تتبع أثر ذلك إلى الوقت الذي بدأ فيه السومريون يتأثرون بالفكر السامي. يلعب السوكال sukkal أو الملاك المرسل دوراً بارزاً في اللاهوت البابلي البدئي، لكن من الملاحظ أنه عادة ما يكون ابن الإله هو الذي ينقل رسائله إلى الآلهة والبشر.

لقد أثبت هومل[1]، بمساعدة نقوش معينية Minæan، أن الدين السامي البدئي كان يتألف من عبادة القمر والنجم، الإله -القمر أثتار Athtar وإله ملاك يقف على رأس البانثيون، في حين كانت الإلهة - الشمس معلقة بهما كابنة أو زوجة. وهكذا كان البعل الأعلى للساميين الغربيين في الأصل هو الإله -القمر، وهي حقيقة تلقي الضوء على عبادته في أور وحران، التي تقع خارج بابل الأصلية، وكانت مأهولة بعدد كبير من السكان الساميين الغربيين.

(1) cf. Hommel, *Aufsätze und Abhandlungen*, ii. pp. 149-165.

أساري أو مروداخ Merodach هو في آن ابن ومرسل (ملاك) لإيا Ea ؛ ونين -إيب[1] Nin-ip هو ابن ومرسل (ملاك) لإن -ليل En-lil. وتشير الوقائع إلى عصر عندما كانت الروحانية السومرية قد أعقبتها بالفعل عبادة البعل ؛ فأصبح الروح أو الشبح Ghost[2] إلهًا في شكل إنسان، الذي أنجب أولاداً واحتاج إلى مبعوث أو مرسل. لكن تاريخ نبو[3] يوضح أيضًا أحد التوجيهات التي أظهر فيها الكفاح إلى الإيمان التوحيدي نفسه. لم يكن فقط أن إلهاً منفصلاً، هو نوسكو Nusku، دُمج مع نبو. فإن نبو نفسه، في حين لا يزال يحتفظ بشخصيته المستقلة، غرق في وضعية التبعية التي يمكن مقارنتها مع وضعية رئيس الملائكة في

(1) تمت مماثلة نين ـ إيب مع بعل إسي، شمس الجنوب، وهكذا فهو شمس الظهيرة وليس شمس الصباح، كما تم التأكيد على ذلك مؤخراً. كان نين -إيب، كما أشرنا غير مرة، رسول أو ملاك إن -ليل En-lil نيبور Nippur، ومن ثم تمت المماثلة لاحقاً بين بعل -سي Bil-'si وقمر نيبور، وكان الأنسب لملاك رب عالم الأرواح أن يكون القمر أكثر من كونه الشمس. وعندما اغتصب بعل مروداخ بابل وظائف إن -ليل، أصبح بعل -إيسي بشكل طبيعي نبو، سطوة القوة، الذي أقام مع مردواخ العلاقة ذاتها التي كانت لنين -إيب مع إن - ليل.

(2) تعتقد اليهودية تقليدياً أن الأشباح تتواجد بالفعل لكن لا يجب استشارتها. شبح بالعبرية هو أوفوت، لكن ثمة لفظ عبري آخر أكثر عمقاً وأهمية لشبح هو ديبّوك. والديبّوك هو نفس جوّالة والتي يمكنها تملّك شخص بشري أو التعلّق به في محاولة إما للعيش بالتفويض عبر هذا الشخص، أو السيطرة على جسده وأفعاله للقيام بإرادة الشبح.

(3) نبو أو نابيوم (نابو Nabu)، النبي، كان المفسّر لإرادة مروداخ، تماماً مثلما كان مروداخ المفسّر لإرادة إيا.

العقيدة المسيحية. صار الدين البابلي يميّز بين عدد محدود من الآلهة العظيمة والآلهة الأدنى منها الذين شكلوا حاشيتهم. وفي الواقع، تمّ الذهاب إلى ما هو أبعد من هذا. فمنذ أيام حمورابي فصاعداً، كان هناك ميل لتمجيد بعل ـ مروداخ على حساب جميع الآلهة أخوته. وفي الواقع، كان تطور الدين البابلي يسير جنباً إلى جنب مع تطوّر الدولة البابلية. كان تأسيس الإمبراطورية قد جعل البابليين معتادين على مفهوم السيادة العليا، التي كان يوجد تحتها ملوك أتباع، وتحتهم مرة أخرى طبقة نبلاء تابعة. وهكذا، تم تمديد المفهوم ذاته إلى التسلسل الهرمي السماوي. وهنا، أيضاً، نجد بعل مروداخ وقد جلس في الأعلى، في حين انحنت آلهة أخرى احتراماً أمامه، مع احتفاظ تلك الآلهة، في الواقع، بحقوقها المتوارثة عن الأسلاف وبالسلطة داخل حدود الحَرَم الخاص بكلّ إله، وإن كان ذلك لا يعني عدم الاعتراف بسيادة بعل واحد حاكم. لم يعد على شرف إن -ليل En-lil أن سكان بابل كانوا يدعون شعب بعل، بل لأنهم كانوا جميعاً على حد سواء أبناء وعبّاد لبعل بابل.

وهكذا فإن التاريخ هو الذي منع صعود شيء مثل التوحيد في بابل. كان من المستحيل الانفصال عن الماضي، والماضي كان مرتبطا بتعددية الآلهة وبوجود مدن عظيمة، لكل منها إلهها وحَرَمها المنفصل، والآلهة الصغرى التي تدور حولها. هذا يعني، أنّ العالم السماوي كما فهمه البابليون، لم يكن غير انعكاس لواقعهم الأرضي. في الوقت ذاته، كان الاتجاه إلى التوحيد موجوداً؛ ولو استطاع

البابليون أن يشطبوا الماضي، فربما انتهوا إلى عبادة إله واحد. وبحدّ ذاتها، فإن لغة النقوش المتأخرة تتطابق أحيانًا تقريبًا مع لغة الموحدين. فعندما يصلي نبوخذراصر لمرودخ، يمكن لكلماته في الغالب أن تكون الكلمات الخاصة بأحد اليهود بالمعنى التوحيدي؛ وحتى في وقتٍ مبكرٍ، يُدعى الإله -القمر من قبل عِباده الأسمى في الأرض والسماء، القدير والمبدع لكل الأشياء؛ في حين أن قصيدة دينية قديمة تشير، على نحو مجرّد، إلى الإله الذي يمنح الربوبية للبشر. وكما أشار السير هـ. رولينسون منذ فترة طويلة، فإن آنو، الذي أصبح اسمه المكتوب مرادفاً للإله، يتم تماثله مع آلهة كونية مختلفة، ذكوراً وإناثاً، في قائمة لاهوتية؛ كما نشر د. بنشز لوحاً تصمّم فيه الآلهة الرئيسة في مجمع الآلهة البابلي ضمن أشكال من مرودخ. فيصبح إن -ليل[1] مرودخ السيادة، نبو مرودخ الممتلكات الدنيوية، نرغال مرودخ الحرب. وهذه ليست غير طريقة أخرى للتعبير عن هذا التماثل بين إله بابل مع آلهة أخرى من الدين البابلي، والتي وضعته على رأس التسلسل الهرمي الإلهي، وعبر حرمان تلك الآلهة من صفاتها وقواها، كان ثمة ميل إلى اختزالها إلى مجرد مرسلين -ملائكة للإله العلي.

---

(1)) رفض إن ـ ليل En-lil وحده هذه التسوية. ونتيجة لنجاة زيوسودرا أو زن ـ سودو الذي من شورياك وعائلته صب جام غضبه وعائلته على الإيجيجي Igigi أو الملائكة، الذين هم، كأرواح، كانوا تحت سيطرته أكثر من الآلهة. زيوسودرا أو زن ـ سودو الذي من شورياك ورد اسمه في قائمة ملوك سومر باعتباره آخر ملك سومري قبل الطوفان الكبير. ونتيجة لذلك يُذكر على أنه بطل ميثة الخلق السومرية.

كان هناك العديد من الوسائل للتخلص من الأرواح المتعددة للعقيدة القديمة التي لم تكن قد تحولت إلى آلهة سامية. وربما تم تجميعها معاً في حشد غير متمايز من أرواح السماء والأرض، والتي شكّلت حشد -ملائكة آلهة النور، أو تحولت إلى شياطين في بطانة تيامات[1]، تشخيص الفوضى. يمكن وضع بعضهم على حدة بوصفهم خدم الآلهة الخاصين ورسلهم، وهم يحتلون مكانة رؤساء الملائكة في التسلسل الهرمي السماوي. لكن كان من الممكن أيضًا الاستعانة بعلم الكون وتحويلهم إلى قوى عنصرية تمثل مراحل متتالية في تاريخ الخلق. وهكذا استمروا في الانتماء إلى تلك الفترة غير الكاملة من الدين البابلي عندما لم تكن الآلهة السامية قد ظهرت إلى الوجود، وفي الوقت نفسه يمكن مماثلتهم مع تلك الآلهة في ممارسة قوتها الإبداعية. وفي لغة الميتافيزيق اللاحق ، أصبحوا بالتالي الأفكار المتعاقبة للمبدع الذين يدركون أنفسهم في أعمال الخلق المتعاقبة، مثل أيونات الغنوصية التي تنبثق الواحدة من الأخرى على أنها أفكار الله المحققة. لا شك أن الفكرة متأخرة، وهي تنتمي إلى عصر الفلسفة. لكنها تمثل محاولة للتصدي للصعوبات التي يمثلها التعارض بين العناصر السومرية والسامية في الديانة البابلية، والتوفيق بينها. إنها تفترض مسبقاً تماثل إله مع آخر، وهو ما جعل ممكناً العبادة الشمسية والمفهوم السامي للإلهة، وهكذا فنحن نمشي خطوة أخرى باتجاه التوحيد. الكائنات الإلهية أو الخارقة للطبيعة للعقيدة السومرية ليست متماثلة فقط مع إله معين، بل يتم

(1) أنظر ترجمتنا لملحمة الخلق البابلية في كتابنا، *قصص أهل الكتب في الإسلام*.

تحويلها إلى مبادئ الذكور والإناث التي تجبره حكومته في العالم أو فعل الخلق على إظهارها في شكل ملموس.

وهكذا، تشبه المخلوقات الثانوية لعالم البابليين الإلهي، في شكلها الخارجي، آلهة مصر. لكن في حين كان في مصر أنّ الآلهة نفسها التي ضمت رأس الوحش إلى جسد الإنسان، في بابل كانت فقط الأرواح شبه الإلهية ووحوش العقيدة الشعبية نصف وحش ونصف إنسان. لم يتمكّن اللاهوت الرسمي من إبعادها تماماً؛ فأصبحوا بالتالي الخدم وأتباع الآلهة، أو جيش تيامات الرهيب، تشخيص الفوضى والخطيئة. ومثل الشياطين وملائكة الاعتقاد في العصور الوسطى، تم إدراجهم بين ثلاثمئة روح من السماء وستمئة من أرواح الأرض. شكلت أرواح السماء الجنود التي كان الإله العلي بالنسبة لها هو الرب، والذين قادهم في المعركة ضد خصومه؛ وكان نبو المرسل والملازم لمرداخ وجنود السماء والأرض، لذلك كان من واجبه أن يحشد ويدرب. كان الأنونا ــ كي Anunna-ki أو أرواح الأرض يسكنون في عالم الجحيم Hades[1]، حيث جلسوا على عرش من الذهب يحرسون مياه الحياة، في حين أن الإيجيجي Igigi أو الملائكة كانوا يسكنون بدلاً من ذلك مع الآلهة في سماء النور والنعيم. بناء على

(1) هاديز، باليونانية Ἅιδης، إله العالم السفلي اليوناني القديم. في الميثولوجيا اليونانية، اعتبر هاديز الابن الأكبر لكرونوس وريا. لقد هزم هاديز وأخواه زيوس وبوزيدون جيل آلهة والدهم، وأعلنوا السيطرة على الكون.أخذ هاديز العالم السفلي، زيوس السماء، وبوزيدون البحر، مع الأرض الجافة.

ما سبق، يدعو آشور ـ نصر ـ بعل Assur-nazir-pal نين ـ إيب Nin-ip بطل الإيجيجي Igigi، وفي موضع آخر يستلم الرب لقب رئيس الملائكة. لكن فقط في العصور اللاحقة من الدين البابلي، عندما أصبح المفهوم السامي للألوهية هو السائد، تم التمييز بين أرواح الأرض والهواء. كان فقط بالنسبة للساميين أن هناك أرواح العالم السفلي وملائكة السماء؛ فلم يعرف السومريون فرقًا بينهم؛ فقد كانوا جميعهم على حد سواء أنونات Anunnas[1] أو الأرواح، ونين ـ إيب كان الرب، ليس فقط للإيجيجي Igigi وحدهم، بل أيضاً للأنونا ـ كي. في الواقع، كان هو ذاته واحداً منهم؛ فقد كان مرسلاً ومرافقاً لإن ـ ليل En-lil، ولم يُنسَ أبدًا أنه، مثل أنونا -كي، كان من نسل إي ـ كور Ê-kur، وهو الاسم الذي كان يطلق في الوقت ذاته على معبد في نيبور وعلى عالم هادس ما تحت الأرضي. وفي بعض الأحيان يقال أنه قد نشأ من إي ـ سارًا Ê-sarra، بيت الجنود (الأرواح). لقد كان شبحًا في نيبور قبل أن يتحول إلى إله سامي.

---

(1)) لا أستطيع أن أقترح أي أصل لغوي etymology أفضل لكلمة أنونا Anunna من ذلك المقترح في محاضراتي Hibbert، p. 182. إنه مدعوم من قبل K 2100, col. Iv، حيث أن اللفظ السومري لأنونا -كي يُقدّم على أنه إنو ـ كي Enu-kki، ربّ الأرض. وعندما تميزت أرواح الأرض عن الملائكة أو أرواح الهواء، أصبحت صيغة الأنونا ـ كي Anunna-ki أو الأنونا ـ جي Anunna-ge، روح الأرض أو العالم الأدنى، أكثر اعتيادية من صيغة أنونا Anunna البسيطة. تُطلق التسمية الأخيرة هذه على الإيجيجي على Igigi أو الملائكة في K 4629, *Rev*، وعلى الأنونا -كي في *WAI.* iv. 1, 2, col. iv. 3.

لكن فقط في الزقورة، وجمعها الزقّورات (الأهرام الرافدية) في بلاد ما بين النهرين، وهي عبارة عن معابد مدرجة كانت تبنى في سوريا والعراق ثم إيران، كان أن الآلهة تنزل من السماء في مظهر روحي. وفي المصليات والمزارات التي جعلت على أقدامها وكانت عديدة؛ نجد الكثير سواء من الكهنة أو العلمانيين، يقومون بالخدمة والعبادة، حتى تظل تقاليد الدين القديمة سليمة. ما يهمنا هنا هو أنه على الجانب الشرقي من البرج كان حَرَم نبو، الملاك أو مترجم إرادة مروداخ، مع تسميت، زوجته. وإلى الشمال كانت هناك مصليات لإيا Ea ونوسكو Nusku، وإلى الجنوب مصليات لأنو Anu وإن ـ ليل En-lil، بينما كان الغرب معبد مروداخ Merodach نفسه. وكان يتألف من مبنى مزدوج، مع فناء بين الجناحين. وفي مناطق الحرم الداخلية كان البابو، أو قدس الأقداس، مع صورته الذهبية للإله. هنا أيضاً كانت الطاولة الذهبية للخبز والباراكو parakku، أو كرسي ـ الرحمة، الذي أعطي في بعض الأحيان اسمه إلى المزار كله.

سين أو شين[1]:

كان سين أو سوين أو نانّا إله القمر في أديان بلاد ما بين النهرين الأكادية، الآشورية، والبابلية. نانّا هو إله سومري، وهو ابن إنليل

(1) شين اسم أو جزء من اسم لبلدات سورية اشتهرت بارتفاعها عن سطح البحر: شين، برشين، بشنين؛ وشين هنا تعني القمر، كما جرت العادة في اللغات السامية، من استبدال حرف السين بحرف الشين أو العكس.

وننليل، والذي تمت مماثلته مع الإله السامي سين. كان المركزان الأساسيان لعبادة نانّا\سين متواجدين في أور في جنوب بلاد ما بين النهرين وفي حرّان شمالها. كذلك فقد عُبد إله القمر تحت الاسم ذاته في جنوب جزيرة العرب.

كان سين أيضاً حامي الرعاة. وخلال حقبة فرض أور لسطوتها على وادي الفرات (بين 2600 – 2400 ق.م. تقريباً)، نُظر إلى سين باعتباره الإله العلي. ومن ثم راح يُسمّى "والد الآلهة"، "رأس الآلهة"، أو "خالق كلّ شيء".

كان سين يُدعى أيضاً "الذي لا يمكن قراءة قلبه"، وقد ذُكر أنه "كان باستطاعته أن يرى أبعد من كلّ الآلهة". ويُقال إنه عند كلّ قمر جديد، كان يجمع سين الآلهة ليقدّم لها توقعاته حول المستقبل.

حول تاريخ سين، يقال إنه ربما أنه كان أحد الأرواح في مجال سيطرة إن ـ ليلEn-lil ، مجرد شبح يمكن للساحر أن يجذبه. لكن مع ارتقائه إلى رتبة إله، أصبحت صفاته وشخصيته ثابتة ومحددة. وفي التراتيل القديمة الموجهة إليه نجده أكثر بكثير من مجرد إله للقمر. فقد خاطبه عابدوه في أور، كما أشرنا، حيث كان يعرف باسم نانّار، بأنه ليس فقط رب القمر، بل أيضا أمير الآلهة، ابن الآلهة والبشر. ومن ثم نقرأ في ترتيلة قديمة ثنائية اللغة:

أيها الآب، المعاناة الطويلة وملئ المغفرة، يده تحافظ على حياة البشرية جمعاء،

يـا رب، ألوهتـك، مثـل السـماء البعيـدة ، تمـلأ البحـر الواسع بالخوف...

البكر، القاهر، الذي قلبه كبير، وليس هناك من يدركه...

يا رب، واضـع شـرائع السـماء والأرض، الـذي لا يمكـن [مخالفة] أمره...

في السماء، من هو الأسمى؟ أنت وحدك، أنت العلي!

علـى الأرض ، مـن هـو الأسمـى؟ أنـت وحـدك، أنـت العلي!

أمـا بالنسـبة إليـك ، فـإن مشـيئتك معروفـة في السـماء، والملائكة تحني وجوهها.

أمـا بالنسبة إليـك، فإن مشيئتك معروفـة علـى الأرض، والأرواح أدناه تقبّل الأرض.

من الترتيلة السابقة الموجهة إلى سين (أو شين)، إله القمـر، يتضـح لنا ببساطة عمق الإيمان الشعبي في تلـك الآونـة في بـلاد مـا بـين النهـرين بالملائكة. لكن يتضح بجلاء لنا أيضاً أن ثمة تقسيماً لـلأرواح أو الأشـباح ghosts إلى نوعين: نـوع يسـمونه الملائكـة يتواجـد في السـماء ويبـدو أن طابعه ينمّ عن الخير؛ ونوع آخر هو الأرواح التي تتواجـد علـى الأرض أو تحتها.

الترتيلة السابقة لإله ـ القمر في أور، تبدو شبه توحيدية في نبرتهـا. فبالنسبة إلى الكاتب، سين وحده هو الأسمـى في السـماء والأرض. إنـه

خالق الكون ؛ وهو أيضاً الأبّ الكوني، المعاناة الطويلة وملئ المغفرة، الذي تحفظ يده حياة البشرية جمعاء. أكثر من ذلك، فهو القدير، الذي قلبه كبير، وليس هناك من يفهمه. بين الآلهة الأخرى ليس له منافس ؛ وهو يتسبب في نمو الأعشاب ؛ وأن الأبقار والماشية تنجب ؛ وهو الذي أقام القانون والعدالة بين البشر. ملائكة السماء وأرواح الأرض على حد سواء تجله ؛ وما من إلهة حتى التي تظهر إلى جانبه. وكانت هذه الترتيلة تشكّل جزءًا من طقوس المعبد الكبير في أور.

من آلهة سومر إلى آلهة الساميين

كان البعل السامي رباً أو ملكاً بشكل بشري ومشاعر بشرية. وهكذا كان يتناقض بشكل ملحوظ مع الشبح ghost أو الروح عند السومريين ؛ وكما رأينا، فإن الفجوة بين الطرفين كانت عميقة وواسعة للغاية إلى درجة أنه كان يصعب على مذهب التطور تجسيرها. فبالنسبة للسومريين، كان إنسان العالم الخارجي يعيش مع الأرواح والشياطين ؛ أما بالنسبة للساميين، فقد كان عالمًا بشريًا، حيث أن الإنسان قد صُنع على صورة الآلهة. إن انتصار آلهة النور والنظام على وحوش الفوضى لم يرمز إلى ولادة الخلق الحالي فحسب، بل كذلك إلى النصر اللاهوتي للساميين على السومريين. ومع النصر جاء مفهوم الإله الذي صُمم على غرار الدولة المنظمة. وبما أن رأس الدولة البشري كان هو نفسه إلهًا، حيث كان يفوض سلطته من وقت لآخر لرسله البشريين، كذلك أيضاً ففي عالم الآلهة، كان هناك بعل أو رب عظيم

محاط بحاشيته ووزرائه. في المقام الأول بين هؤلاء كان السوكالّ أو الملائكة، المرسلين الذين نقلوا إرادة سيدهم إلى سكان الأرض. البعض منهم كانوا أكثر من رسل؛ فقد كانوا مفسّرين ومندوبين للإله الأعلى، مثل نبو نبي بورسيبا. وبوصفهم وكلاء، أصبحوا طبيعياً الأبناء بالتبني لبعل؛ أساري إريدو Eridu يأخذ أولاً مكان إيا Ea، الذي كان في الأصل مزدوجاً، ثم في شخص مرورداخ Merodach يصبح ابنه؛ كما تم تحويل نين -نيب الذي من نيبور، رسول إن - ليل En-lil، أخيراً إلى ابنه، فكان يخاطب الناس، مثل حورس في مصر، باعتباره منتقماً لوالده.

كان لوح الحكمة متميزاً عن ألواح القدر، التي منحت مالكها معرفة مسبقة بمسار الأحداث المستقبلي. وحيازة الأخيرة انطوت على سيادة عليا على الآلهة والبشر؛ وجلبت معها الحق في أن يكون مالكها بعل بالمعنى الكامل للكلمة. ومثل الأوريم والتوميم، تم تعليقها على الصدر؛ وفي ملحمة الخلق، توصف تيامات بأنها تسلمهم إلى زوجها الشيطان كينغو، الذي أصبح بذلك الحاكم المعترف به للعالم. لكن انتصار مرورداخ Merodach على قوى الظلام نقل إليه الألواح السرانية؛ ومن الآن فصاعداً كان هو بعل الذي صنع، والذي وجّه، الكون الموجود؛ ومرة في كل عام، في عيد السنة الجديدة، كان يجلس على عرش الرحمة في معبده في بابل، معلناً مصائر السنة القادمة. لكن قبل أن تعطى الألواح إلى بعل - مروداخ بابل، كانت تخص بعل نيبور

ودور ـ إيلي الأقدم سناً ؛ وقد أخبرتنا إحدى الأساطير كيف أن زو، وهو طائر ـ عاصفة، سرقها بينما كان بعل يسكب الماء النقي ويصعد عرشه في بداية اليوم. سوف آخذ، كما قال، ألواح القدر الإلهية، حتى أنا ؛ سوف أشرع قوانين جميع الآلهة ؛ سوف أقيم عرشي وأصدر أوامري، وأوجه جميع ملائكة (السماء). طار اللص مع غنيمته إلى جبل صابو ؛ ودعا آنو عبثاً الآلهة أخوته لملاحقته وسحقه، واستعادة الكنز المسروق. كان فقط أخيراً أنه من خلال مساعدة حيلة تم العثور على عش زو، والألواح استعيدت إلى بعل.

خاتمة:

إن تخيّل وجود رسل سماويين له جذوره أيضاً في الديانات التي تعتبر أنها تؤمن بتعددية الآلهة في منطقة الشرق الأدنى. فكلّ إله من بلاد ما بين النهرين أو من الحثيين كان له رسوله الخاضع (سوكّالّو) وحامل عرشه (غوزالو) ؛ وهذا ما نراه في القصيدة الميثولوجيّة الكنعانيّة من رأس شمرا -أوغاريت (القرن الرابع عشر قبل الميلاد) حيث أن أعضاء بارزين في البانثيون مثل إيل، الربّ المطلق ؛ بعل، المتحكّم بالأمطار ؛ وموت، الروح المختصّة بالموت والجفاف، يتواصل كل مع الآخر عبر رسل إلهيين (ملكم)، أمّا الإلهة عنات فلها لخدمتها رسول وتابع. وكما سنلاحظ عند مناقشة موضوع الملائكة عند العبرانيين، فإن فعل لاك الذي اشتق منه المفهوم "ملاك"، أوغاريتي الأصل، ويعني" يرسل."

تظهر لنا التوراة أن الاعتقاد بالملائكة، أو بالأرواح الوسيطة بين الله والإنسان، هو سمة مميزة للشعب السامي. لذلك من المهم تتبع أثر هذا الاعتقاد عند ساميي بابل. فبحسب سايس[1]، تجلّى تطعيم ديانة بابل السومريّة الأقدم بالاعتقادات الساميّة عبر إدخال الملائكة أو السوكالين في ثيوصوفيتهم. وهكذا يمكن أن نجد موازياً ملفتاً "للملائكة الربّ" في نبو، "رسول مروداخ" (*النص السابق*، 355). وهو يسمّى أيضاً "الملاك" أو مفسّر الإرادة لمروداخ (*النص السابق*، 456)، ويقبل سايس بعبارة هومّل التي تفيد أنه يمكن إظهار من النقوش المعنيّة أن الديانة الساميّة البدئيّة كانت تتكوّن من عبادة القمر والنجم، إله - القمر أثتار وإله "ملاك" يقفان على رأس البانثيون (*النص السابق*، 315). أما الموازي للصراع التوراتي بين مملكتي الخير والشر فيمكن أن نجده في " أرواح السماء " أو الإيجيجي – الذين كانوا يشكلون" الجيش" الذي كان نينيب بطله (والذي تلقّى منه اللقب "رئيس الملائكة") و"أرواح الأرض "، أو أنّونا -كي، الذين كانوا يقيمون في هاديس (مثوى الأموات أو الجحيم، *المرجع السابق*، 355). كانت السوكالّي البابليّة تتماثل مع الرسل الروحانيين في التوراة؛ فهم كانوا يعلنون إرادة ربّهم وينفّذون وصاياه (*السابق*، 361). ويظهر بعضهم وكأنه كان أكثر من رسول؛ إنهم مفسّرو الإله الأعلى ونوّابه؛ وهكذا فنبو هو "نبيّ بورسيبا". بل إنّ هذه الملائكة تدعى "أبناء" الإله الذين هم

(1) *The Religions of Ancient Egypt and Babylonia*، Gifford Lectures، 1901.

نوّابه ؛ وهكذا فنينيب، الذي كان مرة رسول إن - ليل، يُحوّل إلى ابنه تماماً كما يصبح مرودخ ابن إيا (*السابق*، 496). إن الروايات التوراتية المتعلّقة بالخليقة والطوفان لا تتعارض كثيراً مع الروايات البابليّة، والشيء ذاته يمكن قوله عن الهرميّات الخلطيّة للآلهة والملائكة التي كشف عنها البحث الحديث. وربما لدينا مبرراتنا حين نرى في كافّة أشكال الدين آثاراً من عبادة طبيعة بدئيّة نجحت في كثير من الأحيان في الحطّ من قيمة الوحي الأكثر نقاء، والتي أدّت، حيث ذلك الوحي البدئي لم يتلقّ مقادير متعاقبة كما بين العبرانيين، إلى محصول فائض من الأعشاب الضارّة.

وهكذا فالكتاب المقدّس العبرانيّ يقرّ حتماً بفكرة أنّ ملائكة بعينهم يتولّون مهمّات في مناطق خاصّة (قارن: دانيال 10). ويستمرّ هذا الاعتقاد في صيغة متدنيّة عبر فكرة الجنّ عند العرب، والذين يتردّدون على بقع محددة. قد يكون مرجع هذا ما نجده في سفر التكوين 32: 2 - 3 "ومضى يعقوب في طريقه فواجهته ملائكة الله، فقال يعقوب لمّا رآهم: هذا معسكر الله. وسمّى ذلك المكان محنائيم"، أي، الكامبان. والكشوفات الحديثة في المنطقة العربيّة حول البتراء تظهر أنّ مناطق بعينها معلّمة بالحجارة تعتبر مناطق لإقامة الملائكة، والقبائل البدويّة تتردّد إليها من أجل الصلاة وتقديم القرابين. هذه الأماكن تحمل اسماً يتطابق بدقّة مع "محنائيم" في نص التكوين آنف الذكر[1] ؛ ويمكن

(1) Lagrange ،*Religions Semitques* ،184 ،and Robertson Smith ، *Religion of the Semitesm*445 ، .

أن نصنف رؤيا يعقوب في بيت إيل (تك 28 : 12) (ننصح هنا بقراءة السفر الأبوكريفي "سلّم يعقوب"[1]، الذي يبدو أنه ترك أثراً أيضاً على

(1) سلّم يعقوب סולם יעקב هو الرابط بين الأرض والسماء الذي يحلم به الأب الكتابي يعقوب في هروبه من أخيه عيسو، كما يصف لنا ذلك سفر الخروج. كانت أهمية الحلم محط جدل، لكن معظم التفاسير تتفق في إنه ماثل بين يعقوب وبين التزامات وإرث الشعب الإثني المختار من الله، كما يُفهم في الأديان الإبراهيمية.
سلم يعقوب نص منحول حول العهد القديم. ويعتبر عادة جزءاً من الأدب الأبوكاليبتي. تم حفظ النص فقط باللغة السلافية، ومن الواضح أنه ترجمة عن النسخة اليونانية المفقودة الآن. لا يعتبر جزءاً من الكتاب المقدس لا من قبل اليهود ولا من قبل أي مجموعة مسيحية.
تاريخ وأصل سلم يعقوب غير مؤكدين. ومن الممكن أن نشير إلى ثلاث مراحل على الأقل: عمل أصلي مكتوب في سياق يهودي بعد دمار الهيكل، الاستخدام هو في العالم البيزنطي المبكر والترجمة النهائية بالسلافية حول القرن التاسع. في المراحل المسيحية تم إقحام جمل في النص لتشكيل جدل معادٍ لليهود، بإضافة بعض التعليقات هنا وهناك ، مع حذف بعض الجمل وإضافة استنتاج مسيحي: الفصل السابع له أصل مسيحي. إن توقع مسيا محارب متأخر وأوجه التشابه مع 2 باروخ وأبوكاليبس إبراهيم وغيرهما من الأدب الأبوكاليبتي توحي بأن النص الأصلي قد يكون قد كتب في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي.
يستند سلم يعقوب على حلم يعقوب في الكتاب المقدس في سفر التكوين 28: 11 -19: تك 28 -11: واتَّفَقَ أنَّه وَجَدَ مَكانًا باتَ فيه، لأنَّ الشَّمسَ قد غابَت. فأخَذَ بَعضَ حِجارةِ المَكان. فوَضَعَه تَحتَ رَأسِه ونامَ في ذلك المَكان. تك 28 -12: وحَلَمَ حُلْمًا، فإذا سُلَّمٌ مُنتَصِبٌ على الأرض ورأسُه يُلامِسُ السَّماء، وإذا مَلائِكَةُ اللهِ صاعِدونَ نازِلونَ علَيه، تك 28 -13: وإذا الرَّبُّ واقِفٌ بِالقُربِ مِن يَعقوب، فقال: "أنا الرَّبُّ إلهُ إبراهيمَ أبيكَ وإلهُ إسحق. إنَّ الأرضَ الَّتي أنتَ نائِمٌ عليها، لَكَ أُعطيها ولنَسلِكَ، تك 28 -14: ويَكونُ نَسلُكَ كَتُرابِ الأرض،
==

فَتَنتَشِرُ غَرْبًا وشَرْقًا وشَمالاً وجَنوبًا، وَيَتبارَكُ بِكَ وبِنَسلِكَ جَميعُ عَشائِرِ الأَرض. تك 28 -15: وها أنا مَعكَ، أَحفَظُكَ حَيثُما اتَّجهتَ، وسأَرُدُّكَ إلى هذه الأَرض، فإِنِّي لا أَترُكُكَ حتَّى أَعمَلَ بِما كَلَّمتُكَ به". تك 28 -16: فَاستَيقَظَ يَعقوبُ مِن نَومِه وقال: "حَقًّا، إِنَّ الرَّبَّ في هذا المَكان، وأَنا لم أَعلَم". تك 28 -17: فخافَ وقال: "ما أَرهَبَ هذا المكان! ما هذا إِلاَّ بَيتُ الله! هذا بابُ السَّماء!" تك 28 -18: ثُمَّ بَكَّرَ يَعقوبُ في الصَّباح وأَخَذَ الحَجَرَ الَّذي وَضَعَه تَحتَ رأسِه وأَقامَه نُصبًا وصبَّ على رأسِ الحَجَرِ زَيتًا. تك 28 -19: وسمَّى ذلك المكانَ بَيتَ إيل، وكانَ أسمُ المَدينةِ أَوَّلاً لُوز.

الفصل الأول من سلّم هو امتداد لسرد سفر التكوين. ينام يعقوب ويرى سلمًا أقيم على الأرض. يصل الجزء العلوي منه إلى السماء مع ملائكة تصعد وتنزل عليه. تتم إضافة العديد من التفاصيل إلى السرد في سفر التكوين: يتكون السلم من اثني عشر درجة، وفي كل درجة هناك نوعان من الأشكال البشرية ، واحد على كل جانب من هذه الدرجة، مرئية حتى الصدر. على قمة السلم كان هناك "وجه" ، "كما لو انه لإنسان" ، محفور في النار وأكثر ترويعا من التماثيل الأخرى الأربعة والعشرين. والرب على هذا "الوجه" المركزي. يتضمن الفصل الثاني صلاة ليعقوب ، يختصرها بالتأكيد الناسخ السلافي ، يسأل فيها الرب عن معنى الرؤية. تصف الصلاة الله جالسًا على عرش النار، محاطًا بالشيروبيم والسيرافيم ، وهي رؤية تعد مثالًا كلاسيكيًا للمركبة. في الفصل الثالث يرسل الرب إلى يعقوب الملاك ساريل لشرح الرؤية ، والنص يقول إن يعقوب لم يكن خائفاً من رؤية الملاك. في الفصل الرابع ، يغير ساريل اسم يعقوب إلى إسرائيل ليصبح "مشابهاً لاسمه". بالعبرية ، سيكون هناك اختلاف في حرف واحد بين إسرائيل وساريل. يتضمن الفصل الخامس شرحًا للسلم المقدم من ساريل: السلم هو السن ، والدرجات الاثنتي عشرة هي الفترات التي يقسم فيها العمر (التقسيم ذاته الذي نجده عند باروخ الثاني). الأربعة والعشرون تمثال نصف البشري هم ملوك العالم الذين يعارضون إسرائيل، بعضهم أكثر، وبعضهم أقل. قد تكون الدرجة الرابعة هي صورة المؤلف لزمنه ؛ في الأزمنة الأخيرة ، سيقيم الرب سليل عيسو (على الأرجح الإمبراطورية الرومانية) الذي
==

أسطورة الإسراء والمعراج الإسلاميّة) على أنها من الشريحة ذاتها. يكفينا القول إنه ليس كل شيء في الكتاب المقدّس يعتبر وحياً، وأنّ هدف الكتابات الموحاة ليس فقط إخبار حقائق جديدة بل أيضاً توضيح حقائق معيّنة علمّتنا إياها الطبيعة. الرأي المعاصر، الذي يميل إلى اعتبار أن كلّ شيء بابليّ هو بدئي بالمطلق والذي يبدو أنه يعتقد ـ لأن النقّاد يضفون على الكتابات التوراتيّة تاريخاً أكثر حداثة - أنّ الدين المتضمّن فيها لا بدّ أن يكون أيضاً من تاريخ أكثر حداثة، وهذا ما قاله هاغ[1]. وهاغ يرى في الملائكة التوراتيين آلهة بدئيّة تدنّى مستواها إلى أشباه آلهة مع تقدّم انتصار التوحيد.

نحن لا نمتلك دليلاً مباشراً حول العلاقة بين المفهوم "ملائكة" في ديانات بلاد ما بين النهرين، والمفهوم ذاته في الزرادشتيّة. مع ذلك، يبدو أن الزرادشتيّة كانت ديانة توفيقية إلى حد كبير؛ فقد أخذت الكثير من بلاد شرق إيران، أي الحضارة الهندية - الهندوسيّة العظيمة،

سيحمي إسرائيل في البداية، وسيخدم في وقت لاحق الأوثان ويستخدم العنف. سيتم سبي شعب يعقوب، فيستعبدون ويجرحون. الفصل السادس يدور حول مجيء المسيح الذي يوصف بأنه ملك يحارب أعداء إسرائيل ويفوز عليهم؛ عندها يتوب الأعداء والرب يقبل توسلهم. في الأحداث التالية، يتصرف الرب بشكل مباشر: ستكون هناك زلازل يتبعها الانتصار النهائي ضد لوياتان وفالكون. يسير بنو يعقوب في عدل الرب، وتدمر مملكتا أدوم وموآب. الفصل السابع هو بالتأكيد إضافة مسيحية؛ فهو يتنبأ بتجسد المخلص.

(1) *Theologie Biblique*, 339.

ومن حضارة بلاد ما بين النهرين، إضافة إلى عناصر محليّة فارسيّة ضاع كثير منها وبقي القليل في النصوص الزرادشتيّة المقدّسة[1].

بين المجوس وزرادشت:

لا يمكن أن ننكر أننا خضعنا، في زمن البدايات البحثيّة، بنوع من التقديس الأعمى، لتأثير فرويد؛ بل كنّا نتعب من أجل الحصول على مقالاته التي لم تنشر في كتب مفردة أو مقالاته في بداياته. ومن ذلك، آراؤه المتعلّقة بنشأة الديانة اليهوديّة[2] والميول الجنسيّة. لكن، والحقّ يقال، كانت صدمتنا الأولى الحقيقية في نظريات فرويد اليهوديّة مع كتاب، "*التوراة جاءت من جزيرة العرب*"، للباحث اللبناني كمال صليبي[3]. هذا الكتاب، نسف فيما نسفه، أية علاقة بين مصر الحاليّة

---

(1) "لم يكن حتى ظهور السلطة الكلدانية (البابلية الجديدة) في القرن السادس قبل الميلاد، وما تلاها من سيادة للفرس بعد قورش، أن البابليين كشفوا عن اهتمامات فكرية بارزة، ووضع علماء الفلك النبلاء عندهم الأسس التي تقوم عليها العلوم الفلكية التي بنى عليها الإغريق في وقت لاحق. James Henry Breasted, *The Dawn of Consciousness*, p. 345

(2) *Der Mann Moses und die monotheistische Religion*, *الإنسان موسى والديانة التوحيدية*، كتاب لزيغموند فرويد (1856 – 1939)، مؤسس علم التحليل النفسي. في هذا الكتاب يوحي فرويد أن موسى ولد فعلياً كمصري، وليس أنه تربّى كمصري فحسب.

(3) كمال سليمان الصليبي (1929 – 2011)، مؤرخ لبناني وأستاذ للتاريخ في جامعة بيروت الأمريكية والمدير المؤسس (الرئيس الفخري لاحقاً) للمعهد الملكي لدراسات ما بين الأديان في عمّان. يُعتبر كتابه *التوراة جاءت من جزيرة العرب*، *The Bible Came from Arabia*

- London, Jonathan Cape, 1985، أشهر أعماله، والذي حظي بسمعة عالمية.

وإسرائيل القديمة. ثم جاء كتاب إسرائيل فنكلستاين، *"التوراة منبوشة"*[1]، ليؤكّد لنا صحة توقّعاتنا بأنّ الإطار التاريخيّ - الجغرافيّ للتوراة، كما يقدّم اليوم في الدوائر الأكاديميّة اللاهوتية اليهوديّة - المسيحيّة التقليديّة، لا علاقة له بالواقع.

لكنّ التوراة "لم" تأت من جزيرة العرب. فالعرب لم يكونوا أكثر من عصائب بدو رحّل لا علاقة لها بالحضارة. وهذه الميثولوجيا المعقّدة التي تصادفنا في التاناخ لا يمكن أن تكون جاءت من العرب. وكانت الاستدارة إلى الشرق: التوراة جاءت من الشرق. العلاقة بالجنوب أو الغرب أحد أشكال التصوّرات التي تفتقد التوثيق. في هذا البحث الذي يتناول أصل الملائكة عند العبرانيين – أخذها عنهم المسيحيون والمسلمون – سنحاول أن نثبت أنّ الزرادشتيّة كانت النبع الذي نهل منه يهود السبي أفكارهم ومفاهيمهم وتصوّراتهم. لكن من أين أخذ الزرادشتيّون، بدورهم، أفكارهم ومفاهيمهم وتصوّراتهم؟

في هذا البحث الذي عملنا على القسم اليهوديّ منه وعلاقته بالزرادشتيّ سنوات، لا نبحث على الإطلاق أن نغني معرفيّاً القارئ المسلم التقليديّ – ما بالك بالمغلق أو المتزمّت؟! المسلمون، دوناً عن

---

(1) *التوراة منبوشة: رؤيا أركيولوجية جديدة لإسرائيل القديمة وأصل نصوصها المقدّسة*، كتاب تم نشره عام 2011، يناقش أركيولوجيا إسرائيل وعلاقتها بأصول ومحتويات التوراة العبرية. المؤلّفان هما إسرائيل فنكلستاين، أستاذ الأركيولوجيا في جامعة تل أبيب، ونيل آشر سيلبرمان، المؤرخ وأحد محرري *المجلة الأركيولوجية Archaeology Magazine*.

بقيّة الشعوب - هل هو خلل جينيّ؟ - يتمتّعون بميزة عزّ نظيرها في هذا العالم. فرغم أننا لا نعترض على جهلهم المطبق وتعاملهم بقداسة معادية للعقل مع نصوصهم التي يعتقدون أنّ كائنات سماوية كانت خلفها، إلا أنهم بالمقابل يعترضون على المحاولات البحثيّة التي تعمل العقل في النقل وترفض أن تأخذ المفاهيم الموروثة على محمل الجدّ دون دليل علميّ لا لبس فيه. وأيّ مسلم تقليدي يتعامل بحياديّة مع ما يُقدّم له على طبق من "راحة" أفكار التي استغرق العمل فيها عمراً غير قصير، لا يمكن أن يبقى مسلماً تقليدياً.

لم نأخذ مفهوم الملائكة في الإسلام بعين الاعتبار إلا لماماً – وكذا في المسيحيّة. فالديانتان على حدّ سواء أخذتا هذا المفهوم عن الرحم الأمّ – اليهوديّة، رغم الاختلاف المتعاظم في مسلكي الديانتين، واحدة زراعية - المسيحيّة، وأخرى رعويّة – الإسلام؛ وهذا المفهوم، الملائكة، إنما هو في نهاية الأمر ليس غير تعبير عن تسامي الآلهة وترفّعها عن الاتصال المباشر بالبشر.

المجوس؟

قبل أن ندخل في تفاصيل "من هو زرادشت"، ثمة مسألة غاية في الأهمية بالنسبة لنا، لم نجد إجابة شافية عليها، وتتعلّق بالرابط بين زرادشت والمجوس (ماغي، مفردها ماغوس)؛ فهل وجد المجوس قبل زرادشت أم أن المجوس هي مجرد تسمية أخرى للكهنوت الزرادشتي؟ وهل كان زرادشت ذاته كاهناً زرادشتياً؟ في ما يلي، سنحاول معالجة تلك المسألة دون أن نعد بأجوبة حاسمة على ذلك الموضوع الشائك.

مـاغي (في الفارسـية القديمـة، مـاغو، في اليونانيـة، مـاغوس μάγος، في البابلية، ماغوش، في اللاتينية، ماغوس)، هي التسمية الوحيـدة المدونـة لكـلّ الكهنـة الإيـرانيين الغـربيين خـلال الفـترات الميدية Median، الأخمينية، البارثية (مغـو)، والساسانية. وخـلال العصور الساسانية حمل الكاهن الأعلى اللقب موبد (ماغو -باتي، أو رئيس الماغي؛ بالآرامية، ماغبت). شاهبور الأول، في نقشه المسمى روستم، يدعو كهنته مغوغبر (باللغتين البهلوية والبارثية؛ باليونانية، أنثروبويس ماغويس [ανθρωποις μαγοις]. وفي ظل حكم البارثيين والساسانيين كان هذا اللقب يطلق على الكهنة الزرادشتيين.

الحقبة المبكرة من التاريخ الإيراني

تـرد كلمـة "مـاغوس Magus" في الوثـائق الفارسـية القديمـة، العيلاميـة، الأكديـة، الآراميـة، البارثيـة، الساسـانية وكـذلك في النصـوص الكلاسـيكية القديمـة. إن أول ذكـر لهـا إنمـا نجـده في نقـش بيوستون Bisotun لداريوش الأول الكبير، التي تقول إنه عام 522 قبل الميلاد، ادعى ماغوس Magus اسمه غاوماتا [نلاحظ بالمناسبة أن اسم بوذا هو غاوتاما بوذا وقد عاش بين الأعوام 563\480 – 483\400 ق.م. تقريباً] أنه باردیا Bardiya، ابن الملك السابق، قورش الثاني الكبير، واستولى بالتالي على السلطة الملكية[1]. في النسخة البابلية من

(1) DB I 35-70; Schmitt, p. 51, col. I, lines 35-43, etc.

النقش ذاته[1]، نجده يدعى، "ماغوش ميدي". وفي الصيغة العيلامية[2] للنص ذاته، يُسمّى ما -كو -إيش. وهكذا يبدو أن الكتبة العيلاميين والبابليين لم يجدوا معادلاً في لغاتهم الخاصة ليترجموا إليه اللقب غاوماتا. يذكر هيرودوتس[3] هذا الشخص باسم سمرديس، ويدعوه ماغوس. ووفقاً له، قام الملك قمبيز بتعيينه كخادم لأسرته. في وقت لاحق، عندما كان [قمبيز] في مصر، انتحل سمرديس هذا شخصية ابن قورش الذي يحمل الاسم ذاته، سمرديس، لكنه كان قد قتل سراً بأمر من أخيه قمبيز. وهكذا اغتصب عرش الملوك الفارسيين.

وفقا لهيرودوتس (101.1)، كان المجوس يعتبرون واحدة من ست قبائل ميديانية وقد شكّلوا العشيرة الكهنوتية الوراثية. ويضيف أنهم احتلوا مكانة مؤثرة في البلاط الميدياني كمفسّري أحلام وكهان (107.1). بعد كتاب هيرودوتس، اعتبر العديد من المؤلفين الكلاسيكيين أيضًا أن المجوس هم قبيلة ميديانية، لكن لم يُقترح أي أصل هندي - أوروبي مرضٍ لكلمة ماغو magu، ولذلك يفترض بعض العلماء أنها "إضافة أصلية إلى المجتمع الميدي".[4] مع ذلك، وفقاً لاميلي بنفنسيت Benveniste، فإن مصطلح ماغو كان يدل على عضو في طبقة اجتماعية معينة في اللغة البدئية -الإيرانية واحتفظ بمثل

(1) von Voigtlander, p. 14, line 15: *ma-da-a-a ... ma-gu-šu*
(2) see Grillot-Susini et al., col. I, line 38
(3) 3.61, etc.
(4) Frye, 1972, p. 87

هـذا المعنـى أيضـاً في الأفسـتا.[1] وفقـاً لهـؤلاء أصـبح المجـوس الطبقـة الكهنوتية في ميديا ؛ وعلى الرغم من ذلك، فإن الأجزاء المحفوظة من الأفستا لا تحتوي على إشارات لا تقبل الجدل إلى المجوس، بالإضافة إلى ذلك فإن التسمية التي تطلق على الكهنة هناك هي āθravan.

ليس فقط في ميديا، بل أيضًا في بلاد فارس، كان المجوس المجموعات الوحيدة من الكهنة، على الرغم من أنه في المناطق العيلامية من إيران، كان هناك كهنة العبادات المحليّة القديمة يعملون بشكل طبيعي أيضًا. من الممكن أنه، خلال سيطرة الميديين على المجالات الإيرانية، أن يمارس المجوس الميديون وظائف كهنوتية مقدّسة.

كثيراً ما يشار إلى المجوس (ماكوش makuš، النسخة العيلامية للفارسية القديمة ماغو) في الوثائق العيلامية من بيرسيبوليس (ألواح حصن بيرسيبوليس)، كأناس يتلقون غالباً حصصاً من الشعير والنبيذ. لكن في العديد من هذه الوثائق، يرد اللقب "ماغوس magus" كاسم علم لمن يتعامل بالحبوب. على سبيل المثال، فإن شخصاً معيناً اسمه ماكوش، والذي كان يعمل في مجال الحبوب، قدّم 1163 بار (البار يساوي تقريباً 10 كوارت، والكوارت يساوي 1.14 ليتر) خلال سنة

(1) Benveniste, 1938, pp. 13, 18-20;
أنظر أيضاً: Gershevitch, 1964, pp. 29, 36، الذي يرى أن الماغي صاروا الطبقة الكهنوتية في ميديا ؛ قارن: المصطلح ماغافان، الذي كان يدلّ في الأفستا على الطهارة المتعلقة بالطقوس ؛ قارن أيضاً:
غ Duchesne-Guillemin, 1972, p. 72; Gnoli, 1980, p. 194).

واحدة في المكان المسمى ماتيزيكاش لتغطية نفقات الدولة المختلفة.[1] أسماء العلم للمجوس في هذه الوثائق هي إيرانية.

منذ أيام داريوش الأول على الأقل، كان المجوس الكهنة الرسميين لملوك الأخمينيين حيث لعبوا دوراً مهمًا في البلاط الملكي وكانوا يتمتعون بنفوذ كبير. وإلى جانب وظائفهم الدينية (على وجه الخصوص ، القيام بإراقات [إراقة سوائل] عبادية للأنهار والجبال، بالإضافة إلى تقديم قرابين من الماشية)، فقد انخرطوا أيضًا في أنشطة إدارية واقتصادية. وفي دورهم ككهنة رسميين فإنهم لا يظهرون فقط في بيرسيبوليس نفسها، بل أيضاً في جميع أنحاء جنوب غرب إيران، حيث تشير إليهم عشرة من نصوص حصن بيرسيبوليس.[2] من المستودعات الملكية، كانوا يتلقون الحبوب، الطحين، الكِباش، النبيذ، البيرة، والفاكهة وذلك لمتطلبات العبادة والتوزيع الشخصي. ويعود اسم أحدهم إلى المصطلح الزرادشتي يازاتا[3] (إله)، في حين أن ماغوس

---

(1) انظر Hallock، 1969، p. 723، sv makuš for all references

(2) Hallock, PF nos. 757, 758, 759, 769, 1798, 1951, 1955, 1957, 2036

(3) اليازاتا هي كلمة من اللغة الأفستية وتطلق على مفهوم زرادشتي بمروحة واسعة من المعاني لكنه يشير (أو يستخدم كلقب) إلى إله. يعني المصطلح حرفيًا "يستأهل العبادة أو التبجيل"، وهو بالتالي، بهذا المعنى الأكثر عمومية، ينطبق أيضاً على نباتات معالجة بعينها، مخلوقات بدئية، فرافاشي الموتى، وعلى صلوات معينة تعتبر بحد ذاتها مقدسة. مجموعة اليازاتات هم "القوى الخيّرة تحت أهورا مزدا، الذي هو أعظم اليازتات.

آخر اسمه إيردازانا يحمل اللقب بيرماسدا، المشتق من الفارسية القديمة، والذي قد يعني "حافظاً بارزاً". وفي جميع الاحتمالات، كان هذا اللقب يطلق على المجوس الذي كانوا يحفظون الترانيم الدينية عن ظهر قلب.[1] أصدر الماغوس أوكبيش Ukpiš اثني عشر مقياساً للحبوب، وثلاثة للإراقات العرقية وثلاثة واحد لعبادة ميثرا، وواحد لجبل ما وواحد لنهر بعينه[2]. تسمّى إراقات كهذه بأنها الطقس الاحتفالي لان lan، والذي لا تزال طبيعته مجهولة. وهذه على ما يبدو كلمة عيلامية تظل إيتمولوجيتها هرمطقية[3]. في الوثيقة ذاتها (السطر 26) يشار إلى أوكبيش (في جميع الاحتمالات، فإنه الشخص ذاته الذي يُشار إليه في الرقم 1955) باسم هاتورماكشا، الذي كان يوزع الحبوب من مخزن ملكي لأغراض مختلفة. من الجدير بالذكر أن اسم هذا الماغوس يمكن أن يترجم بأنه "(الذي) يقوم بعلاج جيد[4]".

يشار إلى اللقب هاتورماكشا أيضاً في عدد من الوثائق الأخرى من الأرشيف ذاته وهو يشير إلى مسئول يعمل في توزيع الحبوب.[5] وكما

(1) Gershevitch, 1969a, p. 181

(2) Hallock, PF no. 1955

(3) حول هذا الطقس الاحتفالي، أنظر: Razmjou, pp. 103-17 ؛ الهرمطقية هي ذلك الصنف من الكتابة المتعلّق بالتعاليم السرانية أو الخيميائية التي ظهرت في القرون الثلاثة الأولى للميلاد وتعزا لعمل هرمز.

(4) Gershevitch, 1969b, p. 243.

(5) Hallock, p. 695

يلاحظ ريتشارد هالوك، فإن هذا اللقب له وظيفة دينية، لأنه في العديد من الوثائق ترافقه الصفة الإلهية، وبالتالي فقد كان يقصد به على ما يبدو نوعاً من الكهنة.[1]. جورج كاميرون (ص 6 -7)، إيليا غرشيفيتش[2]، وولثر هينز (ص. 429) يفسرون هذه الكلمة على أنها النسخة العيلامية لمصطلح الأتار -فاشا الإيراني القديم (باليونانية، بورايثوس، أي، "مراقب ــ النار"، بالأفستية، أترا ــ فاكسيش، الكاهن الذي يشعل النار، أي، من ينفخ الهواء في النار). في النصوص ذاتها نجد شواهد على لقب آخر لموظف لديه وظائف دينية. هذا اللقب هو هاتارمابـاتيش\أتروبـاتيش، الـذي فسّره غيرشـيفيتش على أنه *aθarva-pati*، رئيس النار، وهو نوع من الكهنة[3]؛ لكن، وفقاً لهينز، (ص 429)، فهي تسمية "للكاهن الأعلى". في إحدى الوثائق، من العام 499 قبل الميلاد، نجد أن فارناسيس Pharnaces، مدير البيت الملكي، يأمر بتقديم الدقيق كراتب لشهرين للماغوس الذي يحمل اسم ليمبيردا، الذي كان يتلقى 1.5 لتر يومياً.[4] في ألواح حصن بيرسيوبوليس، يتم استخدام الكلمة العيلامية شاتين (كاهن) جنباً إلى جنب مع مصطلح ماكوش makuš وترد بشكل متكرر أكثر من الأخير بكثير (في 26 لوح). لكن هؤلاء الكهنة عادة ما يكون لديهم أسماء

(1) Hallock, p. 58
(2) 1969a, p. 170.
(3)Hallock, p. 694; Gershevitch, 1969a, p. 170
(4) Hallock, PF no. 1798

إيرانية ويخدمون آلهة إيرانية (على سبيل المثال ، أهورا مزدا)، على الرغم من أنهم في بعض الحالات يخدمون الإله العيلامي العلي هامبان أيضًا.[1] لذا من الممكن أن تكون هذه المصطلحات متكافئة جزئياً من حيث الأهمية.

يُشهد على وجود المجوس ـ الماغي في بيرسيبوليس خلال الفترة الأخمينية أيضاً في النصوص الآرامية من هناك[2]. على وجه الخصوص، يذكر جدول أسماء آرامي في الحصن[3] الكلمة مغوش *mgwš (الماغوس)*. أخيراً، في ألواح برسيبوليس العيلامية، نجد شهوداً على كلمة ماكوشmakuš ليس فقط كلقب لوظيفة الكهنة بل أيضًا كاسم شخصي[4].

يتم الاحتفاظ بمعلومات مهمة عن أنشطة المجوس (ماغي) أيضاً في وثائق بلاد ما بين النهرين في الفترة الأخمينية. وربما جاء هؤلاء المجوس إلى بابل لأداء طقوس دينية للفرس والميديين الذين بقوا في ذلك البلد كمسئولين ملكيين وجنود. وأسماء هؤلاء المجوس، عندما يتم ذكرها، هي إيرانية. لكن النصوص البابلية تذكر المجوس فقط فيما يتعلق بمهامهم الإدارية، وكذلك كشهود في الوثائق القانونية والاقتصادية جنباً إلى جنب مع البابليين. فعلى سبيل المثال، تشير رسالة من أرشيف

(1) Hallock, p. 755
(2) see Bowman, p. 31
(3) Hallock, PF no. 1798
(4) Hallock, p. 723

معبد إينا في أوروك إلى أن مجوسياً كان يفحص مخزن الدقيق الذي يبدو أنه يخص هذا المعبد.[1] في إحدى الحالات، تم تعيين مجوسي وكاتب من المعبد ذاته للإشراف على بعض العمال.[2] في إحدى الوثائق من بابل تمت صياغتها عام 496 قبل الميلاد، تم ذكر الأحكام، التي كانت موجهة لبعض المجوس، وكذلك للعمال في البيت الملكي[3] وبعض مسئولي القصر . وخلال فترة حكم داريوش الأول، امتلك مجوسي يدعى زاتوميشو حقلًا يقع بالقرب من مدينة كيش [4]، وكان هذا الحقل ملاصقاً للأراضي التي تعود لمعبد مردوخ[5]، الإله العلي للدولة في بابل، وإلى رجل من المدينة. أصل اسم زاتوميشو هو "خادم القبيلة"[6]. في أحد السندات من المدينة ذاتها صادر عام 469 قبل الميلاد، يتم ذكر أحد الماغي، "Magus"، الذي فُقد اسمه، من بين قائمة الشهود على صفقة تجارية.[7] وتشير عدة وثائق من أرشيف شركة موراشوMurašû للأعمال إلى مكان يدعى "مستوطنة أكواخ القصب التي للمجوس"، والذي كان يقع في منطقة نيبور بالقرب من

(1) Clay, no. 66
(2) Keiser, ed., *Babylonian Inscriptions,* no. 40
(3)*Vorderasiatische Schriftdenkmäler*, no. 138/139
(4) McEwan, ed., *Late Babylonian Texts*, no. 163
(5) يتغيّر اللفظ بحسب المرجع.
(6)Dandamayev and Livshits, p. 458
(7)McEwan, ed., *Late Babylonian Texts*, no. 182

بعض الإقطاعيات التي تنتمي إلى "السيمريانيين"، أي، السذيان.[1] [2]

وأخيراً، خلال الفترة الأخمينية، ظهر المجوس أيضًا في مصر. وهكذا يشار إلى مصطلح ماغوس Magus (مغوشي) في وثيقة أرامية صادرة عام 434 قبل الميلاد في فيلة Elephantine، حيث تم إنشاء مستعمرة عسكرية من قبل الإدارة الفارسية. في هذا النص، نجد شخصاً اسمه ميثراه ماغوس، وهو اسم إيراني، مدرجاً ضمن قائمة الشهود على وثيقة قانونية خاصة يعطي فيها مستعمر يهودي زوجته نصف منزله. من بين الشهود على الوثيقة ذاتها، تم ذكر أكثر من ماغوس Magusباسم تات Tatt ، وأصل الكلمة غير واضح تماماً[3].

إن أقدم الإشارات إلى المجوس في الأدب اليوناني نجدها في بيرساي (فرس) اسخيلوس (السطر 318) ، حيث يذكر مجوسياً يدعى أرابوس Arabus والذي لقي حتفه خلال معركة سلاميس (480 قبل الميلاد)، وكذلك في كسرة لهيراقليطسHeraclitus مكتوبة عام 500 ق.م. تقريباً[4]. لكن مصدرنا الرئيس عن المجوس خلال الفترة الأخمينية هو تواريخ هيرودوتس. ويذكر أن أحشويروش لم يتخذ أي قرارات مهمة

(1) أحد أعضاء شعب بدوي من أرومة إيرانية، يعرف من بداية القرن التاسع ق.م.، وقد هاجر باتجاه الغرب.

(2)Hilprecht and Clay, eds., *The Babylonian Expedition*, nos. 88, etc

(3) Kraeling, no. 4:24

(4) see Papathcophances, p. 101

دون الحصول على مشورة أولية من المجوس. وقد فسروا أحلامه وتنبأوا له ؛ كما رافقوا الجيش الفارسي في الحملات مع النار المقدسة[1]. وبناء على أوامر من أحشويروش، قاموا أيضاً بإراقات في البحر في الهليسبونت، مقدمين ألف ثور كقربان إلى "الأبطال"، كما ضحوا بالخيول البيضاء لنهر سكاماندر كنذور خيرة[2]. ويضيف هيرودوتس أنه لا يمكن تقديم أي تضحيات من قبل الفرس دون وجود ماغوس والذي كان يؤدّي الطقوس المناسبة ويرتّل الترانيم لولادة الآلهة، لكن فعل الذبح كان يؤديه شخص عادي بذاته.[3] وكما رأينا من الحروب الفارسية لأميانوس مارسيلينوس Ammianus Marcellinus ، الذي عاش بين عامي 330 -395 ق.م.، استمرت هذه الممارسة لقرون عديدة.[4] ويروي هيرودوتس أيضًا أن المجوس لم يدفنوا ذكرًا ميتًا حتى تُمزق جثته من قبل طائر جارح أو من قبل كلب، وكانوا يقتلون كل ما يزحف ويطير[5].

زانثوس، وهو من ليديا لكنه متهلين وربما كان معاصراً لهرودوتس، في عمله *ليدياكا Lydiaca* ، يذكر أيضاً المجوس، لكن الكسرات الباقية منه لا تحتوي على أي معلومات مهمة. أمّا كسينوفون

(1) see, e.g., Hdt., 7.19, 37
(2) 7.43, 7.113
(3) 1.132
(4) see Bickerman and Tadmor, p. 255, with references
(5) 1.140

فيقدّم لنا في كتابه *Cyropaedia* (*تعاليم قورش*) معلومات موثوقة حول المجوس. فيكتب أنهم كانوا كهنة في بلاط الملوك الفارسيين، الذين وضعوا في أيديهم مراسم الإراقة والتمائم والقرابين. كما اتبع الملوك تعليماتهم في الأمور الدينية. إلى جانب ذلك، لم يكن المجوس مؤدين خبيرين لطقوس العبادة فحسب، بل كانوا أيضاً معلمين ومؤدبين لأبناء الملوك الفارسيين وشاركوا في احتفالات تتويج كل ملك جديد[1]. ومن المعروف من كوينتوس كورتيوس روفوس أن الجنود الفارسيين كانوا يحملون الشعلة المقدسة على مذابح الفضة أمام القوات، وكان المجوس يسيرون وراءهم يرددون التراتيل القديمة[2]. ومن المعروف أيضاً من أريان أن المجوس كان قد تم تعيينهم لحراسة قبر قورش الكبير في باسارغادي Pasargadae ، وكانوا يضحون هناك بحصان شهرياً[3].

حول الطبيعة الثنوية لتعاليم المجوس، يقدم ديوجينس لارتيوس اقتباسًا من كتاب أرسطو "*في الفلسفة*"، والذي يقول فيه، إنه وفقًا لهؤلاء الكهنة، هناك روح خيّرة تُسمى زيوس أو أورومسديس وروحًا شريرة هي هادس أو أريمانوس.[4]

يُعرف دور المجوس ككهنة من خلال تمثيلاتهم حيث يبدون هناك وهم ينخرطون في أعمال طقسية. على سبيل المثال، تم تصوير مذبح

(1) see, e.g., Xenophon, *Cyropaedia*4.5.14 and 8.3.11-12
(2)*Historiae* 3.3.9
(3) *Anabasis of Alexander*6.29.4-11
(4) Diogenes Laertius, 1.8

نار مع اثنين من المجوس يسهران عليه على حجر من القرن الخامس قبل الميلاد وجد في داسكايلون، عاصمة فريجيا، في آسيا الصغرى، حيث يظهران يرتدي كلٌ منهما، سترة وسروال، ويغطيان أنفيهما وفميهما.[1] هناك أيضاً تم الحفاظ على بعض تماثيل المجوس منحوتة في الحجر من الفترتين السلوقية والأرساسيدية.[2]

نجد صور المجوس أيضاً في طبعات الأختام على عدة ألواح من الطين من برسيبوليس. وتظهر هذه الأختام شخصين، تحت شعار أهورا مزدا على شكل قرص الشمس، يحمل كل منهما هاوناً ومدقة أمام مذبح نار.[3]

مجوس البارثيين والساسانيين:

إن توسيع نطاق أنشطة المجوس إلى خوارزميا، بكتريا، ومناطق أخرى من آسيا الوسطى خلال الفترة البارثية إنما نعرفه من *لوقيانوس المنحول*. ووفقاً لسترابو، فإن عبادة النار الخاصة بالمجوس كانت منتشرة على نطاق واسع في كبادوكيا. ويكتب أن مذابح النار الخاصة بهم كانت موجودة في أماكن مقدسة في مناطق مسيجة حيث أبقى المجوس على النار مشتعلة. وخلال الخدمة كانوا يمسكون أمام النار حزمة من القضبان ويرتدون عمائم عالية على رؤوسهم.

(1) for literature, see Boyce, 1982, pp. 117-18; see also Duchesne-Guillemin, 1962, p. 202
(2) Boyce, 1979, p. 85
(3) Schmidt, p. 55 and pl. 7, seal no. 20

على الأحجار الكريمة والتماثيل البارثية، يُحوّل المصطلح ماغوس إلى مغو.[1]. وكما يتضح من الوثائق الاقتصادية للقرن الأول قبل الميلاد من نيسا، في بارثيا، كان يمكن للمجوس أن يستخدموا في عمليات متعلّقة بتسلّم وتسليم النبيذ إلى مخازن الدولة. يسجل أحد النصوص تسلّم كمية كبيرة من النبيذ من قبل اثنين من الكتبة ومعهما الماغوس المدعو مهردات Mihrdāt (متردت Mtrdt) عام 72 ق. م[2]. كما يشار إلى مجوسي، مع كاتب، في سياق منقطع، في وثيقة من عام 102 قبل الميلاد من الأرشيف نفسه[3].

خلال الفترة الساسانية، وضع الكهنوت المجوسي يده بقوة على المجتمع وهو ما دعم السلطة الملكية. وقد كانوا معفيين من دفع ضريبة الرأس. ووفقاً لأميانوس مارسيلينوس[4]، كان لدى الماغي Magi أراضيهم الخاصة في ميديا.

في الربع الأخير من القرن الثالث الميلادي، أصبح الزعيم الديني الشهير قرطير قوياً وحصل على لقب رئيس الكهنة، ألا وهو موبد. وحاول التأسيس لعقيدة زرادشتية متشددة ككنيسة رسمية لإيران ونشرها أيضاً بين المجوس المتهلينيين في آسيا الصغرى. كما كافح ضد

(1) see Gignoux, p. 65, no. 8:2; Bivar, pp. 518-25, fig. 1; Livshits, p. 176, no. 41
(2) Diakonoff and Livshits, p. 165, no. 2577:5
(3) no. 2675
(4) 23.6.27-32

عقائد دينية أخرى. ونجد انعكاس هذا النضال في أربعة نقوش له، والتي كانت مكتوبة على صخور محفورة بين الأعوام 276 و 293 م.

العلاقة مع الزرادشتية:

قدّم مؤلّفون كلاسيكيون مثل هيرودوتس، سترابو، بومبيوس تروغوس، أبوليوس، وأميانوس مارسيلينوس معلومات مهمة عن دين المجوس. وفقاً لأقوال بعضهم، كان المجوس تلاميذ وأتباع زرادشت. فالتقاليد الإيرانية، الممثلة في الأدب الفارسي الوسيط، تعتبرهم خبراء في الطقوس وحراس للعادات الثقافية والدينية لعدد من القبائل الإيرانية. وقد تم التعبير عن آراء مناقضة في الأعمال البحثية الحديثة المتعلقة بدين المجوس. لكن لا شيء تقريباً معروف عن المجوس الإيرانيين الغربيين خلال الفترة ما قبل الزرادشتية. بعض العلماء يرون أن المجوس كانوا من الزرادشتيين، بينما يعتقد آخرون أنهم كانوا أعداء لتعاليم زرادشت. من الممكن أنهم كانوا يشكّلون الكهنوت الوراثي، مثل اللاويين في إسرائيل القديمة، حيث كانوا المجموعة الكهنوتية في ميديا.[1] ووفقاً لنظرية جيوسيبي ميسينا، فإن المجوس كانوا تلاميذ زرادشت وطبقة فارسية، وليس قبيلة ميدية[2]. وبالمثل، كتب إرنست هرتسفيلد[3] أن المجوس كانوا طبقة، وليس قبيلة، ولم يكونوا زرادشتيين. يفترض دوتشسنه -غولمين Duchesne-Guillemin أنه من

(1) see, e.g., Nyberg, p. 336
(2) Messina, pp. 11-15, etc.

(3) ص 301

المستبعد جداً أن المجوس كانوا من أتباع زرادشت منذ البداية، ويزعم أنهم أصبحوا زرادشتيين بعد ذلك بكثير، وأن إله الدولة العلي للميديين كان ميثرا، وليس أهورا مزدا.[1] كذلك فقد عبّر يوهانس هرتل Johanes Hertel[2]، غيورغ هوسينغ[3]، والعديد من الباحثين الآخرين عن رأي مفاده، على عكس أوائل الأخمينيين، أنّ المجوس لم يكونوا زرادشتيين.

وفقاً لإيليا غيرشيفيتش[4]، ففي بداية نشاطهم لم يكن المجوس ممثلين لدين معين بل خبراء تقنيون، كهنة محترفون قاموا بخدمة عبادة أية آلهة إيرانية مقابل أجر معين. وهكذا أصبحوا الأصحاب الرئيسين للتوفيقية الدينية التي كانت المزدانية Mazdaism[5]. وفقاً لرأيه، فإن المجوس تبنوا الزرادشتية فقط في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وأعلنوا أن زرادشت هو معلمهم. وهكذا فهو يميز بين الكهنة الزرادشتيين والمجوس خلال العصور الأخمينية المبكرة. يؤكد روبرت سي. زاهنر[6]

(1) Duchesne-Guillemin, 1972, pp. 72-74; idem, 1974, p. 20
(2) pp. 5 ff.
(3) p. 30
(4) 1964, pp. 22-29
(5) هذه الكلمة مأخوذة من المصطلح الأفستي مازدا، التي تعني "حكيم". إنها ديانة تؤمن بتعددية الآلهة مكونة من عالم تراتبي (حيوانات، بشر، ملائكة\ملائكة مقربين، آلهة)، تخضع كلها لإله علي هو أورا مازدا (الرب الحكيم). ثمة آلهة أخرى، مولودة من أهورا مازدا، والتي توفّر أيضاً على نحو كبير؛ وهذه الآلهة هي ميثرا (إله لشمس)، الذي خرجت منه الديانة الميثروية، فارونا، مالي، أناهيتا، الخ.
(6) pp. 5 ff.

أن تعاليم زرادشت قد غيّرها المجوس من أجل تكييفها مع المفاهيم التي كانت منتشرة بين جماهير الشعب الإيراني. ويفترض أيضاً أن "الطبقة الكهنوتية المجوسية كانت متميزة عن القبيلة الميدية التي تحمل الاسم ذاته"[1]. افترض إيغور دياكونوف أن مصطلح "ماغوس" هو إثنيكون[2] ولم يكن يشير إلى طبقة أو مهنة. ووفقاً له، فإن المجوس زودوا الميديين بكهنة البلاط منذ زمن قديم، أي منذ حقبة حكم الملك الميدي الأخير، أستياجيس، الذي كان تحت تأثير بعض تعاليم زرادشت[3]. في هذا الصدد، يمكن الإشارة إلى أنه في النسخة البابلية لنقش بيسوتون يقال إن غاوماتا هو ميدي وماغوس. ذكر بيكرمان وتدمر أنه "كان ثمة وجود للكهنوت الوراثي الإيراني خارج قبيلة الماغي الميدية."[4] وفقاً لسترابو،[5] فإن المجوس كانوا قبيلة فارسية؛ ويكتب بليني[6] أن العديد من الفرس كانوا يبشرون بالزرادشتية وكانوا يُدْعون المجوس. وأخيراً، فقد أكّد بينفينست[7] أيضاً على الفروق بين الدين الفارسي والزرادشتية في العصور الأخمينية المبكرة.

---

(1) pp. 163 ff.

(2) كلمة يونانية جمعها إثنيكا وتعني اسماً لقبيلة. بمعنى أنهم مسألة انتماء إثني (عرقي).

(3) Diakonoff, pp. 274-75, 392-400

(4) p. 253

(5) 15.3.1

(6) *Natural history* 30.3-4

(7) 1929, p. 72

في ميديا وبلاد فارس لم يكن يتواجد تقريباً أي مجموعات معترف بها رسمياً من الكهنة غير المجوس، لكن في المناطق العيلامية، حيث تمت صياغة العديد من وثائق حصن بيرسيبوليس كان هناك بطبيعة الحال أيضاً كهنة من الطوائف المحلية القديمة. والأهمية العظيمة للمجوس في بلاد فارس معروفة جيداً من أعمال المؤلفين اليونانيين واللاتينيين، من ذلك على سبيل المثال، المعلومات المتعلقة بتعيين المجوس لرعاية قبر قورش في باسارغادي، المشار إليها آنفاً.

توفّر لنا النصوص العيلامية من برسيبوليس معلومات هامة عن المجوس ووضعهم في البلاط الأخميني ككهنة رسميين ليس فقط في بيرسيبوليس، بل أيضاً في جميع أنحاء جنوب غرب إيران. لكن لا يزال من غير المعروف ما إذا كان لدى الفرس، في القرن السادس قبل الميلاد، كهنة خاصون بهم والذين أطلقوا عليهم اسم "المجوس"؛ وإذا كان هذا المصطلح يستخدم في الوقت نفسه أيضًا لتسمية الميديين الذين كانوا يؤدّون وظائف كهنوتية، ففي هذه الحالة بالتالي لا يحمل المصطلح أي دلالة عرقية.[1] لكن ربما في الأصل كانت الكلمة ماغوش maguš تستخدم لتسمية أحد أعضاء القبيلة الكهنوتية.[2] وافتراضية[3] ر. سي. زاهنر R. C. Zaehner التي تتلخص في أن المجوس كانوا يشكلون طبقة خاصة تختلف عن القبيلة الميدية التي كانت تحمل الاسم نفسه تبدو بعيدة الاحتمال.

(1) cf. Boyce, 1982, p. 19
(2) Benveniste, 1938, pp. 10-11
(3) pp. 163 ff.

وابتداءً من نهاية القرن السادس قبل الميلاد، عمل المجوس ككهنة رسميين في الدولة وكذلك في الخدمات الخاصة في بلاد فارس وعدة بلدان أخرى في الإمبراطورية الأخمينية. وفي ظل حكم أحشويروش، تعزز أكثر نفوذ المجوس ودورهم. لقد خدموا في مذابح النار، قاموا بإراقات تتعلّق بالعبادات، قدّموا قرابين دموية، واستخدموا عصير الهوما لأغراض طقوسية. ومع ذلك، يصعب تحديد متى وإلى أي درجة تبنّوا الزرادشتية، أو، بالمثل، الإجابة على سؤال ما إذا كان الملوك الأخمينيون زرادشتيين أم لا.

في وقت ما من أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد، قام زرادشت بإصلاحه، وذلك بتحويل أهورا مزدا إلى الإله الأعلى، رافضًا بالتالي بعض الآلهة القبلية وواضعاً الآخرين من الآلهة دونه. في وقت لاحق، بدأت الزرادشتية في الانتشار إلى ميديا، بلاد فارس، وغيرها من البلدان الإيرانية. وحوالي عام 520 قبل الميلاد قيّم داريوش الأول الكبير على نحو إيجابي مزايا تعاليم زرادشت كدين رسمي له، لكنه لم يرفض عبادات الآلهة القديمة، التي ألغى بعضها زرادشت. بالنسبة لداريوش وخلفائه، كان أهورا مزدا "أعظم الآلهة"، كما هو مذكور في نقوشهم. وكما تم تسجيله في وثائق عيلامية والتي صدرت في 509 - 494 قبل الميلاد، تم توريد المنتجات من المخازن الملكية من أجل أداء العبادات ليس فقط لأهورا مزدا والآلهة الإيرانية الأخرى، بل أيضاً للإله العيلامي همبان بل حتى لحدد ما بين النهرين[1]. وهكذا، ففي

(1) see Hallock, PF nos. 345, 346, 350, 2029; on Adad, ibid., nos. 353, 587, 2073

العهد الأخميني، كانت توجد مفاهيم دينية مختلفة في بلاد فارس، وعلى النقيض من عبادات إله الشمس ميثرا وإلهة الخصوبة، أناهيتا، فإن عبادة الإله الأعلى أهورا مزدا لم تحظ باعتراف كبير بين سكانها. من المهم أن نأخذ بعين الاعتبار أنه في المجتمعات القديمة التي تؤمن بتعددية الآلهة، لم تكن هناك ديانات عقائدية ذات قواعد ثابتة، ونتيجة لذلك ظهرت تعديلات مختلفة على المفاهيم الدينية ذاتها. وفي المجتمعات التي تؤمن بتعددية الآلهة، حيث كان تُعبد آلهة كثيرة، وأي عبادة كانت تعتبر صالحة، فإن الآلهة الجديدة كانت دائماً موضع ترحيب. ولذلك، كان من الطبيعي أن المجوس، جنباً إلى جنب مع التعاليم الزرادشتية، راحوا يستوعبون أيضاً أفكاراً دينية أخرى، وبسبب هذا الانتشار لأفكار مختلفة، أصبحوا مبدعين لاتجاهات انتقائية وتوفيقية.[1] دور هام يعبّر عن هذه الاتجاهات كانت قد لعبته الحِرَف الغامضة، التي كان سادتها الاختصاصيون هم المجوس.

كان غيرشيفيتش[2] يميل إلى افتراض أن المجوس تبنوا زرادشت كنبي لهم فقط في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد. وواحد من الأجزاء المهمة في دين المجوس كان عقيدتهم الثنوية. كانت النقاط الرئيسة في هذه العقيدة معروفة أيضًا لبعض العلماء اليونانيين، بمن فيهم أرسطو. فقد كتب أنه، وفقاً لتعاليم المجوس، كان هناك مبدآن

(1) Gnoli, 1980, p. 209
(2) 1964, p. 16

متناقضان الواحد مع الآخر، حيث يجسدان الروح الخيّرة التي تسمى أورومسديس وروح الشر، أي أريمانوس [1].

هناك أيضاً تم الحفاظ على بعض الأساطير التي تذكر أسماء فيثاغورث، ديموقريطس، والعديد من الفلاسفة الآخرين على أنهم تلاميذ للمجوس.[2] على سبيل المثال، يكتب ديوجينوس لاتريوس[3] أن ديموقريطس كان على دراية بتعاليم المجوس الإيرانيين. كما يذكر هذا الكاتب أيضاً[4] أن هيرمودوروس، أحد تلاميذ أفلاطون، كان يعرف أسماء العديد من خلفاء زرادشت. ويعتبر هذا الأخير نفسه واحداً من المجوس كما قال كسانتوس الذي من ليديا[5].

أصبحت تعاليم زرادشت ودين المجوس معروفين لدى الإغريق والرومان بشكل رئيس خلال الفترة الهلنستية وما بعدها. وبحلول ذلك الوقت، تم إنشاء العديد من مستعمرات المؤمنين بلاهوت المجوس، ليس فقط في آسيا الصغرى، بل أيضًا في بعض البلدان الأخرى، بما في ذلك مصر.

جزء لا يتجزأ من أنشطة المجوس كان يتألف من وظائفهم الطقوسية المرتبطة بالتنجيم والسحر (ومن هنا جاء المصطلح اليوناني

(1) Bidez and Cumont, II, p. 71
(2) Cumont, p. 138
(3) 9.34
(4) 1.2
(5) see Frye, 1962, p. 75

mageía ([μαγεία])[1]. ويمكن تفسير الخلط في استخدام كلمتي "المجوس" و"الكلدان" في الأدب اليوناني من خلال حقيقة أن أنشطة الكهنة البابليين والمجوس الإيرانيين كانت متشابهة في بعض الجوانب. هناك أيضاً تم الحفاظ على بعض الأدلة حول إقامة المجوس في أثينا خلال زمن أفلاطون[2].

وابتداءً من القرن الرابع قبل الميلاد، أصبح استخدام مصطلح ماغوس magus غامضًا وكان له معنى مزدوج. وكثيراً ما اكتسب دلالة محتقرة حيث استخدم لتسمية المشعوذين، السحرة، والكهان[3]. لكن الكلمة ذاتها استُخدمت أيضاً لتسمية حكماء - مثل أولئك الذين حطوا الرحال قادمين "من الشرق" (متى 2: 1)[4] يحملون

(1) see Rose, p. 22

(2) Gnoli, 2000, p. 57

(3) Bidez and Cumont, I, p. 174; Bickerman and Tadmor, p. 252; Papathcophances, p. 105

(4) مت 2 -1: ولَمّا وُلِدَ يسوعُ في بَيتَ لَحمِ اليهودِيَة، في أيامِ المَلِكِ هيرودُس، إذا مَجوسٌ قدِمُوا أُورَشليمَ مِنَ المَشرِق. مت 2 -2: وقالوا: أينَ مَلِكُ اليهودِ الَّذي وُلِد؟ فقَد رأينا نَجمَه في المَشرِق، فجِئنا لِنَسجُدَ لَه. مت 2 -3: فلمَّا بلَغَ الخَبَرُ المَلِكَ هيرودُس، اِضطَرَبَ واضطَرَبَت مَعه أُورَشليمُ كُلُّها. مت 2 -4: فَجَمَعَ عُظَماءَ الكَهَنَةِ وكَتَبَةَ الشَّعبِ كُلَّهم واستَخبَرهم أَينَ يُولَدُ المسيح. مت 2 -5: فقالوا له: في بَيتَ لَحمِ اليَهودِيَّة، فقَد أُوحِيَ إلى النَّبيِّ فكَتَب: مت 2 -6: وأَنتِ يا بَيتَ لَحمُ، أَرضَ يَهوذا لَستِ أَصغَرَ ولاياتِ يَهوذا فَمِنكِ يَخرُجُ الوالي الَّذي يَرعى شَعبي إسرائيل. مت 2 -7: فدَعا هيرودُسُ المَجوسَ سِرّاً وتَحقَّقَ مِنهم في أَيِّ وَقتٍ ظَهَرَ النَّجم. مت 2 -8: ثُمَّ أَرسَلَهم إلى بَيتَ لَحم وقال: اِذهَبوا فابحَثوا
==

الهدايا ليسوع المسيح[1] وهكذا صاروا جزءاً دائماً من التقاليد المسيحية.

زرادشت

دون أدنى شك، قبل مئات السنوات على ما يفترض أنه موت المسيح، قام في إيران نبيّ تركت حياته وتعاليمه انطباعاً لا يمكن محوه على ما جاء بعده من ثقافات وأديان، وإن كان اليوم متجاهلاً، عمداً أو دون عمد. كان اليونان ينظرون إليه على أنّه فيلسوف، عالم رياضيات، عالم فلك، وساحر؛ في حين اعتبره اليهود والمسيحيّون نبيّاً مهرطقاً وساحراً. كان هذا النبيّ يعرف في اليونان باسم زورواستر، وهو نوع من اليونانة لاسم زاراثوسترا الإيرانيّ: وبالعربيّة، زرادشت. لقد أثار مفهوم زرادشت لله اهتمام كثير من العلماء الكتابيين المعاصرين بسبب التشابه بين تعاليمه والتعاليم المسيحيّة واليهوديّة. ورغم أنّ بعض المرجعيات تنكر المزاعم التي تقول إن الفكر

عنِ الطِّفْلِ بَحْثاً دَقيقاً، فإذا وَجَدْتُموه فأخبِروني لأذهَبَ أنا أيضاً وأسجُدَ له. مت 2 -9: فلمَّا سَمِعوا كَلامَ المَلِكِ ذَهَبوا. وإذا النَّجمُ الَّذي رأَوهُ في المَشرِقِ يَتَقَدَّمُهم حتَّى بَلَغَ المَكانَ الَّذي فيه الطِّفلُ فوَقَفَ فَوقَه. مت 2 -10: فلمَّا أبصَروا النَّجمَ فَرِحوا فَرَحاً عَظيماً جِداً. مت 2 -11: وَدخَلوا البَيتَ فرأَوا الطِّفلَ مع أُمِّه مَريم. فجَثَوا له ساجِدين، ثُمَّ فتَحوا حَقائِبَهم وأَهْدَوا إليه ذَهباً وبَخوراً ومُراً. مت 2 - 12: ثُمَّ أُوحِيَ إليهِم في الحُلمِ ألاَّ يَرجِعوا إلى هيرودُس، فانصَرَفوا في طَريقٍ آخَرَ إلى بِلادِهم.

(1) Duchesne-Guillemin, 1961, pp. 469-71

اليوناني -الروماني واليهودي تأثّر بالأفكار الزرادشتيّة، إلا أنهم مخطئون في ذلك تماماً - لا يمكن إهمال هذه المزاعم من قبل كل من يهتم بالتاريخ الحقيقي وذلك بوصفه مقابلاً للانغلاقيّة المتعجرفة لكل من هو معاصر من زرادشتيين ويهود ومسيحيين.

يُعتبر النبي الإيراني والمصلح الديني زرادشت (نشط قبل القرن السادس قبل الميلاد) تقليديًا المؤسس للدين الزرادشتي [وفقاً لرواية في الأسفار البارسيّة (بارسي [فارسي] = زرادشتي)، ولد زرادشت عام 660 ق.م.، ومات عام 583 ق.م.؛ لكن كثيراً من الباحثين يزعمون أنه ظهر قبل ذلك بكثير.] تحتوي الزرادشتية على سمات توحيدية وثنوية. وقد أثرت على الأديان الإبراهيمية الغربية الرئيسة الأخرى - اليهودية والمسيحية والإسلام.

إنّ ديانة فارس القديمة كما أسّسها زرادشت؛ هي واحدة من أعظم ديانات العالم، وهي الأقرب إلى اليهوديّة والمسيحيّة. ويتفق الباحثون في أن تعاليم زرادشت كانت منتشرة عموماً في كافة أرجاء إيران قبل السبي اليهودي، ولهذا أهميته البالغة كما سنرى في القسم المتعلّق بالملائكة في اليهوديّة. يُعتقد اليوم أن الموطن الأصلي للنبيّ كان ميديا، في غرب إيران، وهنالك مبررات للزعم القائل إن مولده كان في إقليم أتروباتينه، في أذربيجان الحاليّة؛ لكن كثيراً من رسالته، بل ربما أن معظم مسيرته النبويّة، تتركّز في شرق إيران، خاصة في إقليم باكتريا، حيث كسب نصيراً قويّاً لديانته. وهذا المناصر للدين كان ملكاً

اسمه ويشتاسبا أو كشتاسب، اسم متطابق مع اسم والد داريوش، المدعو هيستاسبيس، مع أنه يجب عدم الخلط بين الشخصيتين، كما يحدث أحياناً.

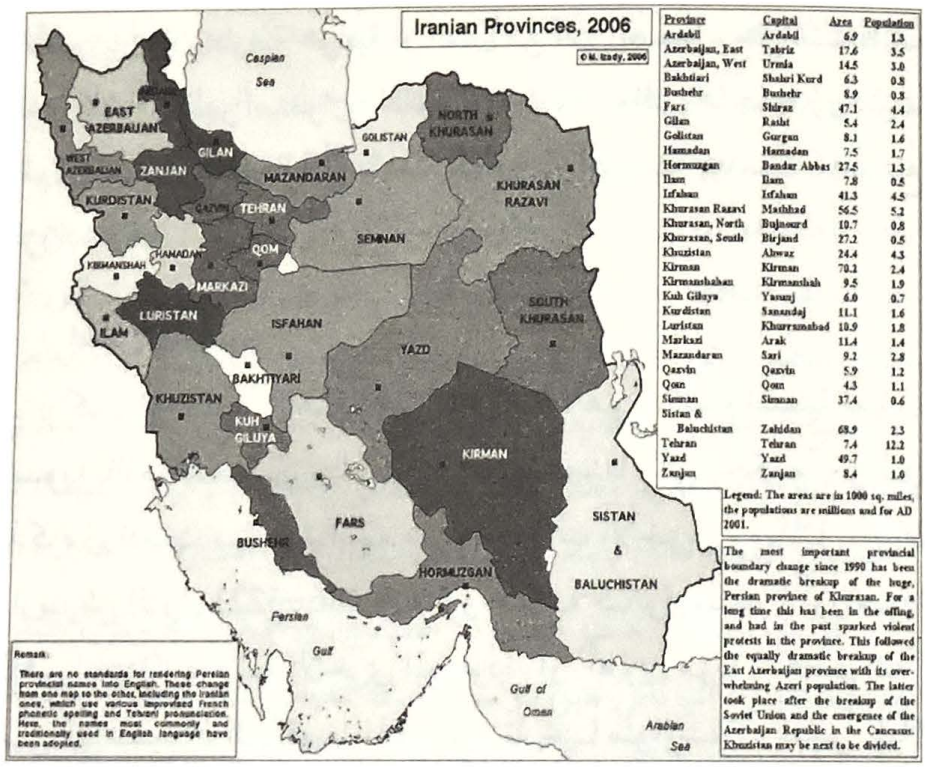

Province	Capital	Area	Population
Ardabil	Ardabil	6.9	1.3
Azerbaijan, East	Tabriz	17.6	3.5
Azerbaijan, West	Urmia	14.5	3.0
Bakhtiari	Shahri Kurd	6.3	0.8
Bushehr	Bushehr	8.9	0.8
Fars	Shiraz	47.1	4.4
Gilan	Rasht	5.4	2.4
Golistan	Gurgan	8.1	1.6
Hamadan	Hamadan	7.5	1.7
Hormuzgan	Bandar Abbas	27.5	1.3
Ilam	Ilam	7.8	0.5
Isfahan	Isfahan	41.3	4.5
Khurasan Razavi	Mathhad	56.5	5.2
Khurasan, North	Bujnoord	10.7	0.8
Khurasan, South	Birjand	27.2	0.5
Khuzistan	Ahwaz	24.4	4.3
Kirman	Kirman	70.2	2.4
Kirmanshahan	Kirmanshah	9.5	1.9
Kuh Giluya	Yasuuj	6.0	0.7
Kurdistan	Sanandaj	11.1	1.6
Luristan	Khurramabad	10.9	1.8
Markazi	Arak	11.4	1.4
Mazandaran	Sari	9.2	2.8
Qazvin	Qazvin	5.9	1.2
Qom	Qom	4.3	1.1
Simnan	Simnan	37.4	0.6
Sistan & Baluchistan	Zahidan	68.9	2.3
Tehran	Tehran	7.4	12.2
Yazd	Yazd	49.7	1.0
Zanjan	Zanjan	8.4	1.0

Legend: The areas are in 1000 sq. miles, the populations are millions and for AD 2001.

خريطة إيران الحالية:

كان زرادشت في الأصل كاهناً مجوسياً، لكن يبدو أنه أصلح أو نقّى عقائد المجوس. ويمكن أن نجد تعاليمه الدينيّة محفوظة في الأفستا. لكن شخصيّة الديانة الزرادشتيّة قبل زمن زرادشت غير معروفة؛ مع ذلك فمقارنة بينها وبين ديانة الهندوس تظهر أنها لا بدّ أنّه كان لديها أشياء كثيرة مشتركة مع ديانة الهند القديمة. ويمكن الافتراض أنها كانت عبادة ـ طبيعة معدّلة، إضافة إلى سمات من التعددية الإلهيّة وبعض

آثار من العقائد الشيطانيّة. يقول هيرودوتس[1]، إن الفرس منذ الأزمنة الغابرة كانوا يعبدون الشمس، القمر، النجوم، الأرض، الماء والريح، ويلمّح بكلمات دقيقة إلى أنهم أخذوا عناصر دينيّة بعينها من الآشوريين. إن ممارسة خرافيّة أو اثنتين من التي يصفها، مثل استعطاف قوى الشرّ، تظهر استمرارية طقوس شيطانيّة، والتي هاجمها زرادشت بقوة؛ لكن الوصف الذي يقدّمه للطقوس المجوسيّة يتناسب تماماً مع الزرادشتيّة.

إصلاح زرادشت

كان زرادشت كاهناً لأهورا بعينه (الأهورا كلمة افستية تعادل أسورا باللغة السنسكريتية) يحمل اللقب مزدا، أي "حكيم"، الذي يذكره زرادشت مرة في ترانيمه مع "الأهورات الآخرين". وبالمثل، فإن داريوش الأول (522—486 ق.م.) وخلفائه كانوا يعبدون أورامزدا (أهورا مزدا) "والآلهة الأخرى الموجودة" أو "أهورا مزدا، أعظم إله". من الواضح أن الواقعتين المتصلتين تاريخياً متوازيتان: فعلى كلا الجانبين، فإن أساسيات التوحيد موجودة، على الرغم من أنها بشكل أكثر تفصيلية عند النبي زرادشت.

"أعيد تنظيم الإيمان الفارسي من قبل النبي زرادشت وفقاً لثنوية صارمة من مبادئ الخير والشر، النور والظلام، والملائكة والشياطين. هذه الأزمة تركت تأثيراً عميقاً ليس فقط على الفرس، بل أيضاً على

(1) *Hist.* i. 131

موضوع المعتقدات العبرية، وبالتالي على (بعد قرون) الديانة المسيحية.[1]"

لم يكن من الممكن بعد وضع تراتيل زرادشت، الغاثات، في سياقها التاريخي. فما من مكان ولا من شخص مذكورين فيها معروفين من أي مصدر آخر. ففيشتاسبا Vishtāspa، حامي النبي، لا يمكن إلا أن يكون الاسم ذاته لوالد داريوش، الملك الأخميني. وكل ما يمكن أن يقال بأمان هو أن زرادشت عاش في مكان ما في شرق[2] إيران، بعيداً عن العالم المتحضر في غرب آسيا، قبل أن تتوحد إيران في ظل قورش الثاني الكبير. ولو أنّ الأخمينيين سمعوا عنه يوماً، كانوا سيرون أنه من المناسب أن يذكروا اسمه في نقوشهم وأن يلمحوا إلى الكائنات التي أحاطت بالإله العظيم والتي كانت ستدعى لاحقاً بالأميشا سبنتا، أو "الخالدين العظماء" — سمة جوهرية في العقيدة الزرادشتية.

كانت الديانة تحت حكم الأخمينيين في أيدي المجوس، الذي يصفهم المؤرخ اليوناني هيرودوتس كسبط مديانى ذي عادات خاصة، مثل الكشف عن الموتى، محاربة الحيوانات الشريرة، وتفسير الأحلام. ومرة أخرى، فالعلاقة التاريخية مع زرادشت ــ الذي يتجاهله

(1)**Joseph Campbell,** *The Hero with a thousand faces.*

(2) مكان ولادة زرادشت غير معروف، ولغة الغاثات ليست شبيهة بما يفترض أنها لهجتا الإقليمين الشمالي -الغربي والشمالي -الشرقي في فارس. وهنالك من يقترح أنه ولد في إحدى هاتين المنطقتين وعاش في المنطقة الأخرى. Nigosian, Solomon Alexander (1993), *The Zoroastrian Faith: Tradition and Modern Research*, McGill-Queen's Press, pp. 17-18.

هيرودوتس أيضاً ـ هي علاقة ضبابية. من غير المعروف متى وصل مذهب زرادشت إلى غرب إيران، لكن كان يجب أن يكون قبل عصر أرسطو (384–322 ق.م.)، الذي يلمح إلى ثنويته.

كما أشرنا من قبل، فداريوش، عندما استولى على السلطة عام 522 ق.م.، كان عليه أن يقاتل مدعياً بالعرش، غاوماتا المجوسي، الذي ادعى بأنه باردیا، ابن قورش الكبير، وأخو الملك قمبيز. المهم هنا هو أن هذا المجوسي دمّر الأضرحة الدينية، الأيادانات ayadanas، التي أعاد داريوش بناءها. أحد التفسيرات المحتملة لهذه الأحداث هو أن غاوتاما تبنى الزرادشتية، وهي عقيدة اعتمدت على ولاء عامة الناس، وبالتالي دمرت المعابد أو المذابح المكرّسة لآلهة النبلاء. وداريوش، الذي يدين بعرشه لدعم بعض النبلاء، لا يمكن أن يكون قد ساعد في تفضيل عبادتهم، على الرغم من أنه اعتمد على أورامزدا كوسيلة لتوحيد إمبراطوريته.

ذكر أحشويروش، خليفة داريوش، في أحد نقوشه كيف أنه في مكان معين (غير مسمى) أحلّ عبادة أورامزدا محلّ عبادة الدايفات، والذي لا يعني أنه كان يعارض عبادة الدايفا بحدّ ذاتها، كما كان الزرادشتي الحقيقي يفعل، بل فقط أنه استأصل في مكان ما ـ ربما في بابل ـ عبادة الآلهة الغريبة على ديانة الأهورات. الأمر هنا يشير إلى تغيير في الموقف، مقارنة بتسامح قورش مع الأديان الغريبة، مثل الديانة البابلية أو الدين اليهودي.

من أرتحششتا الثاني (404 - 358/359) فصاعداً، تذكر النقوش، إلى جانب أورامزدا، ميثرا والإلهة أناهيتا[1] (أناهيت)، التي لا تبرهن إلا على نوع من التأكيد على نوعيات قديمة من الآلهة، وليس على ظهور الآلهة الجديدة.

حقبة الأرساسيد

نتيجة لغزو الإسكندر، غُمرت الديانة الإيرانية تقريبًا بموجة الهيلينية. ففي سوسة، على سبيل المثال، والتي كانت واحدة من عواصم الأخمينيين لكن حيث لم يكن دين أورامزدا أهلياً، لا تمثل نقود السلوقيين والأرساسيين إلهًا إيرانيًا واحدًا.

لكن الديانة الإيرانية عادت من ثم تدريجياً مرة أخرى. ففي كوماجيني Commagene في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، تحمل الآلهة خلطة من الأسماء اليونانية والإيرانية: زيوس أورومازديس، أبولو ميثرا، هيليوس هيرميس، أرتاغنيس هيراكليس آريس. كما تمّ العثور على أول دليل على استخدام التقويم الزرادشتي، الأمر الذي يدلّ على الاعتراف الرسمي بالزرادشتية، قبل حوالي 40 سنة في نيسا (بالقرب من عشق أباد في تركمانستان). وبحلول ذلك الوقت، فإن أحد

(1) أناهيتا هي الشكل الفارسي القديم لإلهة إيرانية وهي تظهر في شكل كامل وأكثر قدماً وذلك بوصفها أردفي سورا أناهيال، الاسم الأفستي لشخصية هندو -إيرانية كونية كانت تبجّل باعتبارها إلهة "المياه" (أبان) ومن ثم فهي ترتبط بالخصوبة، الاشفاء والحكمة. إنها أردويسور أناهيد أو ناهيد في الفارسية الوسيطة، وأناهيت باللغة الأرمنية.

الأشكال الأرثوذكسية كان قد تمّ توطيد أركانه والذي انضم فيه أورامزدا والكيانات (القوى المحيطة به) إلى آلهة أخرى مثل ميثرا، الشمس، والقمر.

في برسيس Persis (فارس الحديثة)، تختفي أية إشارة إلى عبادة النار من بداية العصر المسيحي إلى ظهور الساسانيين (أوائل القرن الثالث الميلادي). ويبدو أن القطع النقدية تشير، في عدم إظهارها لمذبح النار، إلى أن الأمير فقد الاهتمام بالديانة الإيرانية.

الحقبة الساسانية

مع أردشير Ardashīr، المؤسس المستقبلي للسلالة الساسانية، كان الوضع مختلفًا، وقد يشير ذلك إلى أن حماسه الديني - ككاهن وريث للستاشر Staxr" Istaxr - كان قد ساعده في الاستيلاء على السلطة في مقاطعته الأصلية، حتى قبل أن يبدأ مهاجمة سيده suzerain الأرساسيدي، أرتابانوس الخامس.

شخصان يتم ذكرهما في الوثائق، في مصادر مختلفة، وذلك على أساس أنهما ساعدا في توطيد أسس الزرادشتية في ظل حكم أول الساسانيين: قرطير Kartēr وتانسار Tansar. وفي حين أن قرطير كان معروفاً من خلال النقوش المعاصرة له، والتي كان معظمها قد كتبه بنفسه، إلا أن تانسار (أو توسار) لا يُذكر إلا في الكتب اللاحقة. وتخبرنا الأخيرة أن تانسار، وهو إربات ehrpat، أو لاهوتي، اضطلع بالمهمة، تحت إشراف أردشير، التي تجلّت بجمع النصوص المقدسة

وإصلاح الشريعة. لقد قام قرطير، الذي كان ناشطاً بالفعل تحت حكم أردشير الأول، لكنه كان ناشطاً أكثر تحت حكم شاهبور وخلفائه، برواية مسيرته اللامعة، التي تعكس ولادة نوعاً من التسلسل الهرمي. كان لا يزال إريات ehrpat تحت حكم شاهبور، عندما استعاد "الديانة المزدية ... في أرض غير إيران التي وصلت إليها الخيول والرجال من ملك الملوك". في ظل حكم هرمز صار ماغوبات أورمازد magupat Ormazd ، وهو المصطلح الذي يبدو أنه صك لأجله والذي يعني "رئيس مجوس أورامزدا". وتحت حكم بهرام (273 -276)، فإن ماني، مؤسس المانوية، الذي كان يتمتع بقدر من التسامح في ظل الملكين السابقين، تمت التضحية به لصالح الزرادشتية ومات في السجن. أطلق بهرام الثاني على قرطير اسم "مخلّص نفس بهرام"، ورفعه إلى مرتبة "نبيل العالم"، وأطلق عليه ألقاباً إضافية من نمط "قاضي الإمبراطورية"، "سيد الطقوس"، و"حاكم نار أناهيت -أردشير في ستاشر وأناهيت السيدة". ومع ترقية قرطير إلى ذروة مهنته، راح يضطهد اليهود، البوذيين، البراهميين، النصارى (اليهود المسيحيين؟)، المسيحيين، المكتاكيين Maktaks [المندائيين، المانويين؟]، والزنادقة [الهراطقة المزدانيين]. يبدو أن نارسيس (293 - 302)، الذي بدأ صراعه من أجل السلطة عندما كان لا يزال شاهبور الثاني على العرش، كان قد استعاد لقب رئيس معبد ستاشر الذي سلّمه سلفه وخصمه لقرطير. وفي عهد شاهبور الثاني، فإن رئيس الكهنة أتوريات، في مجلس لتثبيت نص الأفستا، أثبت حقيقة عقيدته

من خلال الخضوع لمحنة سكب معدن منصهر على صدره فكان أن انتصر على جميع أنواع الطائفيين والهراطقة.

تحت حكم بهرام الخامس (420 – 438)، كما هو مفترض، تم وضع اللقب ماغوباتان ماغوبات magupatān magupat (الماغوس الرئيس للمجوس الرئيسين). في ظل حكم قباد (أو كافاد؛ 488 - 496 و 498 / 499 -531)، اجتازت إيران أخطر أزمة اجتماعية ودينية تحت تأثير مزدك. فهذا المصلح، الذي كانت مذاهبه مستوحاة جزئياً من مذاهب ماني، مُنح مقابلة مع قباد - مثلما استقبل شاهبور الأول ماني قبل زمن طويل، وإن بنجاح أكثر حسماً. وربما كان الملك يأمل عبر إلغاء الملكية والعائلة أنه كان سيحكم كتلة مطيعة. فقد فضّل المزدكيون إلغاء جميع أشكال عدم المساواة الاجتماعية، خاصة الملكية الخاصة، السبب الرئيس لجميع أنواع الكراهية. كان كل شيء عندهم مشتركاً، بما في ذلك النساء. وهددت هذه الآراء بشكل مباشر الأثرياء وكذلك رجال الدين المزدانيين، الذين فهموا ذلك بسرعة. تم إقصاء قباد عن العرش واستبداله بشقيقه جاماسب Jāmāsp. وبعد عامين في المنفى، استعاد قباد عرشه، لكنه كان قد شفي من وجهات نظره حول الحقوق المتساوية وقرر تصفية المزدكيين.

واصل كسرى الأول عمل والده، قباد، وهكذا مهدت الثورة المزدكية الطريق لقيام دولة قوية وكنيسة مزدانية معترف بها. تطلق الكتب الدينية على كسرى اللقب الفريد أنوشيروان anōshirvan، "مع النفس الخالدة"، على الأرجح لسحقه المزدكية ولتمكين "دين جيد" من

الانتصار. تزوج كسرى الثاني (590 / 591 -628) امرأة مسيحية وربما كان هو نفسه مسيحيًا. وكان مولعاً بالخرافات وعلم التنجيم.

من الهند إلى ما بين النهرين

إذا ما أردنا التوقف بسرعة عند الأثر الهندي[1] في الزرادشتيّة، كان فارونا[2]، ميترا[3] وإندرا[4] الآلهة الأعلى في الفيدات. كان على الآلهة الإيرانيّة دعم أرتا، مبدأ الحقيقة، العدل، الخير والنظام، لكن إندرا كان مغامراً بلا أخلاق، وكان يسبغ السمات الاعتباطيّة، لا الثوابات، على أرتا. وأرتا موجود في أسماء الميديين على النقوش الآشوريّة في القرن التاسع قبل الميلاد. ولاحقاً، تم إحلال إله أوحد اسمه أهورا مزدا مكان الآلهة العليا الأصليّة .ولا بدّ أن الإله الذي يدعى أسّارا مازاس، في الألواح الآشوريّة من القرن الثامن، هو أهورا

---

(1) سنناقش في الفصل التالي العلاقة المتقلقلة بين آلهة الهندوس وآلهة الفرس.

(2) فارونا هو إله فيدي مرتبط أولاً مع السماء، ومن ثم مع المياه إضافة إلى رتا (العدل) وساتيا (الحقيقة). ونجده في أقدم طبقات أدب الهندوسية الفيدي، مثل الترتيلة 86.7 من الريغ ـ فيدا.

(3) ميترا هو اسم لإله هندو ـ إيراني والذي تشق منه بعض سمات ميترا في الريغ ـ فيدا وميثرا في الأفستا.

(4) إندرا، المعروف أيضاً باسم دفندرا، هو إله فيدي في الهندوسية، إله حارس في البوذية، وملك السماء العليا في الجانية. تبدو الأساطير المحيطة به وكذلك القوى التي تعزا له مشابهة لتلك التي تعرف عن بعض الآلهة الأوروبية مثل زيوس، جوبيتر، بيرون، ثور وأودن.

مزدا بالذات. أما فارونا فقد اختفى ما لم يعاود الظهور ككائن اسمه باغا، وهي التسمية التي تطلق على فارونا في الفيدات. من جهته، فقد أضحى إندرا رئيس الديفات (الشياطين لاحقاً)، وهو الإله سيّئ الأخلاق الذي طالما كرهه زرادشت .بالنسبة إلى ميثرا فهو إما استعاد وضعه السابق، أو أن أهورا مزدا في إيران كان على الدوام جزءاً من الإله الثنائي ميترا - فارونا في الفيدات. وهكذا، كان ميترا دائماً في أهورا مزدا. وكجزء من الإله العليّ، لم يحظ بتسمية منفردة في النقوش الفارسيّة حتى أرتاحرشش الثاني.

الطبيعة والأهمية

لقد أخضع زرادشت آلهة القبائل الإيرانية لإله واحد عظيم، هو أهورامزدا. وفعل عزرا، بناء على طلب الملك الفارسي، الشيء نفسه مع اليهود. فحوالي عام 400 قبل الميلاد، بمساعدة فارسية، اخترع عزرا ونحميا اليهودية. فجعلوا من الآلهة اليهودية إلهاً وحيداً مفرداً في ديانة توحيدية مشابهاً لأهورا مزدا، ومن اليهود شعباً متحضراً. وحوالي عام 450 قبل الميلاد، لم يكن هيرودوتس يعرف شيئاً عن يهوه أو اليهود أو هيكلهم القديم في القدس، على الرغم من أن الهيكل كان يفترض أن يكون عمره وقتها 500 سنة! انتهى تاريخه قبل أن يصل عزرا، الكاهن، أو نحميا، الخصي الفارسي، إلى منطقة اليهودية. فقط مع عزرا تم تأسيس اليهودية مع شرعها الشهير. اليهود أو اليهوديم كانوا عباداً ليهوه. اعترض عزرا على أن بعض سكّان منطقة اليهودية لم يعبدوا يهوه. وكان عزرا قلقاً بشأن الطهارة الدينية ونقاء

الطبقة الحاكمة من الكهنة، أي مجوس اليهود. لقد انتهكت الزيجات خارج الزرادشتية القانون الزرادشتي ، لذلك قام بتطهير الكهنوت.

الإله الكوني

الرأي التقليدي هو أن قورش والملوك الفارسيين المتعاقبين في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد كانوا ليبراليين دينياً في السماح لليهود بإعادة بناء هيكلهم ودينهم بعد أن عادوا من منفاهم في بابل. لكن ديانة يهوه، التي كان يطلق على عبدتها اليهود، أعيد تشكيلها بالكامل من قبل الغزاة الفارسيين العالميين.

كان هدفهم الحقيقي هو نشر الدين المزداني Mazdaasnaism، أو عبادة أهورامزدا، لتوطيد أسس إمبراطوريتهم. يبدو مؤرخو الفرس في كثير من الأحيان متحمسين للإصرار على أن الملوك الفارسيين لا يرغبون في فرض دين أهورامزدا على الناس الخاضعين للحكم الفارسي. ويمكن أن يكون السبب الوحيد هو تجنب أي اقتراح بأن اليهودية ربما تكون قد كشف عنها من قبل الملوك الفارسيين وليس من قبل يهوه شخصياً. وهم يجادلون بأن الملوك الفارسيين كانوا "سيستردون" الآلهة لكنهم لا يفرضونها. فلماذا قاموا بالقضاء على بعض الآلهة؟ - على الرغم من أنهم باعتراف الجميع دعوهم دايفات أو شياطين، وليس آلهة. لاحظ هنا التمييز الصحيح الذي جعله الزرادشتيون بين الشياطين والآلهة.

كخالق للأشياء الخيّرة، كان أهورامزدا الخالق للآلهة الخيّرة — الآلهة التي تعتبر خيّرة من الأمم الأجنبية. وبالطبع ، تم خلق الآلهة السيئة بواسطة روح الشر. وهذا هو السبب في أن الفرس لا يمكن أن يفترض أن يكون لهم موقف محاب أو حتى محايد من الآلهة الأجنبية. وفي الواقع، كان الحكم عمليًا بحتًا. فعندما عارض الناس المسيرة المتقدمة للفرس، كانت آلهتهم من خلق الشر؛ وإذا رحبوا بهم، كانوا من الخلق الخيّر.

كان الملوك الفارسيون يدمرون عندما يُظهر خصومهم مقاومة قوية. وكان للإسكندر السياسة ذاتها. وتدمير شعب مقاوم كان يشمل تدمير آلهته. لكن تم تدمير المزارات في بابل عام 482 قبل الميلاد، بعد فترة طويلة من غزو قورش لها دون قطرة دم. يعلن أحشويروش على أحد النقوش أنه دمّر مزاراً لآلهة مزيفة وعبدوا عوضاً عنها أهورامزدا. وهذا يبين أن الملوك الفارسيين لم يكن لديهم أي اعتبار مقدس لأديان الأشخاص الخاضعين لسلطتهم عندما كان لديهم سبب لتصنيف آلهتهم على أنهم شياطين.

يبدو أن الفرس كانوا قد قرروا أن إله اليهود كان من الخليقة الخيّرة وهكذا كان يمكن معاملة عباده بنوع من المحاباة. لذلك تم السماح لليهود بجعل الدين العالمي ضمن صورتهم الشخصية، مسترشدين بالمسئولين الفارسيين لأنه كان يجب أن يكون دينًا مكوّنًا من الحقائق الأساسية التي تم تسليمها إلى زرادشت من قِبل أهورامزدا، وإن كان قد تم تقديمه بطريقة متكيفة مع الإله المحلي.

في تاريخ بلاد فارس المتأخر، تم تكريم اليهود تحت اسم الأرساسيديين، وكان الجالوت اليهودي الرابع في المرتبة بعد الملك. وفي ظل حكم الساسانيين، مع ذلك، أصبحوا يعاملون على أنهم هراطقة زرادشتيون. وتشير كلا الاستجابتين إلى قبول الفرس لعلاقة وثيقة بين اليهودية والزرادشتية.

يبدو المدافعون عن الدين من اليهود والمسيحيين يائسين في التأكيد على عدم وجود دليل مباشر على أن الدين اليهودي يعتمد على الدين الفارسي. إنهم يقصدون أنه ليس لديهم نص يعلن بوضوح أن الأمر كذلك، وإذا وجدوا نصاً، فإنهم سوف يتجاهلونه باعتباره مزوّراً أو خاطئاً. وينكر باحثون مثل غاستر وسوديربلوم أي تأثير فارسي لكنهم لا يجازفون بأي بديل، أو يسعون إلى تفسير سبب وصول هذه الأفكار إلى اليهودية فقط بعد عودة "المستعمرين" من بلاد فارس.

الحقيقة الواضحة هي أنه عندما أعاد الملوك الفارسيون إحياء "الآلهة"، لم يُجعل الإحياء إلى ما كانوا عليه – فلأجل ذلك الغرض لم يكن معظمهم بحاجة إلى أي إحياء. وكانوا يكرهون الشعب المهزوم على إلههم الخاص والقيم الزرادشتية لكن باسم الإله المحلي، ولتخفيف الألم، قدموا لهم المال والموارد لمعابد جديدة.

قدّم الفرس إلى الكهنوت في بابل، مصر، عيلام، ساردس، إيونيا واليهودية الدعم لإعادة إحياء دياناتهم. وقد بذل قمبيز (525 - 522 قبل الميلاد) محاولات لإنقاص المداخيل المالية للمعابد المصرية ذات النفوذ، لكن داريوش الأول (521 -486 قبل الميلاد) أولى الثقافة

المصرية اهتماماً ملفتاً، لتأكيد سمعته عند المصريين في المعاملة الحسنة، مثل قورش مع البابليين واليهود. رافق داريوش قمبيز إلى مصر وعاش هناك لعدة سنوات. وكشاه، عام 517 قبل الميلاد، أمر ببناء المعابد بما في ذلك المعبد في واحة الخارجة. كان الأمر ناجحاً بشكل جيد، وقد تم الاعتراف به في مصر كمعط للشريعة نبيل. يقول المسئول المصري، أوداجاهوروسين، إن معبد نيث في سايس، كان كاهناً له حيث كان قد أعيد إحياؤه. ويقول نقش في الفاتيكان إنه استُدعي إلى سوسة لدعم الفرس من خلال ترشيح إداريين مصريين مثقفين موثوق بهم، كثير منهم سيكونون كهنة، كطبقة متعلمة.

بعد الهزيمة الفارسية في ماراثون عام 490 قبل الميلاد، تمرد المصريون عام 486 قبل الميلاد، وهي بداية حقبة من الاضطرابات المصرية. قمع أحشويروش التمرد الأولي بقوة كبيرة عندما وصل إلى العرش (485 قبل الميلاد). لقد جعل ابنه، أخامينيس، ساتراباً، لكنه حرّض على المزيد من الاضطراب بقسوته. وعندما تم اغتيال أحشويروش (465 قبل الميلاد)، ثار المصريون مرة أخرى، بقيادة ابن بساميميتخيوس الثالث، الأمير إيناروس، الذي أضحى شخصية أسطورية. لكن الثائرين هزموا، وتم قتل إيناروس عام 454 ق.م. وكان نحميا قد أُرسل إلى القدس لإعادة بناء هيكلها في ذلك الوقت تقريباً.

توجد بعض الوثائق من هذه الحقبة، لكن ظلّت بقية حقبة حكم أرتحششتا الأول (465 -424 قبل الميلاد) هادئة. استقبلت انتفاضة أخرى داريوش الثاني (423 -405 قبل الميلاد)، وعانى عهد حكمه

كله من المتاعب على الرغم من أنه حاول، من خلال مشاريع البناء، كسب ودّ المصريين. كان هذا داريوش، وليس داريوش الكبير، الذي من المرجح أن يكون من بنى أو من أعاد بناء هيكل القدس (417؟ قبل الميلاد).

قام أميرتايوس الذي من سايس بتحرير الدلتا عام 404 قبل الميلاد. وقد خلفه عام 399 قبل الميلاد نفريتس الأول من مندس (399 -393 قبل الميلاد) مع بساموثيس (393 قبل الميلاد) وهاكور (380393- قبل الميلاد) الذي قام بتحصين مصر ضد الحملات الفارسية 385 -383 قبل الميلاد. هُزم الفرس على يد نخت أنبو الأول (380 -362 قبل الميلاد) عام 373 ق.م. تيوس (360362- قبل الميلاد) أعقبه لفترة وجيزة، ثم نخت أنبو الثاني (343-360 قبل الميلاد) الذي أخّر أردشير الثالث الأخميني عام 350 قبل الميلاد، لكن الفارسي فاز عام 343 قبل الميلاد بإعادة الحقبة الفارسية الثانية التي استمرت حتى الإسكندر المقدوني الثالث، الكبير.

كان الفرس سعداء بقبول العديد من الآلهات على أنها مساوية لاناهيتا Anahita. وكان قورش الصغير يتعبّد في معبد أرتميس (ديانا الرومانية) التي لا بد أنه كان يعتبرها أناهيتا. أصبحت أناهيتا مشهورة في كابادوكيا وأرمينيا ودمر الرومان المعابد المكرّسة لأناهيتا في أرمينيا بعد عدة قرون. وافق الفرس على أبولو كمكافئ لميثرا. وعلى ما يبدو، فكون "الإله ميثرا" في الكتابة الآرامية هو عبارة عن تورية "لكل الآلهة" إنما يقدّم تفسيراً محتملاً حول لماذا أصبح ميثرا مهمًا للغاية ومساوياً

لأهورا مزدا في العديد من الأماكن. كان معبد الإله ميثرا مكاناً لجميع الآلهة. وكان ميثرا يُعبد على نطاق واسع في بلاد فارس ولاسيما في الأناضول، ويجري التصديق على ذلك في كل من ليديا، فرجيا، كيليكيا، طرسوس، بونتوس وكوماجينه، بل تم العثور على ذلك في مواقع بعيدة مثل باكتريا وحتى خارج بلاد فارس عبر البحر الأسود في شبه جزيرة القرم.

كان الإيرانيون سعداء للغاية بقبول مردوخ أو زيوس كاسم محلي لأهورامزدا، خاصة كزيوس، ثيوس وزيوس ماجستوس. لم يكن الفرس يريدون أن يخلقوا شقاقاً من خلال وجود إلهين محليين ينظر إليهما على أنهما مساويان لأهورامزدا. إذا كان هناك مرشحان، كان على أحدهما أن يذهب. ربما هذا هو السبب في اختفاء إيل بينما استمر يهوه في فلسطين. لقد عُبد أهورامزدا على نطاق واسع في ليديا بعد الفتح الفارسي تحت اسم زيوس. ومن المؤكد أن خلفاء الإسكندر والرومان كانوا دون شك قد أعادوا هلينة هذه المعابد المكرّسة لعبادة زيوس، لكن من المعقول أن أولئك الذين لم تعجبهم النسخة الهيلينية تبنّوا اليهودية. كان لدى آسيا الصغرى عدد كبير من اليهود في العصر الروماني.

في غرب آسيا الصغرى، تتوقف سجلات المعابد "الفارسية" من القرن الثالث الميلادي عندما تم قمعها عبر مرسوم مسيحي؛ لكن في القرن السادس الميلادي، تفاوض كسرى الأول أنوشروان مع إمبراطور بيزنطي لإعادة بناء معابد النار في مناطق سيطرته، وعلى الأرجح في

كابادوكيا. لقد تم تتبع أثر وجود *نصوص موحاة سيبلية* فارسية، وربما أن الفرس هم أول من تبنّى من غير اليونانيين هذا النوع من *نصوص سيبيل الموحاة*، والتي من خلالها نقلوا النبوءات والتوقعات الفارسية. وبمرور الوقت، نمت هذه النصوص الموحاة لتأخذ شكل قصائد أطول بشكل عام، والتي كان يمكن من خلالها نقل العقيدة. وهكذا يبدو أنه من خلال فرس الشتات الغربيين أن الزرادشتية قدمت مساهمة قوية للدين والفكر في العالم الهلنستي.

تأثير السبي

من الواضح أن هيرودوتس لم يكن لديه معرفة بيهوه وشعبه المختار، اليهود، أو بهيكلهم القديم في القدس عندما كتب تاريخه حوالي عام 450 قبل الميلاد، على الرغم من أن الهيكل كان يفترض أن يكون عمره آنذاك 500 سنة – كما أشرنا من قبل! لقد عرف عن الختان في المنطقة، لكن هذا كان من عادات المصريين، وكان سيعكس فقط التأثير المصري على فلسطين أثناء الاستعمار. انتهى تاريخه قبل وصول نحميا، الخصي الفارسي، كحاكم لمنطقة اليهودية عام 445 قبل الميلاد أو عزرا، الكاهن، الذي وصل عام 428 قبل الميلاد، 397 قبل الميلاد أو 417 قبل الميلاد (التاريخ هو السنة السابعة من أرتحششتا قد يكون من أرتحششتا الثاني، أو السنة 37 من أرتحششتا الأول والذي هو غير صالح، لكن الأكثر ترجيحاً هو أن المعني بذلك السنة السابعة من داريوش الثاني (417 قبل الميلاد)). لم تتأسس اليهودية إلا مع عزرا،

بشريعته المشهورة، ولم يكن للهيكل أدنى سلطة، حتى لو كان هناك عائدون آخرون قد قاموا ببناء الهيكل بالفعل، وهذا أمر مشكوك فيه.

تظهر علامة التأثير الفارسي في إرميا. كان راب -ماغ رئيس المجوس. وأسفار العهد القديم مثل أخبار الأيام الثاني، عزرا وتثنية - إشعياء تنم عن تأثير قوي من بلاد فارس. وبالتالي، فإنهم حتى يستخدمون حقب حكم حكام الملوك الفارسيين كأساس لتواريخهم. بل إن بعض المقاطع "تبدو فارسية بقدر ما هي عبرية". يجب أيضًا اعتبار أن أصول الفلسفة اليونانية، التي ظهرت أيضًا في زمن الفرس، لها علاقة بالأفكار الزرادشتية.

كان اليهود ينظرون إلى الملك الفارسي قورش كمخلّص. فقد أمر بإعادة بناء هيكل القدس، كما نعرف من النقوش وكذلك من العهد القديم، وقد أعجب به كثيراً النبي أشعياء. وفي نهاية أخبار الأيام الثاني نجد الآيات ذاتها تماماً التي نجدها في بداية عزرا:

عز 1 -1: وفي السَّنَةِ الأُولى لِقورُش، مَلِكِ فارِس، لِكَي يَتِمَّ ما تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ على لِسانِ إرمِيا، أَثارَ الرَّبُّ روحَ قورُش، مَلِكِ فارِس، فأَطلَقَ نِداءً في مَملَكَتِه كُلِّها وكِتاباتٍ أَيضاً، قائِلاً: عز 1 -2: هكذا قالَ قورُش، مَلِكُ فارِس: جَميعُ مَمالِكِ الأَرضِ قد أَعْطانيها الرَّبُّ، إلهُ السَّمَوات، وأَوصاني بِأَن أَبنِيَ لَه بَيْتاً في أُورَشَليمَ الَّتي بِيَهوذا. عز 1 -3: فمَن كانَ مِنكُم مِن شَعبِه أَجمعَ، فإِلهُه يَكونُ معه، فليَصعَدْ إِلى أُورَشَليمَ الَّتي في يَهوذا ويَبْنِ بَيتَ الرَّبِّ، إِلهِ إِسْرائيل، وهو الإِلهُ الَّذي في أُورَشَليم.

וּבִשְׁנַת אַחַת לְכֹרֶשׁ מֶלֶךְ פָּרַס לִכְלוֹת דְּבַר־יְהוָה מִפִּי יִרְמְיָה הֵעִיר יְהוָה אֶת־רוּחַ כֹּרֶשׁ מֶלֶךְ־פָּרַס וַיַּעֲבֵר־קוֹל בְּכָל־מַלְכוּתוֹ וְגַם־בְּמִכְתָּב לֵאמֹר: 2 -1: כֹּה אָמַר כֹּרֶשׁ מֶלֶךְ פָּרַס כָּל מַמְלְכוֹת הָאָרֶץ נָתַן לִי יְהוָה אֱלֹהֵי הַשָּׁמַיִם וְהוּא־פָקַד עָלַי לִבְנוֹת־לוֹ בַיִת בִּירוּשָׁלִַם אֲשֶׁר בִּיהוּדָה: 3 -1: מִי־בָכֶם מִכָּל־עַמּוֹ יְהִי אֱלֹהָיו עִמּוֹ וַיַּעַל לִירוּשָׁלִַם אֲשֶׁר בִּיהוּדָה וְיִבְנֶה אֶת־בֵּית יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל הוּא הָאֱלֹהִים אֲשֶׁר בִּירוּשָׁלִָם:

لا يقول قورش في هذا الاقتباس بكل بساطة إن يهوه قد كلفه ببناء منزل له في القدس، بل "إله السماوات"، والذي هو ليس غير أهورامزدا، والذي تم تحديده على أنه يهوه (الرب)، لكنه من ثم دعاه (أو مؤلف عزرا) يهوه (الرب) "إله إسرائيل". وبعد السبي نجد أن "إله إسرائيل"، يهوه، يلقّب "بإله السماء" معلناً بأنه أهورامزدا. إن إناءً لقورش وجد على تل في بابل يؤكد الدور ذاته لقورش في بابل في ما عليه من نقش:

لقد اعتبر الرب العظيم مردوخ على نحو تفضيلي أن الخلاص، أي، المخلّص لشعبه، عمله المنتصر، وقلبه الصالح، يذهب ناحية مدينته بابل كصديق ورفيق إلى جانبه.

حاول الباحثون الادعاء بأن الإشارة إلى مردوخ بدلاً من أهورامزدا هي خطأ طائش، لكن إذا كان الأمر كذلك، فقد كان ذلك طائشاً للغاية، حيث تم ختم هذه النقوش على آلاف الأشياء الطينية باستخدام ختم اسطواني. ونقش الإناء يقول إن قورش أخذ بابل دون سفك دماء، وبالتالي كان ذلك من دواعي سرور مردوخ!

لقد جعل مردوخ الرب العظيم القلوب الشريفة لأهل بابل تميل إلي لأنني كنت أفكر يومياً بعبادته ... أتمنى أن تصلي جميع الآلهة الذين جلبتهم إلى مدنهم يومياً أمام بعل ونبو من أجل حياة طويلة لي... ويتحدّثون للرب العظيم مردوخ عن قورش الملك الذي يخافك وقمبيز ابنه.

بقدر ما يتعلّق الأمر بالبابليين، من الواضح أن قورش اعتبر أن مردوخ كان أهورامزدا. الزرادشتية كانت ديانة توحيدية. كان أهورا مزدا الإله الوحيد، لكن لم يكن هناك ما أعلن أن أهورامزدا كان اسم الله الوحيد. كان قورش سعيداً بتأقلم جميع "الأرباب الكبار" لإمبراطوريته في الرب العظيم الواحد. وكل ما كان الملك يفعله في إقامة هيكل في القدس هو أن يجعل من يهوه أهورامزدا أيضاً.

يتم وصف الآلهة اليهودية والفارسية بعبارات متطابقة. في اشعياء نقرأ:

اش 45 -12: أنا صَنَعتُ الأَرض وخَلَقتُ البَشَرَ علَيها. يَدايَ بَسَطَتا السَّموات وأنا أَمَرتُ جَميعَ قوَاتِها.

ويحتوي نقش داريوش في بيهستون على النص:

إله عظيم هو أهورامزدا، الذي صنع الأرض والسماء هناك، وصنع الإنسان.

وأكثر من ذلك، تتفق النصوص المقدسة اليهودية مع رأي الملوك الفارسيين مثل قورش على أن "الرب إله السماء قد أعطاني كل ممالك الأرض" لأن النقوش الفارسية تقول بوضوح:

كما خلق أهورامزدا هذه الأرض ، أعطاها لي.

في أشعياء 45، على المؤلف أن يجهد نفسه كي يكون واضحاً بأن الإله هو يهوه صراحة، إله إسرائيل، لكن ذلك لم يكن ليمنع قورش أو داريوش اللذين كانا مع ذلك قد رأيا أن الله هو مثل أهورامزدا، بشرط أن تكون قوانينه مطاعة، لكن لن يكون هنالك شيء خاص حول ما كان يسميه السكان المحليون به. الأهم من ذلك هو تأكيد يهوه على أنه، بعكس أهورامزدا، كان إله النور والظلام، الخير والشر — ربما كان ذلك لمسة من قلم المحرر المكابي:

اش 45 -7: أنا مُبدِعُ النُّورِ وخالِقُ الظَّلام

بعد الكثير من المتاعب، بدأت الخطة تعمل بشكل ممتاز تحت سيطرة الفرس، لكنها انهارت بعد ذلك تحت سيطرة اليونانيين. لقد أصبح عابدو يهوه مقتنعين للغاية بالإله الذي أقامه الفرس إلى درجة أنهم لم يكونوا ليصفحون عن آلهة اليونانيين، وقد أصر المكابيون ـ المدعومين من قبل المصريين والرومانيين - على أن الإله اليهودي كان إلهاً غيوراً ومنتقماً ومتعطشاً للدماء خوفاً من تحريك اليهود إلى الاحتجاج المتمرد ضد أعدائهم اليونانيين.

نحميا وعزرا

إن اليهوديم الذين عادوا جاءوا معهم بدعاية تقول إن قورش كان يعيد إحياء إله قديم عندما كان يخلق معبداً لأهورامزدا، يرتدي ثوب عادة محلية. لكن "العائدين" اضطروا إلى إقناع الإسرائيليين العاديين غير المتعلمين وغير المهرة الذين لم يتم نقلهم واحتفظوا بمعتقداتهم الأصلية

بأن التغيير هو ما أرادوه. السكان المحليون في التلال اليهودية لم يقرّوا بالإله الجديد ورفضوه هو وأتباعه: لقد عارضوا زربابل وعائديه.

تأخر بناء المعبد الذي صممه الملك الفارسي قورش، بوسائل سياسية ومادية. وفي نهاية المطاف، بنى هؤلاء "اليهوديم" الذين لم يسبوا هيكلهم الخاص على جبل جرزيم وشطبوا القدس من أسفارهم الخمسة الأولى من التوراة. كانوا هم الإسرائيليين الأصليين وإن تم رفضهم كسامريين و"شعب الأرض" أو עם הארץ،[1] من قبل عابدي يهوه الجديد. وفي ظل حكم الإغريق، ظهرت انشقاقات أخرى، فالفصيل الموالي لليونانيين سلّم مقاليد السلطة ليصبح الصدوقيين الذين يفترض أنهم يتبعون خط كهنة الهيكل الذين يحملون اسم صدوق الأسطوري (باليونانية، سادّوك) ويرفضون الأفكار الفارسية، أمّا الفصيل المؤيد للفارسية فيطلقون على أنفسهم اسم الحسيديين، المتدينين، قبل أن ينشقوا إلى الفريسيين (الفرس) والإسينيين (المنقذون أو المخلصون).

في نهاية المطاف، كان على الحاكم الفارسي أن يدعو "العائدين" من المنفى كي ينتظموا للعمل، وتم تعليق العمل في الهيكل، إذا كان قد

---

(1) شعب الأرض هو مصطلح من حقبة الهيكل الثاني وهو يشير إلى المكانة الاجتماعية لليهود الذين لم يكونوا يتقنون الهالاخا والشريعة، وذلك مقابل مكانة الأعضاء المتعلمين جيداً. إن أصل التعبير هو وصف "للشعب الذي يعيش في الأرض"، أي، المناطق الفلاحية التي لا تعتبر مدينة. فبسبب البعد وقسوة العيش كانوا أقل اتقاناً للهالاخا من قاطني المدن. أنظر: פרופ' גדי אלגזי، הערים בימי הביניים.

بدأ، بعد عامين فقط. أمر داريوش بشدة أن يبدأ "العائدون" العمل في مهماتهم كما يقول مرسوم قورش. وعُيّن كاهن كبير لتحفيز الأحداث وكان سيرسل مجموعة جديدة من "العائدين" لتحفيز الآخرين. ومن المفترض أن يكون الهيكل قد انتهى في السنة السادسة من حكم داريوش، 516 ق.م.

بعد حوالي نصف قرن، قام أرتحششتا الأول بإخماد ثورة مصرية أخرى، على الرغم من أن المصريين ساعدهم حلفاؤهم اليونانيون الأثينيون، على أمل تأمين إمدادات موثوقة من القمح. تعرض الأسطول اليوناني لضربة قوية، مما يدل على أن فوزهم على أحشوريوش في سلاميس لم يكن من خلال أي تفوق جوهري. مع ذلك، كانت أثينا تصل الآن إلى ذروتها تحت قيادة بركليس، وأجبروا الفرس على تقديم تنازلات مهمة. كانت منطقة آسيا الصغرى غرب هاليس منزوعة السلاح، مما أعطى المدن اليونانية الكثير من الحرية وتحسّن التبادل الثقافي بين اليونان وبلاد فارس بالفعل. سافر هيرودوتس وكتب تواريخه وديموقريطس، بعد أن التقى علماء وأساتذة الرياضيات في بابل ، عمل على نظريته الذرية.

بين العامين 445 و 397 قبل الميلاد، كان أرتحششتا يوزع عقارات بلاد ما بين النهرين على الأمراء الفارسيين بعد نقل أصحابها، البابليين الأصليين، إلى مناطق بعيدة. وفي الوقت نفسه، كان يروج لعبادة الكهنة المجوس على حساب الإله الأصلي بعل ـ مردوخ. ولا شك أن بعض هؤلاء البابليين قد تم ترحيلهم إلى منطقة اليهودية.

كانت المهمات التوراتية لنحميا وعزرا المدعومة من قبل حكومة الإمبراطورية الأخمينية هي جعل السكان الكنعانيين يقبلون فكرة الإله الكوني تحت الاسم المحلي "يهوه". اضطر أرتحششتا إلى إرسال نحميا من بلاد فارس حوالي 445 قبل الميلاد لجعل اليهود يتبنون الإله الجديد. كان شرطه على "العائدين" للاحتفاظ بدعم فارس هو الولاء المطلق، الشرط الذي وضع على جميع المُرحّلين. أقام نحميا مأدبة لمئة وخمسين حاكماً (نح 5: 17)[1]. كان على الضيوف الذين يحضرون مآدب الملك الفارسي الاستحمام وارتداء اللباس الأبيض، ويجب أن يكون هذا هو مطلب مأدبة نحميا. سيكون هذا مصدراً لقاعدة سلوك الأسينيين في مآدبهم، حيث يحضرها من يختاره المسيا، الملك.

عزرا، خادم آخر للملك الفارسي الذي ولد وتلقى تعليمه كقارئ إلهي في بابل، أرسل إلى اليهود من بابل. وعلى الرغم من أن الهيكل المفترض كان قد تم بناؤه، يبدو أنه لم يكن معظم مواطني منطقة التلال يرغبون في التغيير وكانوا يعيقون العبادة الأجنبية التي تم استيرادها. كان الملك (داريوش الثاني لا أرتحششتا) قلقًا من أنه يجب أن يتم تهدئة الدولة الجبلية كجيران وحلفاء محتملين للمصريين المتمردين.

أمر عزرا بتعيين قضاة وحكّام يحافظون على منطقة اليهودية في ظل شرائع إلهها الجديد، يهوه. كان على عزرا أن " عز 7 -10: لأنَّ

(1) نح 5 -17: وكانَ على مائِدَتي مِنَ اليَهودِ والحُكّامِ مِئَةٌ وخَمْسونَ رَجُلاً، فَضلاً عمَّن قَدِمَ إِلَينا مِنَ الأُمَمِ الَّتي حولَنا.

عَزْرا وَجَّه قَلبَه لِدَرسِ شَريعَةِ الرَّبِّ والعَمَلِ بها، ولِيُعَلِّمَ في إسْرائيلَ الفَرائِضَ والأحْكام. فَرَمان أرتَحْشَشْتا" (عزرا 7: 10) وأن يرى ما إذا كان أهل اليهودية "موافقين على شريعة الله". وضع عزرا هذه الشريعة لشعب مرتبط بالفعل بشريعة موسى القديمة التي يفترض أن عمرها 1000 عام! هل نسي اليهود ناموس موسى؟ هل كانوا بحاجة لأن يتعلموا الحضارة من قبل الفرس؟ لم يكن يعلّم أي دين عرفه شعب منطقة اليهودية. إنها إشارة واضحة إلى أن ناموس موسى كان شريعة عزرا.

في نحميا 8[1] ، قرأ عزرا من سفر الشريعة ما لم يستطع أن يفهمه

(1) نح 8 -1: اِجتَمَعَ الشَّعبُ كلُّه كرَجُلٍ واحِدٍ في السَّاحَةِ الَّتي أمامَ بابِ المِياه، وتَكَلَّموا مع عَزْرا الكاتِبِ في إحْضارِ سِفرِ شَريعَةِ موسى الَّتي أمَرَ بِها الرَّبُّ إسْرائيل. نح 8 -2: فأحضَرَ عَزْرا الكاهِنُ الشَّريعَةَ أمامَ الجَماعَةِ مِنَ الرِّجال والنِّساءِ وكُلِّ ذي فَهْم، لِيَسمَعَ في اليَومِ الأوَّلِ مِنَ الشَّهرِ السَّابِع نح 8 -3: وقَرأَ فيه في السَّاحَةِ الَّتي أمامَ بابِ المِياه، مِنَ الصُّبحِ إلى نِصفِ النَّهار، أمامَ الرِّجالِ والنِّساءِ وكُلِّ ذي فَهم، وآذانُ كُلِّ الشَّعبِ مُصغِيَةٌ إلى سِفرِ الشَّريعة. نح 8 -4: وقامَ عَزْرا الكاتِبُ على مِنبَرٍ مِن خَشَبٍ مَصنوعٍ لِذلك، وقامَ بِجانِبِه مَتَّيا وشامَعُ وعَنايا وأُوريَّا وحِلقِيَّا ومَعَسيا عن يَمينِه، وفَدايا وميشائيلُ ومَلْكِيَّا وحَشومُ وحَشبَدَّانَةُ وزَكَرِيَّا ومَشُلَّامُ عن يَسارِه. نح 8 -5: وفَتَحَ عَزْرا السِّفرَ على عُيونِ كُلِّ الشَّعب، لأنَّه كانَ فوقَ الشَّعبِ كُلِّه، ولَمَّا فَتَحَه وَقَفَ الشَّعبُ كُلُّه. نح 8 -6: وبارَكَ عَزْرا الرَّبَّ الإلهَ العَظيم، فأجابَ كُلُّ الشَّعب: "آمين، آمين"، رافِعينَ أيدِيَهم، وآرتَمَوا وسَجَدوا بِوُجوهِهم لِلرَّبِّ إلى الأرض. نح 8 -7: وكانَ يَشوعُ وباني وشَرِيَّا ويامينُ وعَقُّوبُ وشَبْتايُ وهودِيَّا ومَعَسيا وقَليطا وعَزَرْيا ويوزاباد وحاناني وفَلايا واللاَّويُّونَ يَشرَحونَ الشَّريعَةَ لِلشَّعب، والشَّعبُ في مَوقِفه). نح 8 -8: فقَرأُوا في سِفرِ شَريعَةِ
==

المتحدثون باللغة العبرية ولا المتحدثون باللغة الآرامية ـ يجب أن تترجم الكلمات من قبل الكهنة. ما اللغة التي كان عزرا يقرأ بها؟ ليس العبرية. أي سفر شريعة كان؟ كان يقرأ بوضوح قوانين تشبه الفينديداد. يحدث

اللهِ مُترجمينَ وشارحينَ المَعْنى حتَّى فَهموا القِراءَة. نح 8 -9: (ثُمَّ إنَّ نَحَمْيا الذي هو التِّرْشاتا) وعَزْرا الكاهِنَ الكاتِبَ (واللاَّويِّينَ الَّذينَ كانوا يُعَلِّمونَ الشَّعْب) قالَ لِكُلِّ الشَّعْب: " هذا يَومٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إلهِكم، فلا تَنوحوا ولا تَبْكوا "، وكانَ الشَّعبُ كُلُّه يَبْكي عِندَ سَماعِه كَلِماتِ الشَّريعَة. نح 8 -10: وقالَ لَهم: " أُمْضوا كُلوا المُسَمَّنات، وآشرَبوا الحُلْوَ، ووزِّعوا حِصَصاً على الَّذينَ لم يُهَيَّأْ لَهم، لأَنَّه يَومٌ مُقَدَّسٌ لِرَبِّنا. فلا تَحزَنوا، لأَنَّ فَرَحَ الرَّبِّ حِصنُكم ". نح 8 -11: وكانَ اللاَّويُّونَ يُسَكِّتونَ كُلَّ الشَّعبِ قائلين: " اُسكُتوا، لأَنَّه يَومٌ مُقَدَّس، ولا تَحزَنوا ". نح 8 - 12: فآنصَرَفَ كُلُّ الشَّعبِ لِيَأكُلَ ويَشرَبَ ويُوزِّعَ حِصَصاً ويَفرَحَ فَرَحاً عَظيماً، لأَنَّه فَهِمَ الكَلِماتِ الَّتي عَلَّموه إيَّاها. نح 8 -13: وفي اليَومِ الثَّاني، اِجتَمَعَ رُؤَساءُ آباءِ كُلِّ الشَّعبِ والكَهَنَةُ واللاَّويُّونَ إلى عَزْرا الكاتِب، لِيَتَفَهَّموا كَلِماتِ الشَّريعَة، نح 8 -14: فوَجَدوا مَكتوباً في الشَّريعَةِ الَّتي أَمَرَ الرَّبُّ بها على لِسانِ موسى أَنْ لِيَسكُنْ بَنو إسرائيلَ الأَكْواخَ في عيدِ الشَّهرِ السَّابِع، نح 8 -15: ولْيُسمِعوا ويُنادوا في جَميعِ مُدُنِهم وفي أُورشَليم قائلين: " اُخرُجوا إلى الجَبَل، وأْتوا بِأَغْصانٍ مِنَ الزَّيتونِ والعُتْمِ والآسِ والنَّخيلِ وأَغْصانِ أَشْجارٍ كَثيفَةٍ لِصَنْعِ الأَكواخِ، كما هو مَكتوب ". نح 8 -16: فخَرَجَ الشَّعبُ وأَتى بِالأَغْصانِ وصَنَعَ لَه أَكْواخاً، كُلُّ واحِدٍ على سَطْحِه وفي داره وفي دورِ بَيتِ اللهِ وساحَةِ بابِ المِياهِ وساحَةِ بابِ أَفْرائيم. نح 8 -17: وصَنَعَت كُلُّ الجَماعَةِ الَّتي عادَت مِنَ الجَلاءِ أَكْواخاً وأَقامَت فيها. وكانَ مِن أَيَّامِ يَشوعَ بنِ نونٍ إلى ذلكَ اليَوم أَنَّ بَني إسرائيلَ لم يَعمَلوا مِثلَ ذلك، فكانَ فَرَحٌ عَظيمٌ جِداً. نح 8 -18: وكانوا يَقرَأونَ في سِفرِ شَريعَةِ اللهِ كُلَّ يَوم، مِنَ اليَومِ الأَوَّلِ إلى اليَومِ الأَخير، وأَقاموا العيدَ سَبعَةَ أَيَّام، وفي اليَومِ الثامِنِ كانَ مَحفِلٌ على حَسَبِ ما رُسِم.

تحول ديني على نطاق واسع وفقاً لعزرا 6: 19 -21[1] ونحميا 10: 28 -29[2]. لماذا يحتاج اليهود إلى اعتناق اليهودية؟ ماذا كانوا يعتنقون؟ الجواب هو الزرادشتية، والكتاب الذي كان يقرأ، ربما كان كتابًا فارسيًا مثل "الفينداداد" مكتوبًا بالفارسية. وفقاً للأسطورة الحاخامية، تعزو إحدى الغمارات لعزرا التغيير من الكتابة العبرية إلى الكتابة الآرامية المربعة.

كان التمييز بين الحيوانات الطاهرة والحيوانات غير الطاهرة في سفري اللاويين وحزقيال من الفنديداد، التي تشرح الأمر. إن طقوس التطهير في الفنديداد متطابقة بين أسفار موسى الخمسة في العهد القديم والفنديداد الأقدم منه. أدخل عزرا أيضاً عيد المظال الجديد في الشهر السابع، وهو عيد أياثرم الزرادشتي، ولا بدّ أنه اخترع الأسطورة الكتابية لتبريره. وحوالي عام 400 قبل الميلاد، وضع العهد القديم في

(1) عز 6 -19: وأَقامَ بَنو الجَلاءِ الفِصحَ في الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهرِ الأَوَّل. عز 6 - 20: ولِأَنَّ بَني الجَلاءِ لم يَتَطَهَّروا جميعاً، تَطَهَّرَ اللّاويُّونَ كَرَجُلٍ واحِدٍ وذَبَحوا الفِصحَ لِجَميعِ بَني الجَلاءِ ولإِخوَتِهِم الكَهَنَةِ ولِأَنفُسِهِم. عز 6 -21: فأَكَلَه بَنو إِسرائيلَ الَّذينَ رَجَعوا مِنَ الجَلاءِ وكُلُّ مَن آنضَمَّ إِلَيهِم وأَعرَضَ عَن نَجاسَةِ أُمَمِ الأَرضِ، لِآلتِماسِ الرَّبِّ إِلهِ إِسرائيل. عز 6 -22: وأَقاموا عيدَ الفَطيرِ سَبعَةَ أَيّامٍ بِفَرَح، لِأَنَّ الرَّبَّ فَرَّحَهم وأَمالَ قَلبَ مَلِكِ أَشُّورَ إِلَيهِم، لِيُشَدِّدَ أَيدِيَهم في عَمَلِ بَيتِ اللهِ، إِلهِ إِسرائيل.

(2) نح 10 -28: ومَلُوكُ وحاريمُ وبَعَنَة. نح 10 -29: وباقي الشَّعبِ مِنَ الكَهَنَةِ واللّاويِّينَ والبَوّابينَ والمُغَنِّينَ والنَّتينِيِّينَ وجَميعُ الَّذينَ آنفَصَلوا عَن شُعوبِ البِلادِ وآعتَنَقوا شَريعَةَ الله، ونِساؤُهم وبَنوهم وبَناتُهم، كُلُّ صاحِبِ مَعرِفَةٍ وفَهم،

شكل مكتوب عندما كانت القدس لا تزال تحت سلطة الفرس. وهكذا، هناك الكثير من الأشياء المشتركة بين اللاهوتيات في بلاد فارس وإسرائيل والتي لا يمكن أن تعزا إلى البيئة العامة للأفكار.

إن الفهم غير الدقيق للشرائع التي يتم تناقلها، تكيفها مع الظروف المحلية والتطور اللاحق في ظل حكم اليونانيين والمكابيين، سوف يسمح بالاختلافات بين الشرع الزرادشتي والشرع اليهودي، لكن العديد من أوجه التشابه اللافتة للنظر التي لا تزال موجودة إنما تدلّ على أصلهما المشترك، وهذا لا يمكن أن يكون يهودياً.

لقد أخضع زرادشت آلهة القبائل الإيرانية لإله واحد علي، هو أهورامزدا. وفعل عزرا، بناء على طلب الملك الفارسي، الشيء نفسه في اليهود[1]. وحوالي عام 400 قبل الميلاد، والقدس تحت سلطة الفرس، اخترع عزرا ونحميا الأسفار المقدسة اليهودية. كتبوا أساطير يهودية، والتي كانت تتضمّن العديد من القوانين التي تهدف إلى جعل الآلهة اليهودية إلهًا وحيدًا توحيديًا أقرب ما يكون لأهورامزدا، وجعل اليهود شعباً متحضراً. وحيثما تظهر أي مفاهيم فارسية في الكتب المقدسة اليهودية في حقبة ما قبل السبي، فقد تمت كتابتها بطريقة غير منتظمة في الرواية التي وضعها كهنوت ما بعد السبي.

---

(1) نصوص كثيرة في التوراة تُظهر قناعة اليهود بوجود آلهة أخرى غير إلههم الخاص؛ مثل: مز 16:4، 81:9، 82:1، 86:8، 95:3، 96:5، 97:7، 135:5، 136:2، 136:1؛ إر 1:16، 2:11، 1:16، 2:11، 28، 5:19، 7:6، 18، 10:11، 11:10، 13:10، 16:11، 19:5، 13، 13: 12 -13، 44:17، 48:35.

الزرادشتية:
تاريخ، معتقدات، دين مقارن

لا يمكن الوصول إلى ديانة إيران قبل زمن زرادشت بشكل مباشر، لأنه لا توجد مصادر موثوقة أكثر قدمًا من تلك التي ألفها النبي أو نسبت إليه. يجب دراستها بشكل غير مباشر على أساس من وثائق لاحقة وبنهج مقارن. إن لغة إيران قريبة إلى حد كبير من لغة شمال الهند، وبالتالي، فإن شعبي الأرضين ربما كان لهما أسلاف مشتركون يتحدثون لغة هندية آرية مشتركة. وقد أعيد بناء أديان تلك الشعوب عن طريق العناصر المشتركة الواردة في الكتب المقدسة في إيران والهند، ولاسيما في الأفيستا والفيدا. تظهر المجموعتان النوع ذاته من تعددية الآلهة حيث نجد الآلهة ذاتها على نحو كبير، لاسيما ميترا[1] الهندي (الإيراني ميثرا)، عبادة النار، القربان عبر سائل مقدّس (سوما في

(1) ميترا (بالسنسكريتية *Mitrá*) هو إله في الثقافة الهندوسية، والذي تغيرت وظيفته بمرور الوقت. ففي نقش ميتاني، يتم التضرع إلى ميترا كأحد حماة المعاهدات. في الريغ -فيدا، يظهر ميترا بشكل رئيس في التركيبة المعقدة المسماة ميترا -فارونا، الذي يمتلك أساساً الصفات ذاتها التي يمتلكها فارونا وحده، كما على سبيل المثال الحارس المبدأي لأرتا، "الحقيقة، النظام". في النصوص الفيدية المتأخرة، ميترا مرتبط على نحو متزايد بالنور والفجر وشمس الصباح (في حين أن فارونا يصبح مترابطاً مع المساء، وفي نهاية الأمر مع الليل). في النصوص ما بعد الفيدية — التي يختفي فيها ميترا عملياً ـ تطوّر ميترا إلى الإله الحامي للصداقة، ولأنه "صديق"، فإنه يعاف كافة أشكال العنف، حتى حين تكون مقدّسة.

الهند، هاوما في إيران)، وغيرها من أوجه التشابه. هناك، علاوة على ذلك، قائمة بأسماء الآلهة الهندية الإيرانية في معاهدة أبرمت حوالي عام 1380 قبل الميلاد بين الإمبراطور الحثي وملك ميتاني. وتشمل القائمة ميترا، فارونا، وإندرا، واثنين من الناستيات. وكل هذه الآلهة موجودة أيضاً في الفيدا لكن فقط الأولى تظهر في الأفستا، باستثناء أن إندرا ونانهايثيا يظهران في الأفستا كشياطين؛ وربما استمر فارونا تحت اسم آخر. إذن، يجب أن تكون هناك تغييرات مهمة على الجانب الإيراني، لا يمكن أن تنسب جميعها إلى النبي.

يبدو أن الإيرانيين ـ الهنود قد ميزوا من بين آلهتهم (الدايفا daiva) (المعادل الهندي الإيراني والفارسي القديم لديفا daeva المذكور في الأفستا وديفا deva السنسكريتي، والمرتبطين بديوس اللاتيني)، أي "السماوي"، والأسورا، وهم طبقة خاصة ذات قوى سحرية غامضة. وقد انعكس هذا الوضع في الهند الفيدية. وفي وقت لاحق، صارت الأسورا تعني، في اللغة السنسكريتية، نوعاً من الشياطين، وذلك بسبب الجانب المأساوي لقوة الاسورا غير المرئية. في إيران، لا بدّ أنّ التطور كان مختلفًا: فقد تم تبجيل الأهورات بنوع من الحماس حتى استبعاد الديفات، الذين تم تخفيض مكانتهم إلى مرتبة الشياطين.

إذا لخصّنا المسألة بشكل أوضح، يمكننا القول إن الأهورات (الأسورات عند الهندوس)، تم رفع سويتهم في فارس إلى مرتبة الآلهة الخيّرة، ومن بين الأهورات، جرى اختيار أهورامزدا باعتباره الإله الخيّر الأوحد، وتم تحويل باقي الأهورات إلى كائنات إلهية خيّرة تحيط

بأهورا مزدا أقرب ما تكون إلى الملائكة. بالمقابل، فإن الديفات، التي هي في الهندوسية، نقيض الأسورات الشياطين، تحوّلت في فارس إلى شياطين. وربما أن مصطلح شيطان أو شرير devil مشتق من Daeva المذكور في الأفستا، مع أن المتعارف عليه أيضاً أنه مشتق من διάβολος [ديابولس] اليونانية، التي يُقال إن مصطلح إبليس مشتق منها أيضاً.

شياطين الهندوس والبوذيين: مدخل سريع

كانت وظيفة الملائكة [التسمية هنا غير دقيقة] في أديان الشرق تتولاها الأفاتارات[1]، البوذيساتفات[2]، والكائنات الروحية الأخرى التي كانت امتداداً لله أو القدوس. كان الاعتقاد بالشياطين واسع الانتشار، حيث أثر على الطقوس والأعراف المختلفة للتصدي للقوى المعادية للإنسان والطبيعة. في الهندوسية، فإن الأسورات[3] (الأهورات

(1) أفاتار، مفهوم في الهندوسية والذي يعني "النازل"، ويشير إلى ظهور مادي أو تجسّد لإله على الأرض.

(2) في البوذية، بوديساتفا هو مصطلح سنسكريتي يطلق على أي شخص ولد البودشيتاتا، وهي رغبة طوعية وفكر رحيم لتحقيق بوذية (مبدأ البوذية) لصالح جميع الكائنات الحية.

(3) اسورا، (السنسكريتية: "الإلهي") أهورا الإيرانية، في الأساطير الهندوسية، فئة من الكائنات محددة بمعارضتها للديفات (الآلهة). يظهر مصطلح اسورا أولاً في الفيدا، وهي مجموعة من القصائد والأشعار ألفت من عام 1500 إلى عام 1200 قبل الميلاد، ويشير إلى زعيم إنساني أو إلهي. ساد شكلها بصيغة الجمع تدريجياً ==

الزرادشتية) عموماً هي الشياطين التي هي تعارض الديفايات[1]

وصارت اسماً لفئة من الكائنات المعادية للآلهة الفيدية. في وقت لاحق أصبحت الأسورات تُفهم على أنها شياطين. تم عكس هذا النمط في إيران، حيث صار أهورا يعني الإله الأعظم وصارت الديفات هم الشياطين. في الأساطير الهندوسية، سعت الأسورات والديفات معاً للحصول على الأميرتا (إكسير الخلود) عن طريق خض المحيط الحليبي. على الرغم من أنهم وافقوا على التشارك في الأمريتا، اندلعت الفتنة حول حيازتها، مما أدى إلى صراع لا نهاية له.

مع ذلك، الأسورا ليست كلها شريرة. فمن ناحية، يشعرون بمتعة شديدة من المشاعر السلبية، مما يجعلهم من عشاق الرومانسية للغاية وأصدقاء مرحين. وقد صب العديد من الأسورا انفعالاتهم العاطفية في الدين أيضاً، وأصبحوا ممارسين مخلصين وحتى كهنة. وهم يقدمون التضحيات ويقومون بطقوس التطهير ويبنون المعابد ويقومون بالحج المقدس بحماس كبير.

قسّم الهندوس الأسورا بالتالي إلى مجموعتين: الأديتات الأخيار والدانافات الأشرار. وتشرح النصوص الهندوسية أيضًا أن الأسورا الذي يمارس أعمالاً خيرة يمكن أن يصل إلى المستوى التالي بين الآلهة، ليتحول إلى أسورا ـ ديفا.

وبسبب مشاعرهم المتقلبة ، يعتبر البوذيون أن الأسورا واحدة من "المواليد الأربعة غير السعيدة" ، مما يعني أن التجسّد على نحو سيء كأسورا هو التجسّد كحيوان.

(1) ديفا deva، (السنسكريتية: "الإلهي") ديفا daevaالإيرانية، في الديانة الفيدية في الهند وفي الهندوسية اللاحقة، واحدة من آلهة كثيرة، غالبًا ما تنقسم تقريبًا إلى إلهات السماء والهواء والأرض على أساس تماثلها مع قوى الطبيعة. في أنظمة وحدة الوجود التي نشأت من قبل أواخر العصر الفيدي، أصبحت الديفا تابعة لكائن أعلى واحد. خلال الفترة الفيدية تم تقسيم القوى الإلهية إلى فئتين، ديفات واسورات (بالأفستية، دايفات وأهورات). في الهند، أصبحت الديفا أكثر قوة من الأسورا، وقد أخذت الكلمة الأخيرة في النهاية معنى الشيطان. في إيران، حدث العكس، فقد شجب زرادشت، وهو مؤسس الزرادشتية ، الديافيات على أنها شياطين. لا يزالون يعيشون على هذا النحو في فصول الفولكلور الفارسي، وخاصة ==

(الآلهة). لقد تنافس الطرفان على الهوما، أو الأمرتا (الشراب المقدس الذي يعطي القوة)، لكن الإله فشنو[1] (الحافظ)، المتجسّد كامرأة جميلة (موهيني)، ساعد الآلهة بحيث يشربون لوحدهم الأمرتا، مما يعطي لهم السلطة على الشياطين. وبين الطبقات المختلفة للأسورات الهندوس (الشياطين) نجد: الناغات (الشياطين الثعابين)؛ أهي (شيطان الجفاف)؛ وكامسا (كبير الشياطين). الشياطين التي تؤذي البشر تشمل الراكساسات، وهم كائنات بشعة وشريرة من مختلف الأشكال التي تزور المقابر، تدفع البشر إلى القيام بأعمال حمقاء، وتهاجم الساذوات (القديسون)، وكذلك تشمل البشاكات، وهي كائنات تزور الأماكن التي حدثت فيها وفيات عنيفة.

من خلال ملحمة شاه نامه (أكملت 1010 ؛ "كتاب الملوك") من قبل الشاعر الفارسي الفردوسي Ferdowsī، وفي شيطان أوروبا المسيحية.

يفترض علم الكونيات البوذي وجود ثلاثة عوالم، وتقيم الديفاتات (الآلهة والإلهات) في أعلى ست نقاط، أو مصائر، لأدنى عالم، كاما داتو ("عالم الرغبة"). ضمن هذا المصير هناك العديد من السماوات، كل يسكنها العديد من الآلهة. أهم هذه السماوات هي سماء توسيتا Tusita Heaven، حيث ينتظر بوذا المستقبل، مايتريا، تنتظر وقت مجيئه إلى الأرض؛ سماء الآلهة الثلاثة والثلاثين، التي يرأسها إندا (السنسكريتية: إندرا، وأحيانا يسمى سكا [السنسكريتية: شكرا])؛ وسماء الملوك الحرّاس الأربعة، الذين هم آلهة واقية مهمة في العديد من السياقات البوذية.

(1) أحد الآلهة الرئيسة في الهندوسية، والكائن الأعلى في التقليد الفشنوي. فشنو هو الحافظ في الثالوث الهندوسي الذي يضم إضافة له براهما وشيفا.

إذا كان الرأي البحثي العام ينفي اعتقاد الهندوس والبوذيين والجانيين بالملائكة كما يؤمن بهم أتباع أديان شرق المتوسط الأربعة، فإن اعتقاد الشعوب من الهند إلى اليابان بأرواح الشر، بغض النظر عن التسميات المختلفة، أمر يتفق فيه الجميع تقريباً. وغالباً ما ينظر البوذيون إلى شياطينهم، مثلاً، بوصفها قوى تمنع الإنسان عن الوصول إلى النيرفانا (النعيم أو انطفاء الرغبة). ومن بين هذه الكائنات، مارا، وهو مغوٍ كبير، حاول مع بناته، راتي (الرغبة)، راغا (المتعة)، وتانها (الأرق)، ثني سيدهارتا غوتاما، أي بوذا، عن الوصول إلى الاستنارة. ومع انتشار بوذية الماهايانا (المركبة الكبيرة) إلى التبت، الصين، واليابان، تم دمج العديد من شياطين الديانات الشعبية في هذه المناطق في المعتقدات البوذية. تتجلى شياطين الديانات الصينية، الغواي - شن، في جميع جوانب الطبيعة. إلى جانب شياطين الطبيعة هذه هناك عفاريت، جنيات، وأشباح. ولأنه يعتقد أن الشياطين كانوا يتفادون الضوء، فإن الصينيين الذين تأثروا بالداوية والديانات الشعبية استخدموا النيران، الألعاب النارية، والمشاعل لدرء الغواي. الديانات اليابانية تشبه الديانات الصينية في كثرة الشياطين التي يجب على البشر مكافحتها. وبين أكثر الشياطين اليابانيين إثارة للخوف نجد الأوني، الأرواح الشريرة ذات النفوذ الكبير، والتنغو، الأرواح التي تتملّك الإنسان والتي يجب أن يتم طردها من قبل الكهنة.

تأثير الزرادشتية في الأديان الأخرى

"يعتقد كثيرون أن هذا المذهب، "الزرادشتية"، كان مصدراً مؤثّراً على كلّ من المعتقدات الشرقية والغربية على حد سواء - الهندوسية والبوذية في الشرق واليهودية والمسيحية في الغرب"[1]. وكما ذكرنا سابقًا، ففي حين أنه من الواضح أن هذا التأثير قد أثر بشكل كبير على المتلقين من الناحية الثقافية، فإن التأثير الأكثر غموضاً وإلهامًا غالبًا ما يتم تجاهله. فالزرادشتية، من خلال تأثيرها الثقافي والاجتماعي ـ السياسي، حملت بذرة تصور عالمي لم تكن موجودة في السابق، بل حتى غير قابلة للتصور بالنسبة للأشخاص المتأثرين بها، أي وجود إله واحد، والذي هو خير كلّه، وكلّه نور. إله والذي خلق مادية ثنوية والتي هي بسبب وجودها بالذات تتطلب سماتاً ثنوية، لأن كل سمة هي قابلة لأن يدافع عنها ويمكن اختبارها فقط في السياق الكامل لذاتها مقابل نقيضها. وأخيراً فإنه مفهوم يمنح حياتنا غرضًا ومعنىً، أي أنه تقدمي على نحو متصاعد ويعمل من أجل الخير.

على الرغم من أن تعاليم النبي زرادشت كانت روحانية في المقام الأول، وخالية إلى حد كبير من المعتقدات الأسطورية والطقوسية، إلا أن الديانة التي استندت إلى تعاليمه أدرجت العديد من جوانب تقاليد ما قبل زرادشت، بالإضافة إلى مقاربات مبتكرة وخلاقة للطقوس.

---

(1)) John R. Hinnells, *Persian Mythology*.

حينما وسع الغزاة والملوك الزرادشتيون، وفي مقدمتهم قورش الكبير ونسله، الإمبراطورية الفارسية لتشمل الكثير من العالم المعروف في ذلك الوقت، واجه الزرادشتيون حتما أناسًا من أديان أخرى. وفي حين أن قورش المخلص لتعاليم زرادشت، كان يحترم المعتقدات الأخرى للغاية ويسمح لهم بالازدهار من تلقاء ذواتها، بل حتى دعمها؛ كان من المحتم أن تؤثر الزرادشتية كعقيدة مهيمنة على الشعوب التي تم احتلالها، ربما أكثر من تأثرها بهم.

كما بذلت طبقة الكهنة، أي المجوس أيضاً، قصارى جهدهم للتأثير على الآخرين وإرشادهم إلى طريق البر وأشا. في نهاية الأمر، كان هذا واجبًا أخلاقيًا، لتعليم الآخرين مسار آشا ، ولإظهار لهم نور أهورامزدا ، الإله الكوني.

على نحو فعال، ولّد هذا التأثير الزرادشتي نقلة نوعية رئيسة في أفكار الناس في ذلك الوقت ولعدة أجيال منذ ذلك الحين. لذلك من المبرر تماماً أن ندّعي أن تصور العالم وتعاليم زرادشت كانت قد أثرت على الفكر والحضارة في الغرب سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وكما يذكر أحد الباحثين، "إن الثنوية (الزرادشتية) بين الخير والشر كان ستمتلك تأثيراً على إسرائيل القديمة، اليهودية، المسيحية والإسلام"[1].

(1) R.C. Zaehner, *The Dawn & Twilight of Zoroastrianism*, pp.51-52.

"كيف نشأت فكرة وجود قوتين متعارضتين (الشيطان والله)؟ إنها أيضاً نتيجة الظروف خلال العصر الهلنستي، وهي فترة تم فيها تبادل الأفكار على نطاق واسع بين مختلف الأديان والأمم. وقد جاء مبدأ الثنوية من الزرادشتية... فانتشرت هذه الفكرة من خلال العالم الهيليني المفتوح على نطاق واسع؛ الجدل بين الله والشيطان هو انعكاس لها في اليهودية.[1] "

تبدأ فترة السبي البابلي عام 597\8 قبل الميلاد، عندما تم ترحيل المجموعة الأولى من سكّان اليهودية من قبل الملك البابلي، نبوخذ نصر، إلى بابل وتنتهي في العام 539 -538 قبل الميلاد. عندما غزا قورش ملك فارس بابل، أصدر أمراً سامياً بمنحهم الحق في العودة إلى القدس وإعادة بناء هيكلهم[2]. ومن الآن فصاعداً، تلا ذلك الاتصال بين الشعبين والتفاعل بين الديانتين. وتم إرجاع العديد من اليهود إلى فلسطين وعلى مدى قرنين ظلوا تحت الحماية الفارسية. هنا، لا بدّ من الإشارة إلى الوجود اليهودي القوي في بابل ـ العراق، والذي ظلّ تحت الرعاية الفارسية حتى سقوط العراق تحت الحكم العربي بعد معركة القادسية، عام 636 م وما بعد.

قسّم داريوش (522 -486 قبل الميلاد) إمبراطوريته مترامية الأطراف إلى عشرين مزربانية، وظلت فلسطين جزءاً من المزربانية الخامسة، والتي كانت مدينة دمشق مركزاً إدارياً لها. بالنسبة

(1) Leo Trepp, *A History of the Jewish Experience*, p. 54
(2) *Encyclopedia of Religion*, Edited by Vergilius Ferm, 1981, p. 82.

لفلسطين، عين داريوش واحداً من نسل داود، وهو زربابل (شيشبازار) حاكماً لها، وأمر بالامتثال الكامل لمرسوم قورش لإعادة بناء هيكل القدس. داريوش، الذي تزامن عهده مع الحقبة العبرية للأنبياء عزرا وحجي وزكريا، أمر بإعادة جميع كنوز القدس التي أخذها نبوخذ نصر إلى بابل إلى فلسطين (عزرا 6: 1 -11)[1] لإعادة

(1) عز 6 -1: حينئذٍ أصدرَ داريوش المَلِكُ أمراً، فبُحِثَ في بيتِ الخَزائِنِ حَيثُ كانَتِ المَحفوظاتُ مَوضوعَةً في بابِل. عز 6 -2: فوُجِدَ في أحمَتا، في القَصرِ الَّذي في بِلادِ ميدِيا، سِفرٌ مَكتوبٌ فيه هكذا: مُذَكِّرة: عز 6 -3: في السَّنَةِ الأُولى لِقورُش المَلِك، أصدَرَ قورُشُ المَلِكُ أمراً في حَقِّ بَيتِ اللّهِ في أُورَشَليم، أن يُعادَ بِناءُ البَيتِ مَكاناً تُذبَحُ فيه ذَبائح، ولْيُبقَ على أُسُسِه. يَكونُ عُلُوُّه سِتّين ذِراعاً وعَرضُه سِتّونَ ذِراعاً، عز 6 -4: وتكونُ لَه ثَلاثَةُ صُفوفٍ مِن حِجارَةٍ ضَخمَة، وصَفٌّ واحِدٌ مِن خَشَب، والنَّفَقَةُ على بَيتِ المَلِك. عز 6 -5: ولْتُرَدَّ أيضاً آنِيَةُ بَيتِ اللهِ الذَّهَبُ والفِضَّةُ الَّتي أخرَجَها نَبوكَدنَصَّرُ مِنَ الهَيكَلِ الَّذي في أُورَشَليمَ وذَهَبَ بِها إلى بابِل، تُرَدَّ وتُرجَعَ إلى الهَيكَلِ الَّذي في أُورَشَليمَ إلى مَكانِها، وتوضَعَ في بَيتِ الله. عز 6 -6: فالآن، يا تَتْناي، والي عِبرِ النَّهر، وشَتَربُزناي وزُمَلاءَهما، السُّفَراءَ الَّذينَ في عِبرِ النَّهر، اِبتَعِدوا مِن هُناك. عز 6 -7: دَعوا والِيَ اليَهودِ وشُيوخَ اليَهودِ يَعمَلون، ولْيَبنِ بَيتَ اللهِ هذا في مَكانِه. عز 6 -8: وقد صَدَرَ أمرٌ مِني بِما ستَعمَلونَ مع شُيوخِ اليَهودِ هؤُلاءِ في بِناءِ بَيتِ اللهِ هذا. إنَّه من مالِ المَلِك، مِن خَراجِ عِبرِ النَّهر، تُعطى النَّفَقَةُ كامِلَةً لِهؤُلاءِ الرِّجالِ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلوا. عز 6 -9: وما يَحتاجونَ إلَيه مِنَ العُجولِ والكِباشِ والحُملانِ لِمُحرَقاتِ إلهِ السَّمَواتِ ومِنَ الحِنطَةِ والمِلحِ والخَمرِ والزَّيت، بِحَسَبِ قَولِ الكَهَنَةِ الَّذينَ في أُورَشَليم، فلْيُعطَ لَهم يَوماً فيَوماً بِلا تَقصير، عز 6 -10: لِيُقَرِّبوا ذَبائِحَ رائِحَةِ رِضًى لِإلهِ السَّمَوات، ويُصَلُّوا لِأَجلِ حَياةِ المَلِكِ وبَنيه. عز 6 -11: وقَد أصدَرتُ أمراً أنَّ كُلَّ مَن يُخالِفُ هذا الأَمرَ تُقلَعُ عارِضَةٌ مِن بَيتِه وتُنصَبُ ويُعَلَّقُ عَلَيها مَصلوباً، ويَكونُ بَيتُه بِسَبَبِ ذلك مَوحِلاً.

بناء الهيكل، الذي انتهى في السنة السادسة من حكمه (عزرا 615:)[1].

بأمر من أرتحششتا الأول (أردشير الأول) (465 -424 قبل الميلاد) تم بناء سور القدس، واثنان من مسؤولي البلاط الملكي، هما نحميا وعزرا، كلّفا بجمع الشريعة اليهودية (445 -393 قبل الميلاد). وأخيراً تم الانتهاء من إعادة بناء الهيكل الثاني خلال فترة أرتحششتا الثاني (400 قبل الميلاد؟).

بسبب الحماية الفارسية والموقف الإيجابي للملوك الأخمينيين، أحسّ اليهود بمشاعر دافئة بعد ذلك حيال الفرس وهذا ما جعلهم أكثر تقبلاً لنفوذهم[2]."هناك الكثير من الأدلة على أن التطور الديني في فترة ما بعد السبي للعبرانيين تأثر بتعليمات زرادشت، وأنه من بين التأثيرات العمومية التي تعرض لها تطور الأخلاق العبرية، يجب علينا أيضاً أن ندخل تعاليم النبي الميدي الفارسي العظيم"[3]؛ والفرق الكبير بين الكتب المقدسة اليهودية ما قبل السبي والكتب المقدّسة اليهودية ما بعد السبي واضح إلى درجة أنه حتى سيغموند فرويد زعم أنه كان يمكن أن يكون هناك شخصان يحملان الاسم موسى. لكن قبل معالجة تأثير الزرادشتية في معتقدات سكان اليهودية، من الضروري الحصول على

(1) فأُنجِزَ هذا البَيتُ في اليَومِ الثَّالِثِ والعِشْرينَ مِن شَهرِ آذار، مِن السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِن مُلكِ داريوش المَلِك.

(2) Boyce M. *Zoroastrians, Their Beliefs and Practices*. Rautledge & Kegan Paul, 1979, p. 51 & 52.

(3) James Henry Breasted, *The Dawn of Consciousness*, p. 345.

رؤية أفضل للديانة الزرادشتية الجديدة كما كان ينظر إليها ويُمارسها الفرس في زمن الغزو البابلي. فمن خلال مراجعة الأفستا والياشتات الأحدث، يدرك المرء أنه في هذه الحقبة، اختلطت التعاليم التي استنها زرادشت بمفاهيم العقيدة الأكثر قدماً، كما توسعت بعض آرائه العقائدية بل حتى تغيرت خارج نطاق أصالتها.

القضايا ذات الصلة هي التالية:

1. الزرادشتية الجديدة في هذه الحقبة، كانت تؤمن بإله واحد كوني، هو أهورامزدا[1]. لكن الصفات الإلهية الست كانت تُصور في كثير من الأحيان ككيانات منفصلة، ربما على شكل رؤساء ملائكة ويكون أهورامزدا في المركز، وفي بعض الأحيان بشكل غير منطقي كانوا يسمون بالأميشا سبنتا السبعة.
2. كانت هناك معركة بين قوى الخير وقوى الشر، يكون فيها النصر النهائي للخير على الشر. وأولئك الذين انحازوا إلى قوى الخير، كانوا يدعمون القضية الإلهية. وكان ينظر إلى قوى الشر على أنها غضب، حسد، أكاذيب، تلوث بيئي، وما إلى ذلك. وفي الواقع، كان أتباع الزرادشتية قد طوروا شكلاً من أشكال علم الملائكة وعلم الشياطين.

(1) "كان لدى الفرس أساطيرهم الخاصة، أو بالأحرى تصورهم عن النظام الطبيعي والنظام الخارق للطبيعة، الذي صاغته الديانة الزرادشتية. هذه الفلسفة الكونية، المتأثرة بعلم الفلك البابلي، كان لها تأثير على الفكر اليهودي المتأخر والتوقعات المسيانية". أنظر: John Gray, *Near Eastern Mythology*, p. 127

3. يؤمن الفرس بالحرية وحرية الاختيار، كما ينعكس ذلك في الغاثات ونصوص الأفستا المتأخرة.

4. مفهوم زرادشتي آخر كان ملكوت الله أو الحكومة المختارة، حيث يقيم جميع الرجال والنساء الفاضلين بحرية ويختارون القادة من أجل برهم، وتتم إعادة تأهيل المظلومين. كان الهدف هو أن يعمل الجميع على قيام "الحكومة المختارة" حيث يتغلب الخير على الشر.

5. كانوا يؤمنون بخلود النفس، الحياة بعد الموت، وأن أنفس الموتى سوف تُدان وفق أعمالهم في الماضي على جسر الدينونة[1] (Chinovat)، حيث كانوا يسترشدون بضميرهم ويدينهم ثلاثة ملائكة (ميثرا، راشن، سراوشا)، الذين كانوا يفرقون بينهم ويحددون المساكن الأبدية للمجموعتين في الجنة أو الجحيم.

---

(1) بعد الموت ، وفقاً للعقيدة الزرادشتية ، يجب على النفس أن تمر فوق بيرفوش سينفاتو pervush cinvato ، أي "جسر المحاسب" ، حيث يُقرر مصيره في المستقبل. يمتد هذا الجسر فوق هاوية فاغرة الفم للجحيم، من ذروة الدينونة إلى جبل البرز المقدس، ويصبح ، وفقاً لنصوص العقيدة الأكثر شيوعا، واسعاً أمام الأخيار، درب باتساع يعادل تسعة أرماح، في حين يكون ضيقاً أمام الأشرار مثل حافة شفرة الحلاقة. يسقط فاعلو الشر في سلطة أهريمان ويكون مصيرهم الجحيم؛ أما الأخيار فيدخلون غارو ديمانا، حياة النعيم. في حين أن أولئك الذين يتساوون في الخير والشر، يظلون في حالة وسيطة، اسمها الهمستاكانس في الكتب البهلوية، حتى يوم القيامة العظيم.

بالمقابل، وفيما يتعلق بالتأثير الفارسي في هذه المسألة بالذات، لا يقبل فراي، بعكس المؤلفين الآخرين، أن فكرة جسر الدينونة في اليهودية التلمودية هي بالضرورة دليل مقنع على التأثير، لأن هذا كان أكثر منظوراً عالمياً[1]. لكنه يخلص لاحقاً إلى أن الشيطان أسمداي Asmdai في التلمود وأزموداوس[2] Asmodaios في سفر طوبيا[3] مستعاران بالتأكيد من الإيرانيين[4]. ويوضح أن اسم أزموداوس مستمد من شيطان الغضب الأفستي، إيسمو دايفا Aesmo Daeva. ايسمو هو الغضب بالأفستية ودايفا تعني الشيطان.[5]

---

(1) Frye R., *Qumran and Iran: The State of Studier of Christianity, Judaism and Other Greco-Roman Cults*", p. 2, note 1. Leiden: E. J. Bribl 1968.

(2) طو 3 -8: لأنَّه كانَ قد عُقِدَ لَها على سَبعَةِ رِجال، وكان أزْموداوُس، الشَّيطانُ الخَبيث، يَقتُلُهم قَبلَ أن يَدخُلوا علَيها بِحَسَبِ واجِباتِهِم الزَّوجِيَّة. فقالَت لَها الجارية: " أنتِ تَقتُلينَ أزْواجَكِ ها إنَّه عُقِدَ لَكِ على سَبْعَةِ رِجال، ولم تُدعَي بِاسمِ أحَدِهم ولا مَرَّةً واحِدة! طو 3 -17: فأُرسِلَ رافائيلُ لِيَشْفِيَ كِلا الِاثنَين، لِيُزيلَ البُقَعَ البَيضاءَ عن عَينَي طوبيت فيَرى بِعَينَيه نورَ الله، ولِيُعطِيَ سارةَ ابنَةَ رَعوئيلَ زَوجةً لِطوبيَّا بنِ طوبيت ويَطرُدَ عَنها أزْموداوُسَ الشَّيطانَ الخَبيث. فمِن حَقِّ طوبيَّا أن تَكونَ لَه قَبلَ جَميعِ الَّذينَ يُريدونَ أن يَتَّخِذوها. في ذلكَ الحين، عادَ طوبيتُ من ساحةِ دارِه إلى بَيتِه، وأمَّا سارةُ ابنَةُ رَعوئيل فنَزَلَت مِنَ العُلية.

(3) طوبيا سفر يعتبره اليهود والبروتستانت منحولاً وقد كتب أصلاً بالآرامية عام 200 ق.م. تقريباً. طوبيا هو يهودي مصري تقي، سبي إلى نينوى، لذلك نجده يذكر مدناً فارسية في سفره.

(4) Frye R., *Qumran and Iran*, p. 170.

(5) Forsee G. L. *Zoroaster and Isaiah*, microfilm 1984, p. 30-31.

6. القيامة (Rastakhiz) أو نهاية العالم، عندما يُحيى الموتى ويكون للعالم الجديد حياة جديدة وبداية جديدة (Farsho Kerat أو عمل جديد). و"من لحظة أول اتصال لليهود بالإيرانيين، استولوا على العقيدة الزرادشتية النموذجية لحياة ما بعد الموت، والتي من خلالها كانوا سيتمتعون بالثواب وتتواصل العقوبات. وقد اكتسب هذا الأمل الزرادشتي أرضية أكثر تأكيداً خلال فترة ما بين العهدين، وبحلول زمن المسيح، أيدها الفريسيون، الذين فسّر بعض الباحثين اسمهم بالذات على أنه يعني "فارسي" ، أي الطائفة الأكثر انفتاحًا على النفوذ الفارسي.[1]". ويضيف مرجع آخر، أنه "أثناء مواجهاتها مع الميديين والفرس، وجدت إسرائيل عقيدة التوحيد من العائلة ذاتها في ديانة النبي زرادشت، وأحد أنبيائها، إشعياء، لم يتردد في تحية قورش، محررها، بوصفه الممسوح من الرب. ومن هذا الدين تعلّمت أيضاً التعاليم المتعلقة بالآخرة المتجانسة مع نفسها أكثر مما كان عليه المشهد الكئيب الذي قدّمته لها تقاليدها الخاصة، وهي التعاليم التي كانت غريبة عليها من قبل.[2]"

وهكذا، "إن عقيدة زرادشت حول الثواب والعقاب، حول أبدية النعيم وأبدية الويل اللتين خصصتا للناس الخيرين والأشرار في حياة

(1) R.C. Zaehner, *The Dawn & Twilight of Zoroastrianism*, 58.
(2) R.C. Zaehner, *The Dawn & Twilight of Zoroastrianism*, 58.

أخرى في مرحلة ما بعد القبر تشبه إلى حد مذهل التعاليم المسيحية بحيث لا يمكننا أن نسأل ما إذا كان هنا على الأقل لا يوجد تأثير مباشر يفعل فعله. الإجابة هي بالتأكيد "نعم"، لأن أوجه التشابه كبيرة جداً والسياق التاريخي في مكانه على نحو دقيق تماماً"[1].

7. في الغاثات، السوشيانت Saoshyant مصطلح عام ويعني المحسن. هناك محسنون للماضي والحاضر والمستقبل، لكن لا توجد أي إشارة إلى أي شخص تم الوعد به والذي سيأتي. غير أن مفهوم المحسنين المستقبليين تحول في هذا الوقت إلى المخلّص المستقبلي الذي سيؤدي مهمة القيامة.

الإسرائيليون، من ناحية أخرى، استنادا إلى كتابات من مرحلة ما قبل السبي، لم يطوّروا اسكاتالوجيا خاصة بهم. كانوا يؤمنون بشيئول أو العالم ما تحت الأرض والمقفر حيث ينتهي الأخيار والأشرار على حدّ سواء بعد الموت. لذلك كانت مفاهيم الدينونة بعد الموت وثواب السماء وعقاب الجحيم، غير موجودة في معتقداتهم.

كان يهوه إله العهد لإسرائيل ولم يكن له مكانة عالمية، وكانت القوى الثنوية للخير والشر، علم الملائكة وعلم الشياطين ـ كلّها غائبة عن معتقداتهم كما ينعكس ذلك في أسفار اليهودية ما قبل السبي.

(1) Leo Trepp, *A History of the Jewish Experience*, p. 57.

من قورش إلى إشعياء

يجد مورتون سميث من جامعة كولومبيا أوجه تشابه بين نقش قورش في بابل وإشعياء الثاني 40 -46[1] التي يجدها موضحة في النصوص الأفستية[2]. وبعض من أوجه التشابه التي لاحظها توضع أحدها قرب الآخر[3] وتذكر أدناه:

1. في وثيقة قورش الحاكم هو الشر، مردوخ (الإله البابلي) غاضب؛ عند اشعياء، الناس شر، يهوه غاضب.
2. لقد درّس مردوخ قورش وأعلنه حاكماً على كلّ العالم؛ إشعياء 42:6: أَنا الرَّبُّ دَعَوتُكَ (قورش) في البِرّ وأَخَذتُ بِيَدِكَ وجَبَلتُكَ وجَعَلتُكَ عَهداً لِلشَّعبِ ونوراً لِلأُمَم.

---

(1) لقد تمّ تقسيم سفر إشعياء إلى ثلاثة كتب. وهذا القسم لا يقبل به اليهود التقليديون. ولد إشعياء الأول في القدس عام 765 ق.م. ويتضمن إشعياء الأول الإصحاحات 1 – 39، مهما كانت تلك الإصحاحات نتاجاً لحقب مختلفة. وتمثّل الإصحاحات 1 – 12 دمجاً لعدد من المجموعات. إشعياء 24 – 27 هو نتاج للحقبة الفارسية المتأخرة وبداية الحقبة اليونانية. أما الإصحاحات 36 – 39 فهي مأخوذة مباشرة من سفر الملوك الثاني، 18:13 – 20:18.
إشعياء الثنوي (إشعياء الثاني) يتزامن مع قورش، ويقترح تاريخاً بين 550 – 538 ق.م. وهذا القسم يتضمن الإصحاحات 40 – 55 وهو من صنع نبي مجهول الاسم. إشعياء الثالث، وهو الإصحاحات 56 – 66، له أصول متنوعة. وهذع الإصحاحات كتبها مؤلّفون مجهولون، عملوا عليها بين الأعوام 525 – 475 ق.م.. وربما أن بعض مواد هذا القسم ترجع إلى زمن أحدث من هذه الأزمنة (375 – 250).

(2) Smith M., *IInd Isaiah and the Persians, Journal for American Oriental Studies*, 83 (1963) p. 415-421.

(3) Forsee G. L., *Zoroaster and Isaiah*, microfilm 1984, p. 43-44.

3. وكان (قورش) يسعى دائماً للتعامل وفقاً للعدالة ؛ إشعياء 42 : 1 : (قورش) يُبْدي الحَقَّ لِلأُمَم.

4. نظر مردوخ بسرور إلى أعماله الجيدة (قورش) وعقله المستقيم وأمره أن يسير ضد مدينة بابل ؛ اشعياء 43 : 14 : لِأَجلِكم أرسَلتُ حَملَةً (قورش) على بابِل.

وبالنظر إلى الجذور من بلاد ما بين النهرين لبعض الأحداث الكتابية[1] [2] ، فإن هذه التشابهات تنطوي حتماً على احتمال تأثير نقش قورش في الكتابات ذات الصلة من إشعياء الثاني.

وفقا لأشتياني[3] Ashtiyani ، ففي أسفار ما بعد السبي ، وعلى

---

(1) Pritchard, J. B.: *The Ancient Near East*, Volume 1, Princeton University Press, 1958, p. 28-30, The Sumerian Great Deluge.

(2) Pritchard, J. B.: *The Ancient Near East*, Volume 1, Princeton University Press, 1958, p. 85-86,

إن الأحداث المحيطة بولادة سرغون، الملك الأكادي، تشبه بطريقة ملفتة ولادة موسى.

(3) المؤلف جلال الدين أشتياني Ashtiyani ولد في النصف الأول من القرن العشرين، وجاءت أسرته من مدينة أشتيان Ashtiyan في ايران. كانت عائلته من رجال الدين المسلمين. كان والده قد حصل على رتبة آية الله. كانت رغبة الأسرة أن يتبع جلال الدين التقليد نفسه. بدلاً من ذلك، سرعان ما أخذت اهتمامات جلال الدين في اتجاه الهندسة بعيداً عن الحياة الدينية. عندما توصل هو ووالده إلى تفاهم حول اختيار جلال، تابع جلال الدين دراساته الهندسية أولاً في إيران، ثم في ألمانيا. كان يعيش ويعمل هناك منذ رحيله عن إيران. مع ذلك، فقد ازداد اهتمامه بالفلسفة والدين مع مرور السنوات، فدرس الزرادشتية واليهودية والمسيحية والبوذية، إلى جانب تطور هذه الأديان وانحرافها التدريجي عن الرسائل الأصلية لمؤسسيها.
==

الرغم من بقاء يهوه إله العهد لليهود، فقد تطور إلى حد ما إلى وضعية إله عالمي. ونلاحظ هنا أن مصطلح "البر" في جميع الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم يظهر مرة واحدة فقط في سفر التكوين وفي الأسفار الستين من الكتاب المقدّس يظهر ثلاث عشرة مرة. بالمقابل، ففي إشعياء الثاني وحده، يظهر هذا المصطلح ثماني مرات[1].

يشير سميث إلى أنه قبل عصر إشعياء الثاني، فإن فكرة أن "يهوه خلق العالم" تلعب دوراً ضئيلاً في الأدب العبري. لكن إشعياء الثاني يعود باستمرار إلى هذا المفهوم العقائدي. فيقترح سميث أن المصدر المشترك هو غاثات زرادشت، الياسنا 44، فصل الخلق. ويجد أنه بالإضافة إلى أسلوب غريب لإشعياء الثاني، فإن جميع الأسئلة التي طرحها زرادشت في

وظهرت استنتاجاته الثاقبة وتأملاته في منشوراته العديدة.يحلل أشتياني تطور الدينين الزرادشتي واليهودي والانحرافات عن القصد الأصلي لمؤسسيهما. ويقول إنه توقع أن ينقلب أتباع هاتين الديانتين عليه بسبب استنتاجاته. وبدلاً من ذلك، فوجئ بسرور بالاستقبال الودي الذي تلقته رسالته من الجاليات الزرادشتية واليهودية في إيران. ولا تزال رسالة أشتياني تلقى استحساناً من كلتا الجماعتين الإيرانيتين.

يظهر كتابه "زرادشت، مازداياسنا، والحكم"، معرفته الواسعة بحقبة زرادشت وتعاليمه. وبعد مناقشة القضايا المثيرة للجدل حول الاسم والنسب العائلي والإطار المجتمعي لزرادشت، يعالج المؤلف مسألتين غير مستقرتين، وهما مسقط رأس زرادشت، وتاريخه. كلا الموضوعين غامضان، وقد كانا موضوع مناقشات مثيرة للجدل مستمرة لفترة طويلة.

(1) Ashtiyani J., *A Research in Judaism*, p. 268 in Persian.

الياسنا 44: 3 -5 تُسأل ويُجاب عليها من إشعياء الثاني مع استبدال أهورامزدا بيهوه.[1] فقط بعض الأمثلة مذكورة أدناه:[2]

1. ياسنا 3.44: 1 -2، أيها الحكيم، الذي كان عند ولادته الأب الأصلي للعدالة؟ إشعياء 45: 8: لتمطر الغيوم البر.

2. ياسنا 3.44: 4 -5، من صنع طرق الشمس والنجوم؟ على يد من يتعاظم القمر ويتضاءل؟ إشعياء 40: 26، ارفعوا عيونكم إلى العلاء وانظروا من الذي خلق هذه؟

3. ياسنا 4.44: 1 -3 ، من جعل الأرض تحت وحافظ على السماء فوقها من السقوط؟ اشعياء 40: 12، مَنِ الَّذي مَسَحَ بِشِبرِه السَّموات وكالَ بِالثُّلثِ تُرابَ الأَرض؟

4. ياسنا 44.5: 1 -3، أيّ حر في جعل النور والظلام؟ إشعياء 45: 7، أنا مبدع النور وخالق الظلام.

الإسكاتولوجيا والقيامة

لقد أشرنا كثيراً إلى مسألة الإسكاتولوجيا والقيامة عند الزرادشتيين وعلاقة ذلك بالمفاهيم ذاتها عند من جاورهم من الشعوب أو كانوا مُستعمرين من قبلهم، وعلى رأس هؤلاء اليهود. وأساساً فإن خلود النفس، الدينونة والثواب والعقاب بعد الموت إنما هي أمور لم

(1) Forsee G. L., *Zoroaster and Isaiah*, microfilm 1984, p. 47-48.

(2) Smith M., IInd Isaiah and the Persians, *Journal for American Oriental Studies*, 83 (1963)1,. 419.

يعترف بها يهود ما قبل السبي. ويشير زاينر إلى أن المنظور ما قبل السبي لشيئول، الذي اعتبر أنها وجود غامض ومحروم من الهوية والذي هو مصير البشر بغض النظر عن أفعالهم في الحياة، كان قد تم التخلي عنه فجأة واستعيض عنه بمفاهيم الجنة والجحيم، الثواب والعقاب، عندما احتك اليهود المنفيين مع الفرس[1] الذين دخلوا المسيحية فيما بعد.

لقد اعتقد الزرادشتيون أن النفس ترتفع من الجسد الميت و لمدة ثلاث ليال بعد الموت تقيم في العالم المادي ومن ثم تنتقل إلى العالم الآخر. ويمكن تسمية هذا بالقيامة الفردية. يقال أيضاً أن يسوع المسيح[2]

---

(1) Bagli J., *Zoroastrianism and Judaism, The Interaction Between Two Great Traditions*, p. 17.

(2) A.V. Williams Jackson, *Zoroastrian Studies.*

"تم العثور على المقطع النموذجي في هوبت ناسك (Hþtokht Nask ، Yt. 22. 1-36 ؛ وقارن Vistþsp Yasht ، Yt. 24. 53-64) أنه في الثلاث ليال الأولى بعد أن غادرت النفس الجسد تحوم النفس حول إطار بلا حياة وتختبر فرحاً أو حزناً وفقا للأفعال المنجزة في هذه الحياة. في فجر اليوم الرابع تطير النفس من الأرض ... ". ملاحظة: قارن ذلك بصلب يسوع يوم الجمعة العظيمة ، وقيامته يوم الإثنين (فجر اليوم الرابع). "لقد حاول المؤلف في مقالته في عالم الكتاب المقدس أن يبيّن مدى تشابه فكرة المسيا في اليهودية وفكرة سوشيانت في المزداوية، التي كان يدرّسها على الأرجح زرادشت نفسه".

أنظر: John Gray, *Near Eastern Mythology*:

"إن تطوّر مفهوم الشيطان كقوة شخصية للشر، الذي كان له نظيره في رئيس الملائكة ميخائيل، بطل قضية الإنسان في هدف الله من الخلق، ربما تطور تحت تأثير الاعتقاد الفارسي الزرادشتي بالروحين المتعارضين للخير والشر." ص. 16 أنظر: John Gray, *Near Eastern Mythology:*

==

قام من قبره بعد ثلاثة أيام من صلبه[1]. الزرادشتية المتأخرة أيضاً تنبأت بقيامة جماعية (راستاخيز) عندما يقوم كلّ الموتى[2].

إن مفهوم القيامة الذي كان منغرساً في أجزاء من الأسفار العبرية الأولى مثل الخروج والتثنية صار حيوياً في كتابات الأنبياء[3] ما بعد السبي. ويشير دانيال 12: 2 -13 يشير إلى القيامة بعد الموت ونيل الثواب. وفي إشعياء 26: 19، سيقوم الموتى ثانية من القبور، فالأرض ستلد الأموات.

المسيا وملكوت الله

في حقبة ما قبل السبي، كان المسيا مجرد لقب شرفي يُعطى لأشخاص مهمين، وعموماً كان حامل اللقب يعتبر شخصاً قريباً من يهوه. مع ذلك، فخلال حقبة ما بعد السبي، أصبح لقباً خاصاً بمسيح الرب.

"إن التشابه بينها (العقيدة الزرادشتية حول الحياة المستقبلية ونهاية العالم) وبين العقيدة المسيحية ملفت ويستحق مزيداً من الاهتمام من جانب اللاهوت المسيحي، على الرغم من أنه كُتب الكثير عن هذا الموضوع".

(1) Zaehner R. C., The Dawn and Twilight of Zoroastrianism, Putnam and Sons, N.Y., 1961, p. 59.

(2) Bamji Sh., The Influence of Zoroastrianish on Judaism and Christianity, microfilm, Dec. 3, 1989, p. 19.

(3) Bagli J., Zoroastrian and Judaism, The Interaction Between Two Great Traditions, p. 17.

يخلص فوهرر[1] بعد تحليل دقيق إلى أن جميع الأجزاء ذات الصلة بقدوم المسيا كانت قد دخلت الكتاب المقدس خلال حقبة ما بعد السبي. و"هناك الكثير من الأدلة على أن التطور الديني في فترة ما بعد السبي للعبرانيين تأثر بتعليمات زرادشت، وأنه من بين التأثيرات العامة التي تعرض لها تطور الأخلاق العبرية، يجب علينا أيضاً أن ندخل تعاليم النبي الميدي الفارسي العظيم"[2]. وإشعياء الثاني هو النبي الذي يشير على وجه الخصوص إلى نهاية العالم وقدوم المسيح.[3] ومن المقبول بشكل عام أن أنبياء إسرائيل بعد التحرر من الأسر البابلي، ومن أجل توليد الأمل والثقة بين اليهود الذين أثبطت معنوياتهم، أدخلوا المفاهيم الفارسية حول الآمال المستقبلية مثل انتصار الخير على الشر، عودة الحياة لإسرائيل، القيامة، حياة المستقبل، السماء والجحيم وملكوت الله. وكون الإسرائيليون على نحو خاص كانوا يتوقون إلى إعادة تأسيس مملكة داود، فقد طوروا فكرة المسيا وفي الواقع تصوروا مملكة يهوه في شكل المسيا الموعود التي كانت مختلفة عن الممالك الأرضية. وبكلمات أخرى، فإن الآمال السياسية للمملكة اليهودية المستعادة التي يرأسها "مشيخ يهوه" [مسيح الله] أصبحت مرتبطة بالرؤية النبوية والأبوكاليبتية لملكوت الله في نهاية الأيام.[4]

(1) Fohrer G., *Geschichte der Israel.*
(2)James Henry Breasted, *The Dawn of Consciousness,* p 337.
(3) Ashtiyani J., *A Research in Judaism*, p. 366, in Persian.
(4) Ashtiyani J., *A Research in Judaism*, p. 465-366, in Persian.

وقد رأى النبيّان حجي وزكريا في زربابل[1] إمكانية تحقيق هذا

(1) اسم أكادي معناه "زرع بابل" أو "المولود في بابل"، ابن شالتيئيل (عز 3: 2 و8 ونح 12: 1 وحج 1: 1 و12 و14 و2: 2 و23 ومت 1: 12 و13 ولو 3: 27). ونستطيع أن نفهم ما ورد في 1 أخبار 3: 17 -19 أن شالتيئيل مات بدون ذرية. ولعل فدايا أخو شالتيئيل تزوج بامرأته وأقام نسلًا لأخيه حسب الناموس (تث 25: 5 و6)، فصار زربابل ابنًا لشالتيئيل... ورجع اليهود من بابل إلى اليهودية في أول دفعة تحت قيادته (عز 2: 2) واشترك زربابل مع يشوع بن يوصاداق وأخوته الكهنة في بناء المذبح لاصعاد المحرقات وتنظيم العبادة (عز 3: 1 -9) وهو من بيت داود (مت 1: 12 ولو 3: 13)، وقد تسلم من قورش الآنية المقدسة التي ردت إلى أورشليم ثم أنه أقيم واليًا ووضع أساس الهيكل (زك 4: 6 -10)، وكانت له اليد الطولى في إرجاع الطقوس الدينية الاعتيادية للشعب، وكان محبًا لشعبه وسعى في إقامة البناء المقدس ثانية. حيث كان الشعب يعبدون إله آبائهم، فعرف الهيكل باسم زربابل، وقد أكمل البناء في سنة 515 ق.م. وظل قائمًا حتى سنة 20 ق.م. عندما بدأ هيرودس الأكبر مشروعه لبناء الهيكل الجديد. وقد كانت حماسة زربابل للبناء داعية للنبي حجي أن يرى فيه شخصية المسيا المنتظر (حج 2: 20 -23) ويرجح أن اسم شيشبصر اسم آخر لزربابل (عز 1: 8 و11).

وكان حاكم ليهوذا بعد السبي، وهو من أحفاد يكنيا الملك. وقد رجع عدد من اليهود من بابل بقيادة زربابل ويشوع رئيس الكهنة. وقد عين ملك فارس زربابل واليًا علي أورشليم (عز 2: 2، نح 7: 6، 7، 12: 1). لقد سمح المرسوم الذي أصدره قورش ملك فارس في 538 ق.م. لليهود بالرجوع إلي أورشليم (2 أخ 36: 22، 23، عز 1: 1 -4).

وأقبل الراجعون من السبي بقيادة زربابل ويشوع بكل حماسة علي إعادة بناء الهيكل في أورشليم، فبنوا اولًا "مذبح إله إسرائيل ليصعدوا عليه محرقات.. وأقاموا المذبح مكانه.. وأصعدوا عليه محرقات الصباح والمساء وحفظوا عيد المظال كما هو مكتوب.. كالمرسوم أمر اليوم بيومه" (عز 3: 1 -6).

==

أعد الراجعون من السبي كل ما يلزم لإعادة بناء الهيكل، وفي السنة الثانية لرجوعهم إلي أورشليم، وضع زربابل أساسات الهيكل باحتفال عظيم وشرعوا في ذلك العمل الضخم (عز 3: 8 -13، زك 4: 9).

وقد أثار هذا العمل أهل السامرة فجاءوا إلي زربابل عارضين عليه الاشتراك معهم في العمل ولكن "زربابل ويشوع وبقية رؤوس آباء إسرائيل" رفضوا هذا العرض وقالوا لهم: "ليس لكم ولنا ان نبني بيتًا لإلهنا، ولكن نحن وحدنا نبني للرب إله إسرائيل كما أمرنا الملك قورش ملك فارس. وكان شعب الأرض (السامريون وحلفاؤهم) يرخون أيدي شعب يهوذا ويذعرونهم عن البناء. واستأجروا ضدهم مشيرين ليبطلوا مشورتهم كل أيام قورش ملك فارس وحتي الملك داريوش ملك فارس" (عز 4: 1 -5). وكتبوا شكوي ضد اليهود واستعدوا عليه الولاة الذين رفعوا شكوي ضد اليهود إلي أحشويرش الملك ثم إلي ارتحششتا ملك فارس، فأمر بإيقاف اليهود عن العمل (عز 4: 6 -24). وهكذا توقف العمل من أواخر أيام الملك قورش (حوالي 530 ق.م.) إلي السنة الثانية لداريوشش الكبير (حوالي 520 ق.م. - عز 4: 24).

وفي السنة الثانية لداريوش الملك، بدأ النبيان حجي وزكريا في خدمتهما للشعب الذي كان قد أهمل بناء بيت الله، واهتموا ببناء بيوت فاخرة لأنفسهم (حجي 1: 1 -6)، ولكن النبيين حرضا الشعب وشجعاه لاستكمال العمل في بناء بيت الله، فنهض الشعب مرة أخري بقيادة زربابل ويشوع وشرعوا في استكمال البناء، وسرعان ما بدأت المقاومات من جديد من ولاة عبر النهر تتناي وشتربوزناي ورفقائهما، وكتبوا شكوي مشابهة للشكوي السابقة، ورفعوها إلي داريوش الملك. ولكن داريوش أمر بفحص الأمر فوجدوا في خزائن الملك المرسوم الذي أصدره قورش الملك من جهة بيت الله في أورشليم، فأصدر داريوش الملك أوامره لهؤلاء الولاة ان يتركوا اليهود يبنون بيت الله وأن يقدموا لهم المساعدات والمواد اللازمة لإكمال العمل (عز 6: 1 -12).

واخيرًا كمل بناء الهيكل في اليوم الثالث من شهر آذار في السنة السادسة من ملك داريوش الملك (عز 6: 15) أي في 516 ق.م. وتم وعد الرب زربابل علي فم زكريا النبي: "إن يدي زربابل قد أسستا هذا البيت فيداه تتممانه" (زك 4: 9). وقد أقاموا
==

حفلًا عظيمً لتدشين بيت الله (عز 6: 16 - 22، نح 12: 47). ولا نعود نسمع شيئًا عن زربابل بعد ذلك، وإن كان الأرجح أنه ظل واليًا علي يهوذا بضع سنوات أخري. وهناك مشكلتان ترتبطان بزربابل، هما:

(1) العلاقة بين زربابل وشيشبصر، فيظن البعض أنهما اسمان لشخص واحد، فكثيرون من اليهود كان لهم اسمان، أحدهما عبري والآخر أشوري أو بابلي، فدانيال كان له اسم بابلي هو بلطشاسر. ولكن في حالة زربابل وشيشبصر نجد أن الاسمين فارسيان، مما يجعل من الصعوبة بمكان اعتبارهما اسمين لشخص واحد. ويري البعض الآخر أن شيشبصر كان رئيس السبط والقائد المعترف به من الملك قورش ويظنون أنه هو "شنأصر" عم زربابل "(1 أخ 3: 18)، أما زربابل فكان هو القائد في عهد داريوش الملك. فشيشبصر تسلم من الملك قورش جميع آنية بيت الرب التي أخرجها نبوخذنصر من أورشليم ووضع أساس البيت (عز 1: 7،8، 5: 14 - 16) وكان معه يشوع الكاهن العظيم وزربابل. وقام زربابل بإكمال بناء البيت (عز 2: 2، 68، 4: 2، حجي 1: 14، زك 4: 9).

(2) أما المشكلة المتعلقة بزربابل فهي: مَنْ كان أبوه؟ فهو يذكر دائمًا علي أنه "زربابل شألتيئيل" (حجي 1: 1، 12، 14، 2: 2، 23، مت 1: 12، لو 3: 27). ولكن في سفر أخبار الأيام الأول (3: 19) نجد ان زربابل يذكر علي أنه ابن فدايا أخي شألتيئيل مات دون أن يخلف ولدًا، فتزوج أخوه فدايا بأرملته وانجب منها زربابل الذي ينسب ـ حسب الشريعة ـ للأخ الميت (تث 25: 5 - 10). وفي الحالتين فزربابل من نسل داود الملك، ولهذا ورد اسمه في نسب الرب يسوع. كما يرى البعض أن من المحتمل أن شألتيئيل إذ وجد نفسه عقيمًا، تبني زربابل ابن أخيه.

ولزربابل مكانة رفيعة في التقليد اليهودي، فقد ذكر بين عظماء إسرائيل في سفر يشوع ابن سيراخ (49: 13). ويروي يوسيفوس وكذلك سفر إسداراس الأول الأبوكريفي، أن زربابل كان صديقًا للملك داريوش هستاسبس لتفوقه علي أقرانه ==

الرجاء[1]. وهكذا، فإن مفهوم مملكة الله، التي أعلنها في الأصل زرادشت على أنها "الحكومة المختارة"، انتقلت في نهاية المطاف من خلال اليهودية إلى المسيحية وتحولت إلى "ملكوت الله".

في إشعياء 42: 1 -4، "المخلّص له روح الله ولن يهدأ حتى يقيم العدل في جميع أنحاء العالم"[2]. وأشعيا 11: 6 بعد مناقشة ما سبق يضيف أنه بعد مجيء المخلص "العالم سيعيش في سلام[3]، فَيَسكُنُ الذِّئبُ مع الحَمَل وَيربِضُ النَّمِرُ مع الجَدْيِ". وينعكس هذا المفهوم أيضاً في إشعياء 52: 62. بل إن زكريا 4: 14 يتحدّث عن مخلّصين يقفان أمام يهوه[4]. ويقترح فون غال أن كتّاب السفر لا بدّ أنهم كانوا يعرفون بالمخلّصين الزرادشتيين، من الأفستا المتأخرة، أي،

في الحكمة، حيث سألهم الملك عن "أقوى شيء" في العالم، وهل هو الخمر أو الملوك أو المرأة أو الحق. فأجاب زربابل بأن أقوي شيء هو "الحق" فاستحسن الملك جوابه واصطفاه صديقًا له وأعطاه تصريحًا بالذهاب إلي أورشليم وبناء الهيكل، وعينه واليًا علي أورشليم.

(1) *Encyclopedia of Religion*, Edited by Vergilius Ferm, Philosophical Library, 1981, p. 485.

(2) اش 42 -1: هُوَذا عَبدِيَ الّذي أعضُدُه مُختاري الّذي رضِيَت عنه نَفْسي قد جَعَلتُ روحي علَيه فهو يُبْدي الحَقَّ لِلأُمَم. اش 42 -2: لا يَصيحُ ولايَرفَعُ صَوتَه ولا يُسمِعُ صَوتَه في الشَّوارِع. اش 42 -3: القَصَبَةُ المَرْضوضةُ لن يَكسِرَها والفَتيلةُ المُدَخِّنَةُ لن يُطفِئَها يُبْدي الحَقَّ بأمانَة. اش 42 -4: لايَني ولا يَنثَني إلي أن يُحِلَّ الحَقَّ في الأرض فلِشَريعَتِه تَنتَظِرُ الجُزُر.

(3) الجملة غير موجودة في النص.

(4) هذان هُما المَسيحانِ الواقِفانِ لَدى رَبِّ الأرضِ كُلِّها.

هوشيدار وهوشيدار -ماه.[1] ويؤكّد بعض المؤلفين أن المجوس الثلاثة الذين زاروا يسوع المسيح عند الولادة، كانوا يتبعون الدعوة إلى سوشيانت مستقبلي.

علم الملائكة وعلم الشياطين

تطور جديد آخر في يهودية ما بعد السبي هو الاعتقاد بالملائكة. يذكر ميلز أن "علم الملائكة في أقدم الكتب المقدسة الذي كان قائماً بمصطلحات مثل شيئول الخاصة بها، أصبح مشغولاً بأشخاص مثل ميكائيل وجبرائيل[2] في حين أن الرقم سبعة المرفق به أصبح واضحاً مدى أهميته".[3] إن الملائكة السبعة (جبرائيل، ميكائيل، رافائيل، إسرافيل، إسرائيل، أوهيئيل وأوريئيل) تذكرنا بقوة بسبعة الأميشا سبنتا من الأفيستا المتأخرة.

اكتشاف مذهل آخر هو "شخص الشرير، حيث توقف الشيطان عن كونه مصطلحًا عامًا وأصبح اسم علم لهذا الكائن."[4] ويدأ علم الشياطين في التطور. إنّ الصراع بين قوى الخير والشر، أو النور والظلمة، كما تنعكس في مخطوطات البحر الميت، إنما تعكس التأثير الفارسي.

---

(1) *Encyclopedia of Religion*, Edited by Vergilius Ferm, Philosophical Library, 1981, p. 485.
(2) Von Gall A., quoted from *A Research in Judaism*, p. 367 in Persian by J. Ashtiyani.
(3) Michael (Daniel 10:21), Gabriel (David 9:21).
(4) Mills L. H.: *Zarathushtra, Philo, The Achaemenids and Israel*, A.M.S. Press, New York, 1977, p. 436.

أصبح علم الملائكة وعلم الشياطين[1] في اليهودية أكثر تطوراً

(1) שטן : الشيطان، باستثناء ما ورد في 1 أخ 21 : 1، ليس اسم علم يشير إلى كائن بعينه أو إلى أحد السيئين من خصوم الله أو منافسيه. والشيطان، بحسب الاستخدام الأصلي للكلمة، هو في الواقع تسمية عمومية تعني خصماً يعارض ويعيق. وهو ينطبق على الخصوم من البشر (1 صم 9 : 4 ؛ 2 صم 19 : 23 ؛ 1 مل 5 : 18 ؛ 11 : 14، 23، 25). الفعل المشتق منه، שטן، يطلق على المتهم في المحكمة الشرعية (مز 109 : 6) وعلى من يقوم بدور العدو عموماً (مز 28 : 20 ؛ 109 : 4، 20، 29). والملاك الذي أرسل لاعتراض بلعام (عدد 22 : 23)، كان واضحاً أنه مختار لهذا الغرض بالذات، بوصفه شيطاناً (לשטן)، وربما كان يجب أن تقرأ الأحرف الساكنة לשטן باعتبارها לש טן غير المعرّفة، والتي تعني " يعارض أو يعيق ". لا يوجد هنا ما يشير إلى أن שטנה كانت وظيفة ثابتة لملاك خاص.

الشيطان كتسمية مستقرّة ظهر للمرة الأولى عام 520 ق.م. تقريباً ؛ وذلك في زك 3 ثم في أي 1 -2.

وفي 1 أخ 21 : 1 ، الذي أشير إليه للتو، ظهرت المقالة معدّة بحيث يظهر الشيطان وكأنه اسم علم فعلي. وفي زك 3، يعمل الشيطان كمعذّب في المحكمة السماوية ؛ وفي أي 1 -2 ، يتساءل الشيطان عن كرامة أيوب في غياب الأخير ويقترح على الرب أن يتم اختباره. من الواضح أن الشيطان خاضع لله، وهو عضو في بطانته (بالعبرية : بني ها إيلوهيم)، الذي لا يستطيع التصرّف دون إذن منه. إنه لا ينافس الله بأي شكل. وفي 1 أخ 21 : 1 ، الذي يقال فيه إن الشيطان حرّض داود على إحصاء عدد نفوس بني إسرائيل وهو ما أدى إلى موت 70 ألف إسرائيلي (21 : 7) ؛ ومن الواضح أنه استُبدل بشكل ثانوي بسبب الاعتبار المبدئي " للرب " الذي يلعب هذا الدور.

الشيطان خارج الكتاب المقدس العبراني :

لا يظهر الشيطان في الأبوكريفا أو الأبوكاليبس ؛ ونادراً ما يُجسّد حيثما يذكر لكنه يمثّل فقط القوى الشريرة والمعادية لله. وهكذا، فاستشهاد من إشعياء (2 : 2) يقول : " إن منسى هجر خدمة الله وخدم الشيطان وملائكته وقواه ".

==

في عهد جاد (7:4)، يحذّر بأن " روح الكراهية تعمل مع الشيطان عبر تهوّر الروح".
يقال لدان " احذر من الشيطان وأرواحه " (1:6 ؛ قارن أيضاً: 6:3 و 6:5 ؛ 1 أخ 6:54 ؛ صعود موسى 10:10).
في سفر اليوبيل (16:17) تظهر الأسطورة التلمودية -المدراشية القائلة إن الشيطان هو الذي تحدّى الله بأن يخضع إبراهيم لاختبار العقيداه [قصة التضحية بابنه] والذي يدعى ماستيماmastema .
تبدو الإشارات في الأدب التنائي أكثر ندرة ؛ فالشيطان، باستثناءات قليلة، لا يظهر إلا كقوة غير مشخصة. وهكذا فتوسفتا شبات، تقول: " إذا رأيت رجلاً منطلقاً في رحلة وأنت تريد الذهاب في الطريق ذاتها، قدّم رحلتك ثلاثة أيام أو أخرها ثلاثة أيام، لأن الشيطان يرافق الرجل الشرير ". الميل ذاته يظهر في الوصية، " لا تفتح فمك للشيطان " (Ber. 9 a)، التي رغم تقديمها باسم أمورا، يقال بأنها " عُلّمت باسم ح. يوسي ". وعبارة ح. يوحنان عن الشيطان الذي يحث الله على العقيداه، معطاة أيضاً باسم تانا، هو يوسي بن زمرا. ويجعل سفر التثنية الابن العاصي النتيجة الحقيقية للأب الذي يستسلم لجمال أنثى أسيرة تذكرها المقاطع التي تسبق، فيقول: " إن هذا الذي يجري وراء شهورة المرأة الجميلة (الأسيرة) يأتي بالتالي بالشيطان إلى بيته ". ويقول ح. يشوع إن آية " أسلمت الأرض إلى أيدي الشرير " (أي 9:24) تشير إلى الشيطان (BB 106 a). التشخيص الوحيد للشيطان الموجود في الأدب التنائي نصادفه في قصة ح. مئير الذي يمضي ثلاثة أيام كي يوفق بين متنازعين مزمنين، الأمر الذي يتذمر منه الشيطان، " لقد طردني من بيتي " (Git. 52 a). على نحو مشابه، أغوى الشيطان ح. عقيبا بهيئة إمرأة، لكن الشيطان هو الذي لان.
في العهد الجديد يبدو الشيطان كتشخيص لروح الشر بالذات، كشخص مستقل، وكعدو للمسيح. إنه صاحب الذنوب كلها (لو 10:19). وفي رؤ (12:9)، نجد وصفاً متكاملاً له: " الحيّة القديمة المسماة إبليس والشيطان الذي أضل العالم طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته ". إنه المغوي الشخصي ليسوع المسيح (مت 4).
==

والواقع أن مفهوم العهد الجديد هذا للشيطان دخل في التراث الشعبي. بل ويشار إلى اليهود الذين لم يقبلوا يسوع " بكنيس الشيطان " (رؤ 2:9؛ 3:9).

لكن الشيطان يصبح أكثر بروزاً في التلمود والمدراش أثناء الحقبة الأمورية. وبالمقارنة بين السفري والمدراش، يمكن رؤية أنموذج هام لتطور الشيطان في الأزمنة الأمورائية. يقول الأول، في تعليقه على عدد 25:1: " حيثما تذكر " مساكن "، يقفز الشيطان ". وكثيراً ما يشار إليه باسم سمائيل، لكن الإشارات التي تعقب ذلك تتحدث عنه باسمه الفعلي، شيطان. وأحياناً يظهر بزيه اللاشخصي الذي يظهر به ذاته في الأبوكريفا وعند التنائيم. أحياناً يقال عنه יצר הרה (الميل العام للشر) ويتماثل مع ملاك الموت (BB 16 a)؛ مع ذلك فهو يبرز بازدياد كصاحب هوية مستقلة. وشيطان أيوب الذي يتحدى الله في اختبارات أيوب يلعب الدور ذاته مع إبراهيم. فهو يتهم إبراهيم بأنه رغم نعمة إعطائه ابناً في سن متأخرة، " فإبراهيم لم يقدّم حمامة أو يمامة قرباناً لهذا "؛ فيؤمر إبراهيم أن يضحي بابنه إسحق ليثبت طاعته لله (Sanh 89 b). في هذا السياق، ثمة رؤية شبه تعاطفية ينظر بها إلى الشيطان. فقد كان غرضه من تحدّي تقوى أيوب يستحق الذكر: أن لا ينسى الله إخلاص إبراهيم الأكبر (BB 16 a).

ورغم ظهوره كمغو، إلا أنه يظهر أكثر بكثير كمتهم؛ وعبارة ساطان مكاترغ (الشيطان المتهم: تك رباه 38:7؛ شابات 2:6؛ التلمود اليورشلايمي، بر 1:1)، ترد أكثر بكثير. أما عبارة " لا تفتح فمك للشيطان " الشهيرة فتبدو مهمة في هذا السياق. فالتلمود يقول إنه حين يتمدد ميت أمام النائح، عليه أن يعدّل الحكم الإلهي بالقول: " يا حاكم الكون، لقد خطئت أمامك ولم تعاقبني ألف مرة ". لكن ثمة من اعترض هنا وقال إنه يجب أن لا يقول هذا، لأنه بذلك " يعطي للشيطان مجالاً " (قارن: Remu, YD,378: 2).

كان الشيطان مسئولاً عن كل الآثام التي نصادفها في التوراة: سقوط آدم (PDRE 31:1)؛ الذين عبدوا العجل بالقول إن موسى لن يعود من جبل سيناء (Shab 89 a)؛ وخطيئة داود مع بتشباع (Sanh 107 a). وهو يرتبط مع الأمم الغريبة في السخرية من الحوقيم، أي تلك الشرائع – مثل שעטנז (تحريم ارتداء الثوب
==

بكثير أثناء حقبة السبي البابلي وبعدها (القرن السادس إلى القرن الخامس قبل الميلاد)، عندما كان يتم الاحتكاك مع الزرادشتية. في العهد القديم، يدعى يهوه رب الجنود. وهذه الحشود (صبؤوت) هم الجيش السماوي الذي يحارب قوى الشر ويقوم بمهام مختلفة، مثل حراسة مدخل الفردوس، معاقبة الأشرار، حماية المؤمنين، وإنزال كلمة الله للإنسان عبر الوحي. تم ذكر اثنين من رؤساء الملائكة في نصوص العهد القديم القانونية: ميخائيل [ميكائيل]، الزعيم المحارب للحشود السماوية، وجبرائيل، الرسول السماوي. كما تم ذكر اثنين في أبوكريفا العهد القديم: رافائيل، معالج الله أو مساعده (في سفر طوبيا)

المصنوع من القطن والكتان [راجع: لا 19: 19؛ تث 22: 11] وتحريم الخنزير – التي لا يوجد سبب عقلاني لتحريمها؛ وذلك لإضعاف الولاءات الدينية من ثم بين اليهود (Yoma 67 b). في روش ها شناه نجد أن الهدف من إصدار صوت الشوفار هو " إرباك الشيطان " (RH, 16 b)؛ لكن الشيطان يكون عاجزاً بالكامل في يوم الغفران؛ ويشار إلى هذا في حقيقة أن المعادل الرقمي للشيطان هو 364، بمعنى أن هنالك يوماً في السنة يكون فيه الشيطان عاجزاً (Yoma 20 a)؛ وبالطبع فهو يوم كيبور.

يذكرنا الشوفار بحديث إسلامي عن أن الشيطان يهرب من صوت الأذان. فالشوفار يستخدم عند اليهود في الدعوة إلى الصلاة.

שופר (شوفار): هو قرن حيوان يستخدم كآلة موسيقية. يستخدم الآن بشكل يومي؛ هذا عدا استخدامه في اليوم الآخر لإعلان الموت (MK 27 b). وكما أشرنا من قبل، فالشوفار يخيف الشيطان وأرواح الشر.

وأوريئل[1] (نار الله)، مراقب العالم والجزء الأدنى من الجحيم (في سفر عزرا الثاني). وعلى الرغم من أن هؤلاء الأربعة هم الوحيدون يذكرون بالاسم، إلا أن سبعة رؤساء ملائكة يشار إليهم في طوبيا 12 : 15. وإلى جانب رؤساء الملائكة، كانت هناك أيضاً نظم أخرى من الملائكة ، الكروبيم والسيرافيم، التي لوحظت في وقت سابق.

"إن شخصية الشيطان، الذي كان في الأصل خادماً لله، المعيّن من قبله مدعياً باسمه، صار أكثر فأكثر يشبه أهريمان، عدو الله. وثانياً، شخصية المسيا، الذي كان في الأصل ملكاً مستقبلياً لإسرائيل والذي كان سينقذ شعبه من القمع، تطوّرت، في سفر التثنية -إشعياء، على سبيل المثال، إلى مخلِّص عالمي شبيه جداً بسوشيانت الإيراني. هناك نقاط أخرى للمقارنة بين إيران وإسرائيل تشمل عقيدة الألفية ؛ الدينونة الأخيرة ؛ الكتاب السماوي الذي تنقش فيه الأعمال الإنسانية ؛ القيامة ؛ التحول النهائي للأرض ؛ الجنة على الأرض أو في السماء ؛ والجحيم".

---

(1) والملاك الذي أرسل إلي، والذي كان اسمه أوريئيل، أعطاني جواباً (4 : 1). وعلى هذه الأمور أعطاهم أوريئيل رئيس الملائكة جواباً، وقال، حتى حين يكون عدد البذور ممتلئاً فيكم: لأنه وزن العالم بالتكافؤ (4 : 36). بالمقياس قاس الأزمنة ؛ وبالعدد عدّ الأزمنة ؛ ولم يحركها ولم يثرها، حتى تحقّق المقياس المذكور.(4 : 37). وهكذا صمت سبعة أيام ، حدادا وبكاء ، مثلما أمرني أوريئيل الملاك (5 : 20). اين هو اوريئيل الملاك الذي جاء اليّ في الأول؟ لانه قد دفعني الى السقوط في كثير من الغموض وانتهت نهايتي إلى فساد وصلاتي إلى توبيخ.

تحت تأثير الزرادشتية، فإن الشيطان، الخصم، كان قد تطوّر على الأرجح إلى كبير الشياطين. وشملت شياطين أخرى عزازيل (شيطان البرية، المتجسّد في كبش الفداء)، لوياتان ورهب (شياطين الفوضى)، ليليث (شيطانة ليلية)، وغيرهم. لحماية أنفسهم من قوى الشياطين والأرواح النجسة، كان اليهود المتأثرين بالمعتقدات والعادات الشعبية (كما هو الحال مع المسيحيين فيما بعد) غالبًا ما يحملون كلمات سحرية، تمائم، وتعويذات منقوش عليها صيغ فعالة.

"يميل المرء إلى القول إن كل ما كان حيوياً في رسالة زرادشت انتقل إلى المسيحية عبر المنفيين اليهود"[1].فالمسيحية، متأثرة على الأرجح بملائكة الطوائف اليهودية مثل الفريسيين والأسينيين[2] وكذلك العالم الهيليني، عززت وطوّرت أكثر النظريات والمعتقدات بالملائكة والشياطين. في العهد الجديد، تم ترتيب الكائنات السماوية في سبعة صفوف: الملائكة، رؤساء الملائكة، الرؤساء، السلطات، الفضائل، السيادات، والعرش. بالإضافة إلى هذه أضيف كروبيم وسيرافيم العهد

(1) R.C. Zaehner, *The Dawn & Twilight of Zoroastrianism*, p. 172.

(2) "يمكن العثور على موازٍ دقيق تمامًا لهذا الحل للشر في *دليل الانضباط*، وهو ربما الوثيقة الأكثر إثارة للاهتمام في طائفة قمران من البحر الميت. وكون الديانة اليهودية متأثرة بعمق بالزرادشتية أثناء وبعد السبي البابلي مسألة لا يمكن طرح أسئلة بشأنها تقريباً، وأن الشبه الاستثنائي بين نص البحر الميت ومفهوم الغاثات عن طبيعة وأصل الشر، كما نفهمه، إنما يشير إلى اقتراض مباشر من الجانب اليهودي".
.R.C. Zaehner, *The Dawn & Twilight of Zoroastrianism*, 57

القديم، التي هي، مع الرتب الأخرى الأخرى، تؤلّف الجوقات التسع من ملائكة اللاهوت الصوفي المسيحي المتأخر. وقد قدّم الكتّاب المسيحيون الأوائل أعداداً مختلفة أخرى من نُظم الملائكة: أربعة، في *كتابات سيبيلن الموحاة* (وهو عمل يهودي يفترض أنه يظهر الكثير من التأثير المسيحي)؛ ستة، في *راعي هرماس*، وهو سفر تم القبول به بوصفه قانونياً في بعض الكنائس المسيحية المحلية القديمة؛ وسبعة، في أعمال *أقليمنضس* السكندري وغيره من اللاهوتيين الرئيسين. في كل من التقوى واللاهوت الشعبيين، كان العدد ثابتًا بشكل عام عند سبعة. كانت الملائكة التي حظيت بأكبر قدر من الاهتمام والتبجيل في المسيحية هي الملائكة الأربعة المذكورة في العهد القديم والأبوكريفا. صار ميخائيل المفضل للكثيرين، وفي ممارسة طقوسه كان هناك بعض الخلط بينه وبين القديس جاورجيوس، الذي كان أيضا شخصية محاربة.

عرف علم الشياطين نوعاً من التجديد في المسيحية الذي ربما كان مقبولاً في الزرادشتية. فالشيطان، العدو الرئيس للمسيح؛ لوسيفر، حامل النور الساقط؛ وبعلزبوب الكنعاني الأصل، رب الذباب (أو ربما، بعلزبول، رب الروث)، الذي ذكره يسوع، كلهم شياطين. يُشتق مفهوم إبليس devil واسمه من المفهوم الزرادشتي daevas والكلمة اليونانية daibolos التي تعني المفتري أو المتهِم، وهو ترجمة للمفهوم اليهودي للشيطان. كقوة شيطانية مفردة أو كتجسيد للشر، كان عمل الشيطان الرئيس هو إغواء الإنسان بالتصرف بطريقة لا يحقّق فيها مصيره ما فوق الأرضي. ولأنه كان يُعتقد أن الشياطين تسكن

أقفاراً لا ماء فيها، حيث كان الجياع والمتعبون في غالب الأحيان يعانون من هلوسات بصرية وسمعية، دخل الرهبان المسيحيون الأوائل إلى الصحراء ليكونوا طليعة جيش الله في الانضمام إلى المعركة مع الشياطين المغرية. وكثيراً ما سجلوا أن الشيطان جاء إليهم في رؤى كإمرأة مغوية، مغرياً إياهم على خرق تعهداتهم في الحفاظ على أنفسهم نقيين جنسياً، جسدياً، وذهنياً.

خلال فترات معينة في أوروبا المسيحية، خاصة في العصور الوسطى، أدّت عبادة الشياطين وممارسة السحر إلى غضب كلّ من الكنيسة والناس من أولئك الذين يشتبه في ممارستهم للطقوس الشيطانية، مثل القداس الأسود. إحدى صيغ القدّاس الأسود (يُتلى القدّاس بشكل معكوس ومع صليب مقلوب على المذبح) حافظت على استمراريتها في السحر الشعبي: "hocus-pocus"، وهي اختصار لجملة "Hoc est corpus meum" ("هذا هو جسدي")، الكلام الجوهري في الافخارستيا، أو القربان المقدس. ارتبط السحر والشعوذة ارتباطًا وثيقًا بعلم الشياطين في فكر المسيحية، خاصة في الغرب.

في النصف الثاني من القرن العشرين، وفيما يتعلق باهتمام متجدد بالخوارق الطبيعية، كان هناك ثمة أدلة على إحياء عبادة شيطان والسحر الأسود، على الرغم من أن هذا كان مقتصراً على طوائف صغيرة التي أثبتت أنها سريعة الزوال.

يرتبط علم الملائكة وعلم الشياطين في الإسلام ارتباطاً وثيقاً بمذاهب مشابهة في اليهودية والمسيحية. فإلى جانب حاملي العروش الأربعة، هنالك أربعة ملائكة أخرى معروفة جيداً: جبريل (جبرائيل)، الملاك المختص بالوحي؛ ميكائيل (ميخائيل)، ملاك الطبيعة، الذي يمد الإنسان بالطعام والمعرفة؛ عزرائيل، ملاك الموت؛ وإسرافيل، الملاك الذي يضع الروح في الجسم وينفخ في الصور يوم القيامة.

مخطوطات قمران

حتى عام 1947 كانت المعلومات حول الطوائف اليهودية الثلاث، الإسينيون، الفريسيون، والصدوقيون غير واضحة. وكان الفلاسفة والمؤرخون اليهود مثل فيلون[1] ويوسيفوس[2] قد تحدّثوا عن عاداتهم وتقاليدهم، لكن حتى تلك الروايات كانت متناقضة في بعض الأحيان. وعلى سبيل المثال، وفقاً ليوسيفوس، كان الإسينيون يقربون الأضاحي في طقوسهم الاحتفالية، لكن فيلون ذكر أنهم لم يكن لديهم أية قرابين على الإطلاق وبدلاً عن ذلك أثبتوا تقواهم بتقديس أفكارهم[3].

---

(1) Judaeus Philo (30 B.C.-50 A.D.), فيلسوف ومؤرخ يهودي، من مواطني الإسكندرية، مصر

(2) Flavius Josephus (37-100 A.D.) مؤرّخ وكاتب يهودي

(3) Golb N., *Who Wrote the Dead Sea Scrolls*?, Simon and Schuster, 1995, p. 6.

عاش الإسينيون من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي في فلسطين. وعلاقات الإسينيين، والفريسيين الذين ظهر منهم الكثير من الحاخامات ومعلمي الدين، كانت قد قُبلت بالفعل من قبل العديد من الكتّاب. وكان من المعروف أنه على عكس الصدوقيين (الذين كانوا الحاخامات ومعلمي الدين)، كان الفريسيون يؤمنون بالحياة ما بعد الموت والجنة والجحيم.[1] إن تأثير الزرادشتية في الفريسيين واضح إلى درجة أن بعض المؤلفين مثل زاهنر أطلقوا عليهم اسم "الفارسيين". وأفيد أيضاً أن الإسينيين كانوا يعتقدون بقيامة الموتى في هيئات جديدة. والواقع أن يوسيفوس ادعى أنهم اعتبروا أن الجسد هو السجن الذي تُحبس فيه الروح مؤقتًا حتى الموت[2].

لقد سلّط اكتشاف مخطوطات خربة قمران في كهوف البحر الميت عام 1947 الضوء على عقائد وممارسات الإسينيين. وقد وجد مؤلف فرنسي، يدعى دوبون سومر، بعد مراجعة نص اللفائف، العديد من الأدلة على التأثير الزرادشتي. وقد تم تحليل المعتقدات المشتركة للإسينيين والزرادشتيين من قبل مؤلفين مختلفين فكانت على النحو التالي:[3]

حظر الأضاحي في الطقوس: في الفصل المتعلّق بالعبادة عند الطائفة، يجد المرء أنه قد استبدلت طقوس تكريس اللحم والدهن

(1) Ashtiyani J., *A Research in Judaism*, p. 260, in Persian.
(2) Golb N., *Who Wrote the Dead Sea Scrolls*?, Simon and Schuster, 1995, p. 5-6.
(3) Ashtiyani J., *A Research in Christianity*, in Persian. p. 124-126.

للنار، بالتعبير عن الإخلاص لله من خلال الصلوات الأصيلة للشفاء، للمشي على طريق العدالة والكمال لتلقي النعم الإلهية.

1. إن العقيدة الزرادشتية الجذابة القائلة إن النور يرمز إلى الخير والظلمة إلى الشر، كانت قد انتشرت على ما يبدو حتى فلسطين قبل زمن نصوص قمران وقد قبلت بها جميع الطوائف.[1] إن مراجعة لمخطوطات قمران تكشف أيضًا أن الإسينيين كانوا يؤمنون بصراع دائم بين قوى الخير والشر. فأحد النصوص يقترب بشكل واضح من تعاليم زرادشت: "خلق الله الإنسان ليحكم العالم ومنحه روحين من الشر والبر تكونان معه حتى لحظة الدينونة. من ينبوع النور الجيل الصالح، ومن مصدر الظلام يأتي الخبيثون والأشرار إلى الوجود. حاكم النور هو المسيطر على عالم الأبناء الصالحين الذين يسيرون في الطريق المنير، والمملكة الأخرى تُحكم من قبل ملاك الظلام، حيث يمشي أبناء الشر في الطريق الخافت. وكل البشر ينحدرون من هذين الروحين ويمشون في دروبهما. لكن الله في حكمته حدّد اليوم الذي يتم فيه تدمير أتباع الكذب ويسود الحق في العالم".

يذكّرنا المقطع أعلاه بالياسنا 30، وعلى وجه الخصوص، الجملتان الأخيرتان اللتان تعكسان "حرية الاختيار" و"الأمل بانتصار البر" إنما تشبهان بشكل مذهل التعاليم النقية لزرادشت في الغاثات.

(1) Golb N., *Who Wrote the Dead Sea Scrolls*?, Simon and Schuster, 1995, p. 81.

2. الاعتقاد بالبر والعدالة والنظام وحظر الأكاذيب والتي تشكل أساس المذهب الزرادشتي.

3. اعتقد الإسينيون بحرية الاختيار كما اعتقد الزرادشتيون، وآمنوا بأن كل إنسان عليه اختيار طريقه بحريّة. هذا المفهوم يعكس التأثير الزرادشتي، كما هو الحال في اليهودية الأصلية، بأن يهوه هو من كان سيختار شعبه ويمنحهم نعمة كونهم مختارين.

4. على النقيض من الاعتقاد السائد بأن الحكمة إنما تعود لله، فقد كانوا يؤمنون بحكمة الإنسان أيضاً، وأعربوا عن اهتمامهم بالفلسفة. في العقيدة الزرادشتية، الحكمة هي مصدر كل الأعمال الصالحة، والحكماء فقط هم الذين يختارون بطريقة صحيحة.

5. خلافا للديانة اليهودية الأصلية، فإن اللفائف لا تكتب شيئاً عن الانتقام، بل إنها تؤكد على الحب، الأعمال الخيرة؛ وقد آمن الإسينيون بثلاثة مبادئ هي حب الإحسان، حب البشرية وحب العدالة.

6. تم إيلاء اهتمام خاص للنظافة والمرافق الصحية العامة. وكان الإسينيون يأخذون حماماً يومياً في الماء البارد ويرتدون مثل الزرادشتيين ملابس بيضاء نظيفة.

7. لم يؤمن اليهود عموماً بخلود النفس ومفاهيم الإسكاتولوجيا لم تكن مقبولة عموماً من قبلهم حتى بعد المسيحية. لكن الإسينيين كانوا يؤمنون بخلود الجسد والنفس واعتبروا الجسد دار سجن

حيث كانت النفس مقيدة بشكل مؤقت، وأخيراً حين تغادر كانت سترتفع عالياً. كما كان لطائفة قمران رأي يقول إن أنفس الأخيار ستحظى بحياة أبدية؛ وبالمثل ففي الزرادشتية الجديدة نجد أن الفرافاشي[1] (الجوهر الإلهي) لجميع البشر كانوا ينتمون إلى الله وبعد الموت كانوا يعودون إلى المصدر.

8. آمن الإسينيون أيضاً بيوم القيامة الأخير، الثواب والعقاب.

9. إيمانهم بقدوم المسيا يشبه مفهوم سوشيانت في الزرادشتية الجديدة.

10. في صلاة الصبح، كانت طائفة قمران تبجّل الفجر والشمس والنور مما يوضح التأثير الفارسي. ويذهب يوسيفوس إلى ما هو أبعد من ذلك باقتراح أن الإسينيين مارسوا أحد أشكال عبادة الشمس.[2]

---

(1) فرافاشي في اللغة الأفستية هو تعبير عن المفهوم الزرادشتي حول روح شخصية لفرد بعينه، سواء أكان ميتاً، حيّاً، أو لم يولد بعد. إن فرافاشي فرد ما إنما يرسل الأورفان (التي تترجم عادة "بالنفس") ضمن العالم المادّي للحرب في معركة الخير ضد الشر. وفي اليوم الرابع بعد موت الشخص، يتصور المؤمنون بالفرافاشي أن الأورفان تعود إلى الفرافاشي الخاص بها، حيث تجمع تجربتها في العالم المادي لمساعدة الجيل المقبل في حربهم بين الخير والشر.

(2) Golb N., *Who Wrote the Dead Sea Scrolls*?. Simon and Schuster, 1995, p. 81.

خاتمة

خلال خمسة قرون من الاحتكاك، حصل التفاعل بين التقليدين. فقد طور اليهود تحت التأثير الفارسي علم الإسكاتولوجيا، علم الملائكة وعلم الشياطين، والأمل المتجدد بالمستقبل بمعنى انتصار الخير على الشر، قدوم المسيا وإقامة ملكوت الرب. لكن العديد من هذه المفاهيم العقائدية، انتقلت لاحقاً إلى المسيحية والإسلام وقد توسّع الأخير فيها بالفعل. إن تفاصيل جسر الدينونة (صراط)، عذابات جهنم، وثوابات الجنة، القيامة وعودة النفوس إلى المصدر في القرآن هي أفضل شاهد على هذه الحقيقة. من المنظورات الإسلامية الأخرى المستمدة من الزرادشتية نجد الصلوات الخمس اليومية[1]، التأكيد على الحكمة، رفض الصور، الله، على أنه كيان لطيف ورحيم والذي هو "نور السماوات والأرض"، والتركيز على مساعدة الفقير. من المثير للاهتمام أنه على الرغم من أن نبي الإسلام في القرآن، يلقّب "بالنبي الأخير"، إلا أن مفهوم المخلّص المستقبلي لم يكن قد نسي تماماً عند جميع الطوائف الإسلامية. ويؤمن الشيعة الإيرانيون بالإمام الأخير الذي سيأتي عندما يكون العالم في حالة من الفوضى، ويحقق العدالة والنظام والهدوء.

(1) Boyce M., *The Contribution of Zoroastrianism To the Great World Religions*, transcript of lecture, p.12.

الزرادشتية واليهودية:
موازيات أخرى!

رأى الإغريق القدماء في الزرادشتية النموذج الأصلي للرؤية الثنوية للعالم والمصير الإنساني. وكان من المفترض أن يكون زرادشت قد أصدر تعليماته لفيثاغورث في بابل وألهم النظريات الكلدانية في علم التنجيم والسحر. وهكذا، فمن المرجح أن الزرادشتية أثرت على تطور اليهودية وولادة المسيحية. ماثل المسيحيون، متبعين التقليد اليهودي، بين زرادشت وحزقيال ونمرود وشيث وبلعام وباروخ وحتى من خلال الأخير مع يسوع المسيح نفسه. من ناحية أخرى، باعتباره مؤسس علم التنجيم والسحر المفترض، كان يمكن اعتبار زرادشت من كبار الهراطقة.

على الرغم من أن الزرادشتية لم تكن أبداً، حتى في تفكير مؤسسها، توحيدية بإصرار، كما هو الحال، على سبيل المثال، في اليهودية أو الإسلام، إلا أنها تمثّل محاولة أصلية للتوحيد في ظلّ عبادة إله واحد سام لدين متعدد الآلهة يشبه دين الإغريق القدماء، اللاتين، الهنود وغيرهم من الشعوب القديمة. لم تُفهم ميزتها البارزة الأخرى، ألا وهي الثنوية، على نحو مطلق وصارم. فالخير والشر يتقاتلان في معركة غير متكافئة يُضمن فيها انتصار الأول. وبالتالي، فإن قدرة الله الكلية محدودة بشكل مؤقت ليس إلا. في هذا النضال يجب على جميع البشر أن يتجندوا بسبب قدرتهم على الاختيار الحر. إنهم يفعلون ذلك

بالنفس والجسد، وليس ضد الجسد، لأن التعارض بين الخير والشر ليست هي نفسه بين الروح والمادة. وخلافاً للموقف المسيحي أو المانوي، يُحظر الصيام والزهد إلا كجزء من الطقوس التطهيرية. إن النضال الإنساني له جانب سلبي، رغم ذلك، لأنه يجب عليه أن يسعى إلى النقاء ويتفادى التنجس من قبل قوى الموت، والاتصال بالمادة الميتة، وما إلى ذلك. وهكذا، فإن الأخلاق الزرادشتية، رغم أنها في حد ذاتها نبيلة وعقلانية ، لها جانب طقوسي يشمل كلّ شيء. وعلى العموم، فإن الزرادشتية متفائلة وقد ظلت كذلك حتى أثناء المشقات وقمع المؤمنين بها.

اليهودية والزرادشتية

كانت الديانة الزرادشتية مصدر التوحيد اليهودي، والتي جلبت من "المنفى" عند "العودة" (إش 43: 10 -13[1]؛ إر 10: 1 -16[2]).

---

(1) اش 43 -10: أنتُم شُهودي، يَقولُ الرَّبّ وعَبدِيَ الَّذي آختَرتُه لِكَي تَعلَموا وتُؤمِنوا بي وتَفهَموا أَنِّي أَنا هو لم يُكونْ إِلهٌ قَبْلي ولا يَكونُ بَعْدي. اش 43 -11: أَنا أَنا الرَّبُّ ولا مُخَلِّصَ غَيري. اش 43 -12: أَنا أَخبرتُ وخَلَّصتُ وأَسمَعتُ لا غَريبَ فيكم وأَنتُم شُهودي، يَقولُ الرَّبّ، وأَنا الله. اش 43 -13: ومُنذ اليَومَ أَنا هو ولا مُنقِذَ مِن يَدي أَفعَلُ ومَن يَرُدّ؟

(2) ار 10 -1: إِسمَعوا الكَلِمَةَ الَّتي تَكَلَّمَ بِها الرَّبُّ عليكم يا بَيتَ إِسْرائيل. ار 10 -2: هكذا قالَ الرَّبّ: لا تَتَعَلَّموا طَريقَ الأُمَم ولا تَفزَعوا مِن آياتِ السَّماءَ الَّتي تَفزَعُ مِنها الأُمَم. ار 10 -3: لِأَنَّ مُمارَساتِ الأُمَمِ باطِلة فإِنَّما هو خَشَبٌ مَقطوعٌ مِن الغابَة تَصنَعُه يَدُ النَّحَّاتِ بالإِزْميل. ار 10 -4: يُزَيِّنُ بِالفِضَّةِ والذَّهَب بِالمَسامير والمَطارقِ يُثبتُ لِئَلاَّ يَتَحَرَّك. ار 10 -5: فيكونُ كالفزَاعةِ في حَقلٍ مِنَ الخِيار فلا ==

وحتى علماء المسيحية لاحظوا أن مفهوم أهورامزدا أقرب إلى مفهوم الله اليهودي من أي مفهوم لأي دين شرقي آخر. إن الإسرائيليين القدماء في منطقة التلال الفلسطينية لم يكونوا من الموحدين. وقبل أن يتم إعادة تشكيلها من قبل الفرس، كانت اليهودية تعددية الآلهة. كان الإله اليهودي إلهًا قبليًا[1] ـ أحد الآلهة القبلية السامية، والذي يُسمى

يَتكلّم ويُحمَلُ حَملاً لِأنّه لا يَمْشي. فلا تَخافوا مِن مِثلِ هذه الأصْنام فإنّها لاتُسيءُ ولا في وَسعِها أيضاً أن تُحسِن. ار 10 -6: لا نَظيرَ لَكَ يارَبّ عَظيمٌ أنتَ وعَظيمٌ آسمُكَ في الجَبروت. ار 10 -7: مَن لا يَخْشاكَ يا مَلِكَ الأُمَم؟ لِأنّه بِكَ يَليقُ ذلك فبَينَ جَميعِ حُكَماءَ الأُمَم وفي المَمالِكِ بِأسرِها لا نَظيرَ لَك. ار 10 -8: جَميعُهم بَليدونَ حمقى وتَعليمُ الأصْنامِ خَشَبٌ هو. ار 10 -9: إنّها فِضّةٌ مَطْروقَةٌ مَجْلوبةٌ مِن تَرْشيش وذَهَبٌ مِن أُوفاز فإنّما هي صُنعُ النَّحّات ومِن يَدَي الصّائغ ولباسُها البِرفيرُ البَنَفسَجِي والأُرْجُوان فهي بِجُملَتِها مِن صُنعِ الصّانِعين. ار 10 -10: أمّا الرّبُّ فهو الإلهُ الحَقّ الإلهُ الحَيُّ والمَلِكُ الأزَلي. مِن سُخطِه تَتزَلزَلُ الأرض والأُمَمُ لا تُطيقُ غَضَبَه. ار 10 -11: (هكذا تَقولونَ فيها: الآلِهَةُ الّتي لم تَصنعِ السَّمَوات والأرض تُبادُ مِنَ الأرض ومِن تَحتِ هذه السَّمَوات). ار 10 -12: هو الّذي صَنَعَ الأرض بِقُوَّتِه وثَبّتَ الدُّنيا بِحِكْمَتِه وبَسَطَ السَّمَوات بِفِطنَتِه. ار 10 -13: إن نادى بِصَوتِه ضَجّتِ المِياهُ في السَّماء! وأصعَدَ الغُيومَ مِن أقْصى الأرض ويُحدِثُ البُروقَ لِلمَطَر ويُخرِجُ الرّيحَ مِن خَزائِنِه. ار 10 -14: كُلُّ بَشَرٍ لِقِلّةِ العِلمِ صارَ بَليداً وكُلُّ صائغٍ يخزى بِالتِمثال لِأنَّ مَسْبوكَه كَذِبٌ ولا روحَ فيه. ار 10 -15: إنّما هذه باطِلَةٌ وصُنعٌ مُضحِك وفي وَقتِ عِقابِهِم تَهلِك. ار 10 -16: لَيسَ مِثلَ هذه نصيبُ يَعقوب لِأنّه هو جابِلُ الكُلّ وإسرائيلُ هو سِبطُ ميراثِه ورَبُّ القُوّات آسمُه.

(1) يقول نيتشه في *عدو المسيح*: لا قيمة لتاريخ اسرائيل كتاريخ انموذجي *لازالة السمة الطبيعية* عن القيم الطبيعية: سوف أشير الى خمس مراحل في تلك العملية. في ==

البداية، خاصّة في حقبة المملكة، أقامت اسرائيل علاقة صحيحة، أي طبيعيّة، مع كلّ الأشياء. كان يهواهم تعبيراً عن شعورهم بالقوّة، عن سرورهم من ذواتهم، عن آمالهم بأنفسهم: فيه توقّعوا الانتصار والخلاص، معه وثقوا أنّ الطبيعة سوف تقدّم للشعب ما يحتاجه - المطر أوّلاً. يهوه اله اسرائيل *وبالتالي* اله العدل: منطق كلّ أمّة قويّة ولديها شعور طيّب بذلك. ويجد هذان الوجهان للتوثيق الذاتي عند الشعب تعبيراً لهما في الطقس الاحتفالي: إنّه ممتن للقدر العظيم الذي رفع من شأنه الى الأعالي، ممتن لفصول السنة وكلّ ما فيها من حظّ طيّب في الدواجن والزراعة.ـ واستمرّت هذه الحالة كمثل أعلى لفترة طويلة، حتى بعد انتهائها مأساويّاً: الفوضى من الداخل، والآشوريون من الخارج. لكن الشعب استبقى كأمنية عليا له صورة ملك هو في آن جندي باسل وقاض عادل، وأولاً أحد الاشعياهات (أي ناقد وهجّاء أوانه) الانموذجيين. لكن لم يتحقّق أيّ أمل. لم يعد *بامكان* الاله القديم أن يقوم بما استطاع فعله سابقاً. لابدّ من التخلّي عنه. ماذا حدث؟ غيّر المرء مفهومه، - أزال عنه المرء السمة الطبيعيّة: وبهذا الثمن أُمكن الاحتفاظ به. يهوه اله « العدالة »، ـ *لم يعد* على وفاق مع اسرائيل، أو تعبيراً عن الثقة الذاتيّة القوميّة: الآن هو مجرّد اله مقيّد بشروط. صار مفهومه الجديد أداة في أيدي المهيّجين كهنوتيّاً الذين راحوا يفسّرون منذ ذلك الوقت كلّ الفرص الطيبة على أنّها عطايا، وكلّ النكبات على أنّها عقوبات على معصية الاله، على « الاثم »: أكذب أشكال التفسير « للنظام الأخلاقي العالمي » المزعوم، والذي به وقف مفهوم « علّة » و « معلول » على رأسه مرّة والى الأبد. حين أبعد المرء السببيّة الطبيعيّة عن العالم عبر الثواب والعقاب، كان من ثم بحاجة الى سببيّة *معادية للطبيعة*: كلّ ما تبقّى من اللاطبيعيّة يأتي مباشرة. اله، والذي *يتطلّب*، ـ عوض اله، والذي يساعد، يستنبط وسائلاً، الذي هو أساساً تسمية تطلق على كلّ ايحاء سعيد بالشجاعة والاعتماد على الذات...لم تعد *الأخلاق* التعبير عن الظروف التي في ظلّها يعيش الشعب ويتنامى، لم تعد أعمق غرائز حياته، صارت مجرّدة، نقيضة للحياة، ـ أخلاق هي تفسّخ أساسي للمخيّلة، « عين سوء » تصيب كلّ الأشياء.ـ
==

عمومًا بالرب، وفي اللغات السامية هو البعل. الإله القبلي، بالضرورة، ينطوي على تعددية الآلهة لأن هناك قبائل أخرى. وفكرة العهد مع قبيلة واحدة، هي الإسرائيليون، تعني تعددية الآلهة. وفيه يأمر الله: "خر 20 -3: لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرى تُجاهي"، وهو ما يتضمن الاعتراف بوجود آلهة أخرى. وعندما كتب الحكماء الكتب المقدسة، أدخلوا أفكارًا من الزرادشتية. أصبح السبنتات الملائكة وأصبحت الديفات الشياطين. وأصبح إلههم القبلي إلهًا كونيًا، لكنه ما زال يؤيد شعبه المختار.

في الديانة اليهودية، يحتوي إشعياء -التثنوي على التفسيرات التوحيدية الأولى في الكتاب المقدس، وهو التعبير الأول عن الشمولية التي لا سابق لها فيه، حيث تتم مقاربة التوحيد وعالمية زرادشت فقط عندما يظهر الملك الفارسي قورش كمنقذ واضح لليهود! يجب أن يكون الله الشامل توحيدياً لأنه وحده الذي يعبد. بينما الإله المحلي هو واحد فقط من بين العديد من الآلهة. وقد أدخل الفرس فكرة إله كامل ومحب وعالمي ـ أهورامزدا بأي اسم آخر ـ الذي كان وجوده الأرضي ومخلصه ملك الملوك، ملك الإمبراطورية الفارسية. يستشهد ثيوسيديس (460 – 399 ق.م. الحرب 4: 50)، بكلمات الفارسي، أرتافيرنيس

ماهي الأخلاق اليهوديّة، *ماهي* الأخلاق المسيحيّة؟ إنّها الحظ الذي سرقت منه براءته؛ البليّة الموسّخة بمفهوم « الاثم »؛ اعتبار الرفاهيّة « خطراً »، « اغواء »؛ توعّك فيزيولوجي مسمّم بدودة الضمير...(الفقرة 25)

Artaphernes، الذي تم القبض عليه وهو يأخذ رسالة من الملك الفارسي إلى إسبرطة، تؤكد فكرة الملك كمخلّص:

أفضل ما لدينا من عادات جيدة هو أننا نحترم الملك ونعبده على أنه صورة الله ، الله الذي يخلّص كل شيء.

تظهر أكثر من 100 كلمة فارسية في الكتاب المقدس اليهودي ـ المسيحي. وواحدة من الكلمات الأخيرة التي نطق بها يسوع على الصليب كانت فارسية (لوقا 23: 43). بعد الغزو الفارسي، أصبحت القدس مدينة فارسية من عدة جوانب. وينعكس التقسيم الثلاثي للمجتمع الفارسي في إسرائيل ـ الكهنة والأمراء والإسرائيليين.

من الحقائق الواضحة والملحة أن الكثير من مواد السبي تبدو حاضرة في العديد من المواضع التي نسميها نصوص ما بعد السبي. وقد نكون مضطرين حتماً إلى الشك في الوجود غير المؤثّر لأي نصوص من حقبة ما قبل السبي على الإطلاق.

أهورا مزدا ويهوه

كان الدين الفارسي توحيدياً مثل الديانة اليهودية التي خلقها ـ لم يكن الأمر كذلك! لم تكن اليهودية توحيدية قط ولا تزال غير كذلك، تماماً مثل الزرادشتية، فهي كما تخيّلها النبي، لم تكن توحيدية قط. لقد مر الفرس على الفكرة المماثلة التي كانت لديهم حول أهورامزدا ـ أنه كان الله العلي. تم الإعلان عن الآلهة القديمة بأنها شياطين، لكن الشياطين هم آلهة، إذا كانت الآلهة مجرّد كيانات خارقة للطبيعة. وإذا

كانت هناك شياطين كأرواح شريرة، كان يجب أن تكون هنالك ملائكة كأرواح خيّرة تساعد الإله الخيّر. ولديهم مستويات مختلفة من القوى.

"أهو" تعني الحياة وتشكل جزءاً من كلمة أهورا التي تبدو متساوية مع "الحي"، ارتباط واضح مع الشمس (سوريا، اسورا، أهورا)، خاصة بالنسبة للأشخاص من المناخ البارد. وهنا رابط آخر مع يهوه[1]،

---

(1) يهوه هو الاسم الخاص والهام (ليس مجرّد اسم عام غير علم مثل الرب [أدوناي]) والذي كشف به الله عن نفسه للعبرانيين القدماء (خر 6:2: וַיְדַבֵּר אֱלֹהִים אֶל־מֹשֶׁה וַיֹּאמֶר אֵלָיו אֲנִי יְהוָה: كَلَّمَ الله موسى وقالَ له: " أنا الرَّبّ. . خر 6:3: וָאֵרָא אֶל־אַבְרָהָם אֶל־יִצְחָק וְאֶל־יַעֲקֹב בְּאֵל שַׁדָּי וּשְׁמִי יְהוָה לֹא נוֹדַעְתִּי לָהֶם: أنا الَّذي تَرائَيتُ لإبْراهيمَ وإسحقَ ويَعْقوب إلهاً قَديراً، وأمَّا اسْمي " الرَّبّ " فلَم أُعلِمْهم بِه. [في الترجمات العربية للكتاب المقدّس الرب تعني يهوه]. هذا الاسم، رباعي الأحرف، اعتبره اليهود المتاخرون مقدّساً إلى درجة أنهم كانوا لا يلفظونه باستثناء لفظه من قبل الحاخام الأعظم في يوم الغفران، حين يدخل قدس الأقداس. وكلما ورد هذا الاسم في الأسفار المقدّسة فإنهم يلفظونه، مثلما لا يزالون يفعلون، أدوناي، وهكذا فهم يستخدمون كلمة أخرى عوضاً عن يهوه. لكن هذا العرف اليهودي إنما هو تفسير خاطئ لآية من سفر اللاويين، 24:16: וְנֹקֵב שֵׁם־יְהוָה מוֹת יוּמָת רָגוֹם יִרְגְּמוּ־בוֹ כָּל־הָעֵדָה כַּגֵּר כָּאֶזְרָח בְּנָקְבוֹ־שֵׁם יוּמָת: ومَن جدفَ على آسم الرب، فليُقتَل قَتْلاً: ترجمُه كُلُّ الجَماعةِ رَجْماً، نَزيلاً كانَ أو آبنَ البَلَد. إذا جَدَّفَ على الاِسم يُقتَل. معنى الكلمة يظهر من خر 3:14: " أنا هو مَن هو ". خر 3 -15: هذا اَسْمي لِلأَبَد وهذا ذِكْري مِن جيلٍ إلى جيل.

من الجدير ذكره أن هذا الاسم لا يُستخدم أبداً في التوراة السبعينية، التوراة السامرية التي تتضمن الأسفار الخمسة الأولى فقط، الأبوكريفا، أو في العهد ==

الذي يقال أيضًا أنه يعني "الحي"، من تشابهه المفترض مع ضمير الغائب المفرد "أن يكون". وهكذا تم فهم كل من يهوه وأهورامزدا على أنهما "إلهان حيان". إن لقب يهوه حيث تساويه "الأيام القديمة" مع "رزفاني آكاراني"، "الزمن الأبدي"، الإله زورفان[1] الفارسي.

كان إلها اليهودية والزرادشتية عليين بشكل مطلق، على الرغم من أنهما لم يكونا كذلك مؤقتًا. فقد اضطر أهورامزدا لقتال روح الشر، عبر التاريخ المادي، وكان على يهوه قتال الشيطان. فالشيطان، الذي كان في الأصل عبداً لله، وعينه كمدع له، أخذ دور أهرمان كعدو لله. الشيطان غير مساوٍ في السلطان ليهوه، لكن الإله الأعظم لا يستطيع أن يدمر هذا الإله الأقل شأناً. هذه هي بالفعل العلاقة بين أهورامزدا وأنغرا مانيو. الثعبان في سفر التكوين يعتبر الشيطان. الثعابين

الجديد. لكنه موجود على الحجر الموآبي، وهكذا لا بد أنه كان شائعاً جداً أن يلفظ من قبل العبرانيين زمن مسبا حتى يكون مألوفاً عند جيرانهم الوثنيين.

(1) الزورفانية هي فرع منقرض من الزرادشتية، حيث يعتبر الإله زورفان المبدأ الأول (الإله المبدع البدئي) الذي ولد توأمين متساويين لكن متعارضين هما أهورا مزدا وأنغرا مانيو. تعرف الزفارية أيضًا باسم "الزرادشتية الزورفانية"، وقد تتناقض مع المازدائية.

في الزورفانية، كان ينظر إلى زورفان على أنه إله الزمان والمكان اللامتناهيين وكان يعرف أيضاً باسم أكا ("واحد"، "وحده"). تم تصوير زورفان كإله متعال وحيادي، دون عاطفة، والذي كان يرى أنه ليس ثمة تمييز بين الخير أو الشر. الاسم في الفارسية الوسيطة مشتق من زروفان الأفستية، التي تعني الزمن، والذي هو نحوياً محايد كجنس.

في الزرادشتية هي من خلق الشر، وطبقًا للفنداداد، فهي أول خلق الشر، وهكذا فهي تمثل أيضًا وجه الشر في العالم المادي!

المخطط الزرادشتي أكثر اكتمالاً لأنه يقدم تفسيراً للروحين، لكن اليهودية لا. المزدانية لديها العديد من الأرواح الصغيرة الأقل شأناً مثلما لدى اليهودية ملائكتها، لكن روح الشر في الزرادشتية يعادل أهورامزدا في جميع النواحي باستثناء البصيرة.

إن محاولة حل المشكلة في اليهودية والمسيحية بالسقوط من النعمة ليس هو الجواب. ففي الزرادشتية، أسمودس (أسمادفيا Aesmadaeva) هو روح غاضبة (ي 728 :) التي أدت إلى سقوط الانسان (ي 30: 3) من خلال تقديم أسوأ العقل للإنسانية. البعض يغوون، لكن ذوي الذهن الخير سوف يهزمون الشياطين في النهاية. اليهودية تجعل من الشيطان ملاكاً ساقطاً، لكن الملائكة من المفترض أن تكون أرواحاً أدنى، لذلك ليس هناك تفسير لماذا لا ينهيه يهوه ببساطة. وعلاوة على ذلك، فإن يهوه، مثله مثل أهورامزدا، كان لديه بعد نظر، وهكذا عرف أنهما أنهما سوف يسقطان من النعمة عندما صنعهما، تماماً كما كان يعلم أن آدم وحواء كانا على علم بذلك. ومع ذلك، مضى إلى الأمام وخلق كيانات يعرف أنها ستقع في الشر. هذا هو ذاته خلق الشر، لأنه لم تكن هناك حاجة للقيام بذلك بمجرد أن تنبأ به.

تريد اليهودية والمسيحية إلهًا واحدًا مطلقًا، لكن الأساطير التي اكتسبوها في الفترة الفارسية عن إلهين متساويين، أدخلتهما نتيجة

لـذلك في التشـابكات اللاهوتيـة، الـتي لا تمتلكهـا الزرادشـتية. وفي الواقـع، بالنسبة إلى جميـع المقاصـد والأغـراض، تـؤمن العديـد مـن الطوائف المسيحية اليوم بروح الشر الأصلي الـذي يسـاوي الله، علـى الأقل على الصعيد الأرضي.

لم يكـن أهـورامزدا إلا صـاحب الخـير، في حـين أن يهـوه يجـب أن يكون صاحب الخير والمرض (إشعياء 45:7): اش 45 -7: [أنا مُبدِعُ النُّورِ وخالِقُ الظَّلام وصانِعُ الهَناءَ وخالِقُ الشَّقاء أنا الرَّبُّ صانِعُ هـذه كُلِّها]، الملائكة لكن أيضاً الشياطين، التي لـديها مثـل هـذه السـلطة في العهد الجديد. هل آمن اليهود بأن الأرواح الشـريرة، الشـيطان والبعـل، الذين تمردوا على الكتب المقدسة، كانوا الواقع من خلـق يهـوه؟ الكـثير من الكتب المقدسة يُظهر أنها كانت آلهـات مسـاوية ليهـوه وأن اسـم الله المفضل في الكتـاب المقـدس ليس ببسـاطة يهـوه، بـل يهـوه الآلـه: يهـوه إلوهيم. وفي مواضع من الكتاب المقـدس نجـد "إلـوهيم" وحـده ويترجـم على أنه "الآلهة". علاوة على ذلك، فإن الأنبيـاء يعتبرون البعلـيم آلهـة حقيقية، وليس مجرد أصنام.

أي محاولـة لإنتـاج الشـر مـن مكـان مـا خـارج سـيطرة يهـوه يجعـل اليهود والنصـارى ثنـويين كـالإيرانيين تمامـاً. لا أحـد يفعـل ذلـك، علـى الرغم من أن الشيطان غالباً ما يوصف بأنه "إلـه العـالم" بينمـا يهـوه هـو "إلـه السـماء"، خاصـةً مـن قبـل المسيحيين، الـذين لا تـزال غنوصـيتهم تضـيء، كمـا لـو كانـا آلهـين متسـاويين بعـالمين مختلفين. وهـذا هـو مجـرد تشويه للاعتقاد الزرادشتي بأن العـالم المـادي قـد أفسـده الخلـق الشـرير.

لكن في الزرادشتية، كان لا يزال في جوهره خلق الله الخيّر، وليس من خلق الشرير. لقد أمكن لروح الشر أن يتنافس فقط مع الإله الطيب على المستوى المادي في المزدانية. لكن في اليهودية استمر القتال على المجال السماوي أو الكوني. ومرة أخرى، علم نشوء الكون الزرادشتي أكثر اكتمالاً.

أهورامزدا هو الخالق (ي 29: 4)، هو كلي العلم (Y 31: 13-14)، هو المشرع (ي 1: 11)، هو المعلم (ي 31: 5؛ 32: 13) ومنشئ الملكوت (ي 28: 4) وهو للفقراء (ي 34: 3):

"يا مزدا، لك الملكوت، وبه تمنح أعظم البركات للفقراء الذين يعيشون بالحق".ي 53: 9

إنه الصديق والحامي والمقوّم وهو غير قابل للتغيير (ي 31: 7)، هو القاضي (ي 43: 4) يوم القيامة (ي 43: 5 -6). وهو يدعو زرادشت إلى التبشير:

"بلسان فمك تتكلّم، بحيث يمكن أن أجعل كلّ الأحياء مؤمنين". ي 31: 3

يقول هيرودوتس إن الفرس قيّموا، قبل كل شيء، آباء الأطفال ربما لأن النبلاء الفارسيين كانوا مجموعة محدودة من الناس. وهذا من شأنه أن يفسر الأمر التوراتي بالتكاثر، والسبب هو نفسه - أن "العائدين" ليسوا بأعداد كثيرة، وأن الهيكل يحتاج إلى أجساد للسهر عليه وإطعام الكهنوت الذي كان سيحصل على الجزية. وذهب إلى جانب ذلك ازدراء عملي للمثلية الجنسية، واضعين الفرس واليهود في

القطب المقابل لليونانيين، واستكمل الازدراء في ظل المسيحية، مما جعل ألفي عامًا من جانب طبيعي للجنسانية خطيئة.

كما يخبرنا هيرودوتس فإن الميديين والفرس لم يصنعوا صوراً لآلهتهم أو معابدهم أو مذابحهم. ويقارن الفرس مع الإغريق الذين كان لديهم شغف كبير للتماثيل الأنيقة للآلهة والإلهات في المعابد الأنيقة على حد سواء. ويعتقد أن بعض المباني الأخمينية كانت معابد للنار، وتم العثور على مذابح في الهواء الطلق مع فتحات فيما يبدو للحرائق، لكن المعابد المزعومة ما زالت موضع شك. يضيف هيرودوتس أن الفرس والميديين يتعبدون في الهواء الطلق في الأماكن المرتفعة أو على قمم الجبال ويخاطبون الأهورامزدا في السماء مباشرة، وبالتالي لا يحتاجون إلى معابد أو أيقونات أو تماثيل.

تظهر السجلات الآشورية أنه لم يتم رسم أي صور عندما هُزم الميديون في المعركة أو عندما استسلمت مدن ميديا. صنع الفرس منحوتات على الصخر بدلاً من التماثيل في قصورهم الملكية في بعض الأحيان للملوك، لرعاياهم والحيوانات الأسطورية لكن ليس على ما يبدو للآلهة. مع ذلك، يبدو أن صورة الفرافاشي المجنح النموذجية لأهورامزدا كما وجدت في نصب بيهيستون أنها تكذّب هيرودوتس، لكن النصب لم يكن، بالطبع، معبدًا، ويبدو أن الفرس قد تبنوا ببساطة اتفاقية الآشوريين لإظهارهم موافقة سماوية على ملوكهم وروح الله كشاهد على النقوش الوطنية.

وهكذا فإن غياب الإله يهوه في التمثيل هو ميراث من الفرس، على الرغم من أن الوصف الكتابي للهيكل يوحي بأن اليهود كان لديهم تمثيل أو تمثيلات لإلههم في قدس أقداس هيكل القدس - يبدو وكأنه يشبه رمز أهورامزدا على المعالم!

إسكاتولوجي:

يعتبر سفرا الملوك وأخبار الأيام ما قبل فارسيين ، لكن مصطلح "مدن ميديا" يظهر مرتين في الملوك. 2مل 17 -6: وفي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِهوشَعَ، آستَولى مَلِكُ أَشُّورَ على السَّامِرَة ، وجَلا إِسرائيلَ إِلى أَشُّور، وأَسكَنَهم في حَلاحَ وعلى الخابور، نهرِ جوزان، وفي مُدُنِ ميدِيا . 2مل 18 -11: وجَلا مَلِكُ أَشُّورَ إِسْرائيلَ إِلى أَشّور، وأَسكَنَه في حَلاحَ وعلى الخابور، نهرِ جوزان، وفي مُدُنِ ميدِيا. تدور هذه الأسفار حول خلافة ملوك إسرائيل ويهوذا الجديرين وغير المستحقين، لكن في خضم حياتهم و موتهم لا يبدو أي خداع حول وجهتهم النهائية - في الجنة أو الجحيم. يصور الله على أنه يتنازع مع أناس لا يمكن الاعتماد عليهم بشكل عام يسقطون باستمرار في عبادة الآلهة التي تسمى بعليم وعشتارات Asherahs التي هي في الحقيقة شياطين. لكن الوصايا العشر لا تحتوي على ذكر ليوم الدينونة.

دين الكنعانيين القدماء لم يعرف يوم دينونة

كان الوجود المستقبلي للأرواح بعد الموت خافتاً في الكتاب المقدس ما قبل السبي كما كان في الكلاسيكيات اليونانية القديمة. ففي الكتاب المقدس، قبل سقوط القدس، كان لدينا مفهوم الموت شيئول،

مكان مظلم وكئيب بلا ذكر لله. لا يوجد ذكر واضح لأي أمل في الخلود قبل أجزاء من أشعياء الثاني الذي هو متأخر بشكل واضح. في أقدم الكتابات الزرادشتية، الغاثات، التي يرجع تاريخها إلى حوالي 1000 ق.م، كانت الجنة ـ أفضل حياة ـ مكافأة على الحياة الصالحة. بعد الغزو الفارسي ظهرت مفاهيم السماء والجحيم في اليهودية وكان لليهود مذهب القيامة والدينونة للجميع. تذكرنا "العظام اليابسة" لحزقيال حز 37 -4: [فقال لي: "تَنَبَّأْ على هذه العِظام وقُلْ لَها: أَيَّتُها العِظامُ اليابِسَة، اِسمَعي كَلِمَةَ الرَّبّ.] بالعادات الفارسية بترك الموتى ليتم التقاطهم من قبل الطيور في الأبراج، بحيث لا ينجسون الأرض، وبعد ذلك يمكن قيامتهم. تتكلم ياشتا 19 : 80 وما بعد عن الخلود ما بعد نهاية الزمان؛ وفي وقت لاحق، توافق الكتب البهلوية على قيامة عامة للجسد وكذلك النفس في النهاية. إذاً، الزرادشتية هي المرجع الرئيس للإسكاتولوجيا اليهودية، وهي حقيقة يجب أخذها في كل مكان كأمر مسلم به ، حيث أن أدنى فحص سيؤكد ذلك.

النظام بأكمله عن الله العلي، الملائكة، الخلود، القيامة، الدينونة، الجنّة، الجحيم والمخلص يظهر في الحقبة الفارسية، عندما ذهب المستعمرون في موجات متتالية إلى فلسطين من أماكن في بلاد فارس. لكن لا توجد أي علامة على وجود مثل هذا النظام المتطور قبل الغزو البابلي، لذا فقد نشأ مع عدم وجود سابقات وطنية، أو كان له سابقات غير وطنية. ومن البداية إلى النهاية لدينا في كل مكان في الزرادشتية، النقاط الرئيسية للإسكاتولوجيا الخاصة باليهودية.

بعودة إلى سفر الملوك الثاني، نقرأ: [2مل 22 -8: فقالَ حِلقِيَّا عَظيمُ الكَهَنَةِ لِشافانَ الكاتِب: "إنِّي وَجَدتُ سِفرَ الشَّريعَةِ في بَيتِ الرَّب". وسَلَّمَ حِلقِيَّا الكاهِنُ السفرَ إلى شافان، فقَرأه.: 2مل 22 - 13: "إذهَبوا فأستَشيروا الرَّبَّ لي وللشَّعبِ ولكُلِّ يهوذا في أمرِ كَلامِ هذا السفرِ الَّذي وُجِدَ، لأنه شَديدٌ غَضَبُ الرَّبِّ الَّذي آضطَرَمَ علَينا، إذ إنَّ آباءَنا لم يَسمَعوا لِكَلامِ هذا السِّفرِ فيَعمَلوا بِكُلِّ ما كتِبَ في أمرِنا".]. النص يزعم القول بأن كتاب الشريعة وجد في عهد يوشيا (622 قبل الميلاد) وأنه قبل ذلك لم يكن لدى الإسرائيليين والملوك والكهنة أي معرفة بالشريعة. حتى قبوله لا توجد أي آثار لأي كتب قانونية سابقة لبني إسرائيل كان يمكن لها أن تبقى، حتى لو كان هناك بعضها، لذلك لم يكن من الممكن أن يبدأ الدين اليهودي حتى ذلك الحين، أي قبل 100 عام فقط من إرسال الفرس للمستعمرين. الأمر يدحض وجود معرفة القراءة والكتابة، وبالتالي يدحض وجود أي هيكل كبير. كان الهيكل سيحتوي كتبة لنسخ الكتب المقدسة!

في الواقع، تمت كتابة كتاب الشريعة من قبل المستعمرين الفارسيين وأعادوا صوغه في عهد يوشيا لإعطائه بعض التاريخ، وتغطية حقيقة أنه قد كتب من قبل "العائدين".

الأرواح المقدسة والمخلصون

أهورامزدا لديه روح قدس الذي يبدو في بعض الأحيان أنه هو ذاته وفي أوقات أخرى يبدو أن مستقل عنه. وهذا مطابق لروح قدس يهوه الذي له الخصائص ذاتها. لكنه ليس روح أهورامزدا الوحيد ـ

هناك ستة آخرين ، مما يجعل الجميع سبعة. يهوه لديه سبعة رؤساء ملائكة. ففي سفر طوبيا، تظهر الأرواح السبعة في راغا، المدينة المقدسة الزرادشتية، وأحدهم يسمى رافائيل، رئيس الملائكة اليهودية! طوبيا أيضاً لديه اسم شيطان أفستاني، أزموداوس. يتحدث زكريا 4: 10 ["فمَنِ الَّذي آزدَرى يَومَ الأُمورِ الصَّغيرة؟ إنَّهم سيَفرَحونَ ويَرَونَ حَجَرَ القِصْديرِ بِيَدِ زَرَبَّابَل. هذه هي سَبعُ عُيونِ الرَّبِّ الجائِلَةِ في الأَرضِ كُلِّها.] عن "هؤلاء السبعة" الذين هم أعين الرب، كان ثمة صورة لسبعة أعمدة مضيئة تظهر مرة أخرى في سفر الرؤيا. هناك أيضاً الأرواح السبعة لله: [رؤيا يوحنا : الفصل : 1 - الآية : 16 :وفي يَدِه اليُمنى سَبعَةُ كَواكِب، ومِن فَمِه خَرَجَ سَيفٌ مُرهَفُ الحَدَّين ، ووَجهُه كالشَّمسِ تُضيءُ في أَبهى شُروقِها. رؤيا يوحنا : الفصل : 1 - الآية : 20 : أَمَّا سِرُّ الكَواكِبِ السَّبعَةِ الَّتي رَأَيتَها في يَميني ومَناوِرُ الذَّهَبِ السَّبعِ، فإِنَّ الكَواكِبَ السَّبعَةَ هي مَلائِكَةُ الكَنائِسِ السَّبعِ، والمَناوِرَ السَّبعِ هي الكَنائِسُ السَّبعِ. رؤيا يوحنا : الفصل : 2 - الآية : 1 : إِلى مَلاكِ الكَنيسَةِ الَّتي بِأَفَسُس، أُكتُبْ: إِلَيكَ ما يَقولُ الَّذي يُمسِكُ بِيَمينِه الكَواكِبَ السَّبعَة، الَّذي يَمشي بَينَ مَناوِرِ الذَّهَبِ السَّبعِ: رؤيا يوحنا : الفصل : 3 - الآية : 1 : وإِلى مَلاكِ الكَنيسَةِ الَّتي بِسَرْديس، أُكتُبْ: إِلَيكَ ما يَقولُ صاحِبُ أَرواحِ اللهِ السَّبعَةِ والكَواكِبِ السَّبعَة: إِنِّي عالِمٌ بِأَعمالِكَ. يُطلَقُ عَلَيكَ اسمٌ مَعناه أَنَّكَ حَيّ، مع أَنَّكَ مَيت].

يظهر ميثرا في التلمود باسم ميترون أو ميتاترون. لم يذكر هذا الملاك على هذا النحو في الكتاب المقدس ولكن ينظر إليه على أنه "ملاك الوجود"، وهو الدور الذي بدا أن ميثرا أخذه في الدين الفارسي، ربما بسبب حلول ميثرا محل أهورامزدا في الدين الفارسي الذي جاء إلى الغرب. "ملاك الوجود" هو الله نفسه يظهر في شكل يمكن أن ينظر إليه البشر من دون حروق الشمس النهائية. وهو أيضاً "الشخص الذي يشبه اسمه اسم سيده". "من هو مثل الله؟" هو معنى اسم ميكائيل. وهو يؤكد ما قد يبدو واضحًا على أي حال، أن ميكائيل هو ميثرا (ميكا باللغة الفارسية القديمة).

في الزرادشتية، تحبل العذراء البكر الطاهرة من المني المحفوظ لزرادشت عندما تغتسل في البحيرة حيث تم الحفاظ عليه، وتبقى عذراء لأنها غير مخترقة. هكذا تصبح الأم العذراء لآخر ساوشيانت أو مخلّص. هذا بحسب البونداهيش Bundahish التي هي من زمن متأخر، لكن عناصرها يمكن رؤيتها في أجزاء من الأفستا (ي 13 : 142، 19 : 92، 13 : 62)؛ لذا، على الرغم من أنه لا يمكن إحصاء التعديل، إلا أن بعض الأساطير المماثلة كانت موجودة في الفترة السابقة.

أصبح المسيا اليهودي مخلِّصًا مشابهًا لسوشيانت Saoshyant الإيراني، على شكل ملك إسرائيل المستقبلي الذي سينقذ شعبه من الاضطهاد. يحاول المدافعون إظهار أن الفكرة اليهودية للمخلّص لم تأت من بلاد فارس بل أتت من عذابهم في المنفى في بابل وعلاقة العهد

التي عقدوها مع يهوه الذي وعدهم بحمايته إذا بقوا أخياراً. ومع ذلك ، فإن الحجة برمتها كما هو واضح هي مفارقة تاريخية. بالمقابل، يريد كتّاب متى، من خلال تقديم زيارة المجوس، أن يقولوا ضمناً أن يسوع هو سوشيانت الزرادشتيين، وكذلك المسيحيين. سوشيانت، "... يجعل العالم يتقدّم إلى الكمال، ولأنه لا يموت أبداً، ولا يفسد، لا يتعفّن أبداً، يعيش أبداً مفيد أبداً، لديه القدرة على تحقيق جميع الرغبات، عندما يقوم الموتى والحياة الخالدة سنأتي" (ي 19 : 83). قارن هذا مع إشعياء 26 : 19 : "ستَحيا مَوتاكَ وتَقومُ جُثَثُهم إستَيقِظوا وهَلِّلوا يا سُكّانَ التُّراب. فإِنَّ نَداكَ نَدى النُّور وستَلِدُ الأَرضُ الأَشْباح".

يعتقد الفرس، مثل يهود ما بعد السبي، أن النفس بقيت مع الجثة لمدة ثلاثة أيام - لم يكن الشخص ميتًا حقًا حتى اليوم الرابع عندما غادرت النفس. هذا يفسر لماذا يسوع كان سيقوم في اليوم الثالث. كما يظهر أن قيامة لعازر كانت فكرة لاحقة. إن عظمة معجزة قيامة لعازر في الإنجيل الرابع هي أنه مات لمدة أربعة أيام. كانت روحه قد غادرت ولم يعد يتذكر. كان يمكن للمرء أن يعتقد أن يسوع قد ادخر هذه المعجزة الاستثنائية لنفسه.

الطهارة

في عاداتهم الدينية ، كما وصفها هيرودوتس، اهتم الفرس بشكل خاص بالطهارة. وهنا لدينا أصول قوانين الطهارة اليهودية. يتم تسجيل قوانين النظافة المتعلقة بالحيوانات التي يعطيها عزرا لليهود في

اللاويين وحزقيال حيث لا يتم شرحها. لكن يتم شرحها في الفنديداد. طقوس التطهير متطابقة في التوراة والفديداد الأقدم منها. ويشرح فون غول Von Gall في *Basileia tou Theou*، 1926، القوانين اليهودية المأخوذة من الفرس.

اليهود لم يكونوا يحرقون موتاهم، ويفترض أنه كان تدنيساً للموتى، لكن في الحقيقة لأن معلميهم، الفرس، لم يرغبوا بتدنيس اللهب. لم يكن بإمكان الكهنة اليهود أن يقتربوا من أي قبر، فقد كانت نجاسة الموت قوية جداً، وكان يجب دفن الميت في الصف الأمامي من المقبرة كي لا يضطر أقرباؤهم إلى المرور بمقابر أخرى أثناء زيارة قبور أسرهم. وإذا كان اليهود ينظرون إلى الجثث على أنها غير طاهرة تماماً، فلماذا كان ليهم أن ينزعجوا من تدنيسها بالحرق؟ بالمعنى السليم، يجب تنقية مثل هذا التلوث الخسيس بالنار، حيث كان يُنظر إلى النار على أنها المطهر النهائي. لكن ما لدينا هنا هو عقلانية غير كاملة من الرفض الفارسي لتلويث النار.

يتم وضع جثث اليهود في القبور لتفسد، وبعد ذلك يتم جمع العظام في مستودع للعظام. كان للقبر أو الناووس الغرض نفسه الذي للأبراج الصامتة عند الفرس حيث كانوا يتركون أمواتهم لتلتقطهم الطيور، حتّى لا تلوث أيًا من العناصر. في كلتا الحالتين، يتم السماح للأجزاء الناعمة من الجثة بالتفرق ثم تُجمع عظامها في وقت لاحق. كلاهما كان يعالج الجثة بشموع أو مراهم، لكنه لم يذهب إلى حد تحنيطها، مثل المصريين.

لم يكن الفرس يحرقون قرابين لأهورامزدا – ذلك سيدنس اللهب المقدس. لكن يبدو أن الزرادشتية كانت تحرم التضحيات بأية حال، مع أنها لم توفق في ذلك بنجاح قط. إنّ تلويث الشعلة الحية المقدسة لم يكن مسموحاً به. فلم تُحرق التضحيات بل كانت تغلى في الهواء الطلق لتقديم رائحة حلوة لله. ومن المؤكد أن تقديم طعماً حلواً لله بدلاً من التضحية يظهر أيضًا في الكتب المقدسة اليهودية، وتلاهم الإسينيون في أوقات الإنجيل مما يوحي بأن التضحية كانت تكيفًا ما بعد فارسي، مع التأثيرات اليونانية ما بعد الإسكندر، أو ربما عودة إلى الممارسة القديمة لكهنة البعل.

قلة من العلماء ينكرون أن اليهود لديهم الكثير من السمات المركزية لدينهم من الزرادشتية. فقد حصلوا من الزرادشتية على معتقداتهم في:

- النجاسة والتلوث.
- الملائكة والشياطين وتسلسلها الهرمي - علم الملائكة وعلم الشياطين.
- خلود النفس ؛
- الدينونة الأخيرة وعقيدة الألفية ؛
- المكافآت والعقوبات بعد الموت ؛
- الكتاب السماوي الذي تدون فيه الأعمال البشرية ؛
- علم الأمور الأخيرة والقيامة ؛

- الطهارة النهائية للأرض ؛
- حالة مستقبلية لملكوت الله على الأرض ؛
- الجنة ؛
- الجحيم.

فرضت فكرة العهد مع الإله على "العائدين" من المنفى، الذين اضطروا إلى فرضه على السكان الأصليين للتلال الفلسطينية. يُظهر الفرس بشكل متكرر على منحوتاتهم العهود مع مزدا أو مردوخ. وقد عقد الفرس علاقات العهود لتكون ملزمة باعتبارها جانباً من جوانب الحقيقة، وجعلوا آشا وميثرا لحراستها. وجاء كل من المخلّص والعهد من الفرس، المخلص كان قورش والعهد كان مع أهورامزدا، إله السماء، الذي أعاد تسمية يهوه لليهود، الذي كان ممثله على الأرض الملك الفارسي.

شريعة الكهنة

أفقرت الضرائب الثقيلة التي فرضها الفرس الناس حتى في المناطق الغنية مثل بابل. يقول هيرودوتس، قبل حوالي عام 480 قبل الميلاد، إن البابليين كانوا فقراء لدرجة أنهم اضطروا إلى العهر ببناتهم. لذا، كان من الضروري وجود نظام للسيطرة على السكان من خلال طبقة الكهنة المتميزة. أوصل الكهنة البابليون علم الفلك إلى ذروته تحت الحكم الفارسي، مما يدل على أن لديهم الكثير من المال والوقت لدراسات غامضة.

مجموعة أورشليم من الطفيليين المقدسين مميزة على حد سواء. والشريعة، لأجل كل أساسها المفترض في عدالة الله، كانت بمثابة الآلية التي من خلالها قام الكهنة بأخذ كل شاقل أخير من الفقراء عنوة.

بالنسبة للناس لم تكن هناك قواعد عرقية بل عبادة يهوه التي هي العامل الحاسم فيما إذا كان أي شخص يهودياً. "اليهود" أو "يهوديم" يعني عبدة يهوه. بالنسبة لـ "أجنبي"، فإنه يقال "غير يهودي" وهنا نلحظ أن شكوى عزرا هي أنهم ليسوا من عبدة يهوه. لم يكن عزرا قلقًا بشأن النقاء العنصري لشعب القدس، بل عن طهارتهم الدينية وطهارة الطبقة الحاكمة من الكهنة ، المجوس اليهود. كانت الزيجات خارج الزرادشتية تنتهك القانون الزرادشتي (Denkard 3:80)، وهكذا طُهّر من الكهنوت أي شخص لا يستطيع إثبات أنه ينحدر من عائلات يهودية محضة.

كان لدى الزرادشتيين النفور ذاته لإغراء النساء مثل اليهود، الذين أعطوهم إياه. كان للزواج الشرعي في الديانة الزرادشتية أن يكون بين اثنين من الزرادشتيين ، يقوم به الكهنة الزرادشتيين الذين تم ترسيمهم بشكل صحيح، وفقا لطقس أشيرواد الزرادشتي. القانون المعطى لليهود كان هو نفسه. وفي محاولة لإقامة ديانة نقية ، تم نفي زوجات عبدة يهوه الذين عبدوا بعض إلهاً آخر.

بالنسبة للزرادشتي، كان الاتصال الجنسي غير القانوني مع امرأة من دين مختلف خطيئة مروعة، وهذا أمر شائن للغاية بحيث لن يقوم الآثم في وقت النهاية مهما كانت الأعمال الجيدة التي قام بها للتكفير.

وبالتالي، نادراً كان ما يفعلها الرجال. لكن في حالات نادرة حيث ارتكبوا مثل ذلك الإثم، لم يكن هناك حرمان – كانوا سيدانون في يوم دينونة الله. كانوا ببساطة مطالبين بعدم تلويث مواقع مكرسة مثل معابد النار.

إذا أصبحت المرأة حاملاً ، فقد ارتكب الرجل المزيد من الخطايا. إذا كانت تطمث ، فإن كفارة الخطيئة من قبل الرجل تتطلب تطهيراً طقسياً شاملاً. تم تعليم اليهود العصاب نفسه عن نجاسة الحائض. وإذا لم تكن حائضًا، ولا حاملاً، كان على الرجل أن يكفّر، لأنه أخطأ من خلال إهدار السائل المنوي – وهي خطيئة أخرى تظهر في الكتب المقدسة اليهودية – العادة السرية.

لا يوجد قانون محدد للعلاقة الجسدية بين المرأة الزرادشتية والرجل غير الزرادشتي، ربما لأنه إذا بقيت المرأة في المجتمع الزرادشتي، فمن الطبيعي أن يُنشأ الطفل كزرادشتي من قبل أمه وعائلتها، ولن يفعل ذلك إذا غادرت للبقاء مع رجل وثني.

لم يكن الكثير من التوحيد الذي تعلمه اليهود المنفيون من الفرس كما كان عند الفرس شمولياً، أي الإيمان بأن الله يحكم عالمياً وسوف ينقذ ليس اليهود وحدهم، بل كل أولئك الذين يلجؤون إليه. لا تظهر هذه الشمولية صراحة حتى كتاب إشعياء الثاني، الذي يعتبره جميع العلماء باستثناء بعض الأصوليين، أنه كتب أثناء وبعد السبي البابلي. كان السبي البابلي بمثابة ضربة عظيمة للعديد من اليهود، لأنهم

أخرجوا من السلطة الإلهية ليهوه. واعتقد العبرانيون الأوائل أن صلواتهم لا يمكن أن تُستجاب في أرض أجنبية. وعلم الأنساب المتطور للكتب المتأخرة مثل دانيال له مصدره في الزرادشتية. كانت ملائكة الكتب العبرية الأولى أقنعة ليهوه أو أحد آلهته التابعين. ولا تظهر فكرة الملائكة المنفصلة إلا بعد الاتصال بالزرادشتية.

تاريخ الملائكة: أخير!

تتخذ الكائنات الوسيطة بين العالمين المقدّس والدنيوي أشكالاً مختلفة في أديان العالم: كائنات سماوية وجويّة؛ الأبالسة، والشياطين، والأرواح الشريرة؛ الأشباح، الغيلان، والعفاريت. والأرواح الطبيعية والجنيات.

في الزرادشتية، اليهودية، المسيحية، والإسلام

في الديانات غرب آسيا، التي هي توحيدية وتنظر إلى الكون على أنه مكوّن من عوالم ثلاثية، يتم تخيّل الملائكة والشياطين عمومًا على أنها أرواح سماوية أو جويّة. مع ذلك، ففي التقوى الشعبية لهذه الأديان، هناك اعتقاد واسع الانتشار بالأشباح، الغيلان، العفاريت، الشياطين، والأرواح الشريرة التي تؤثر على الإنسان في حالته وأنشطته الأرضية. قد تكون الكائنات السماوية إما خيرة أو ماكرة، اعتماداً على علاقتها الخاصة بالكائن الأسمى. من ناحية أخرى، يُنظر إلى الشياطين والأرواح الشريرة التي تؤثر بشكل عام على الإنسان في دوره ككائن أرضي (وليس في مصيره ككائن ما فوق أرضي) في التقوى الشعبية ـ إلى حد ما في التفكير اللاهوتي ـ على أنها خبيثة النية.

عادة ما يتم تجميع الملائكة ضمن أنظمة من أربعة أو ستة أو سبعة من الرتب الأولى، والتي قد يكون هنالك العديد منها. إن استخدام أربعة، والذي يعني بشكل رمزي الكمال والارتباط بالنقاط الأربع الأساسية، موجود في اليهودية والمسيحية والإسلام. وقد قامت الزرادشتية المبكرة، التي تأثرت كثيراً بالعلوم الفلكية والتنجيمية في إيران القديمة، بالتنسيق بين مفهوم الكواكب السبعة المعروفة وإيمانها بالكائنات السماوية السبعة (مجموعة السبعة) ـ أي، مجموعة الأميشا سبنتا لأهورا مزدا: سبينتا مانيو (الروح القدس)، فوهو مانا (العقل الخيّر)، آشا (الحقيقة)، آرمايتي (العقليّة الخيّرة)، خشارتا (المملكة)، هاورفاتات (الكليّة)، وأمريتات (الخلود). في الزرادشتية المتأخرة، على الرغم من عدم وجودها في الغاثات (التراتيل الأولى، التي يُعتقد أنها كتبها من قبل زرادشت، في الأفستا، الكتب المقدسة)، يتم الدمج بين هويّة أهورا مزدا وهوية سبنتا مانيو أحدهما مع الآخر، ويتم تجميع الخالدين الأسخياء الباقين في منظومة من ستة كائنات. ومقابل الخالدين الأسخياء، الذين ساعدوا في ربط العالمين الروحي والمادي معاً، فإن نظير الروح القدس، أي أنغرا مانيو، روح الشر، الذي أصبح لاحقاً الخصم الكبير أهريمان (النموذج البدئي للشيطان اليهودي، المسيحي، والإسلامي)، والديفات، الذين كانوا على الأرجح آلهة الديانة الهندية الإيرانية القديمة.

ومتحالفة مع أنغرا مانيو ضد أهورا مزدا كانت أكومان (العقل الشرير)، إندرا ـ فايو (الموت)، ساورفا (ديفا الموت والمرض)،

نانيهايتا (ديفا مرتبطة بالإله الذي تذكره الفيدا)، تاورو (يصعب تحديد هويته)، وزايري (تشخيص للهاوما، الشراب المقدّس المرتبط بقرابين الأهورات والديفات على حدّ سواء. ضمن الشخصيات الشيطانية الأخرى نجد، أيشما (العنف، الغضب، أو الدافع العدواني الذي يستهلك الإنسان) - من المحتمل أن يكون الشيطان أزموداوس في سفر طوبيا، آز (الشهوة أو الشبق)، ميثرادروج (الذي يكذب على ميثرا أو خطاب كاذب)، جيه (الشيطان العاهرة، التي خلقها أهريمان في وقت لاحق لتنجيس الجنس البشري)، وغيرها الكثير.

بنوع من التعميم الشديد، يمكن تقسيم الملائكة في الزرادشتيّة إلى ثلاثة أقسام، بحسب أهميتها وموقعها في الهرم الديني:

1 ـ مجموعة الأميشا سبنتا:

الأميشا سبنتا:

هو مصطلح مستمد من اللغة الأفستيّة يطلق على مجموعة من الآلهة -المفاهيم الإلهيّة في الزرادشتيّة، وتعني حرفيّاً، "الخالدون الأخيار". في الفارسيّة الوسيطة طرأت على المصطلح تحريفات فصار لدينا تسميات أخرى مثل، الأمه شاسبند، المهراسبند والأمهراسبند. في التقليد الزرادشتي، ثمة انبثاقات ستة أولى من الإله غير المخلوق، والذين أُكمل عبرهم ما تلا من خلق. وهذا المذهب الأصولي يُلمّح إليه ليس إلاّ في الأفستا، لكنه يوصف على نحو منتظم في النصوص الفارسيّة من نهاية الحقبة الوسيطة، خاصة في البونداهشن (3.12)،

وهو عمل من القرن الحادي عشر أو الثاني عشر للميلاد يفصّل الرأي الزرادشتي المتعلق بالخلق. التعبير "أمشا سبنتا" لا يرد في الغاثات، لكن من المحتمل أن زرادشت صاغه بنفسه. وسبنتا كلمة خاصّة بالوحي الذي نزل عليه، وهي تعني " :تقوية، خيّر، مقدّس."

"الشرارات الإلهيّة " العظيمة:

استخدام المصطلح من أجل الإشارة إلى "الشرارت العظيمة" الست لأهورا مزدا هو أكثر عموميّة من المعنى غير المحدد للأمشا سبنتا. إن أقدم استخدام يمكن البرهان عليه للمصطلح هو في الياسنا 3.39، والتي هي جزء من الياسنا هابتانغايتي التي يرد فيها عنصران من الاسم في منظومة معكوسة، أي، سبنتا أمشا. ومثل كلّ الآيات من الياسنا هابتانغايتي، نجد الياسنا 3.39 في الأفستا الغاثيّة وربما تكون بقدم التراتيل التي تعزى إلى زرادشت بالذات.

"الشرارات الإلهيّة" التي تظهر في الياسنا الغاثيّة 1.47 ؛ هي:

[فوهو] ماناه :(يعني تقريباً الهدف الخيّر) ؛

أشا (فاهيشتا): الحقيقة\الخير (الأفضل) ؛

كشاثرا "فايريا": السيطرة (المرغوب بها) ؛ (تختلف تسمية هذا الأميشا بحسب المرجع) ؛

سبنتا (أرمايتي): " التقى (القدسي)" ؛

هاورفاتات: "الكمال" ؛

أمه ره تات " :الخلود " (وجدنا أنها أفضل ترجمة لكلمة amereta).

إن الصفات فوهو (خيّر)، فاهيشتا (فضلى)، فايريا (مرغوب)، وسبنتا (مقدّس)، لا ترد على الدوام في النصوص الأقدم. وحين تظهر بأية حال، فهي لا تظهر بالضرورة مرافقة للاسم مباشرة. لكن في التقاليد اللاحقة، هذه الصفات جزء من الأسماء بالذات.

في حين نجد أن فوهو ماناه، أشا فاهيشتا، وكشاثرا فايريا من جنس محايد في النحو والصرف الأفستي، ففي التقاليد تكون مذكّرة. أما أرمايتي، هاورفاتات، وأمه ره تات فهي دائماً مؤنّثة.

في الغاثات، كل أمشا سبنتا يمثّل صفة أخلاقيّة خيّرة على البشر أن يجاهدوا لتمثلها. وهكذا، فمذهب الستة العظام يقول إنه عبر ما هو خيّر من أفكار وأفعال وكلمات، على كل فرد تمثّل سمات أحد الأميشا سبنتا في داخله.

كل واحد من هؤلاء الستة له نقيضه، وأربعة من الستة موجودة في الغاثات.

أشا نقيض لدروج؛ فوهو ماناه نقيض لأكاماناه؛ كشاثرا لدوشاه ـ كشاثرا، وأرمايتي لتاراه مايتي .لا يظهر في الغاثات نقيض هاورفاتات (الكمال)، تارشنا (العطش)، أو أمه ره تات (الحياة)، شود (الجوع)، بل نجدها في الأفستا الأولى (مثلاً: يشت 96.19). هذه التحديدات اللاحقة تعكس تطابق هاورفاتات مع الماء وأمه ره تات مع النباتات.

في الغاثات، أشا\أرتا هو الأوضح بين الستة، ودائما تقريباً يرتبط بالحكمة (مزدا). في 238 آية من هذه التراتيل، يظهر أشا\أرتا 157 مرة. من المفاهيم الأخرى، وحده فوهو ماناه يظهر تقريباً بعدد مرات ظهور السابق (136 مرة). وإذا ما أجرينا مقارنة، تظهر الأربعة الباقين 121 مرة مع بعضها: كشاثرا 56؛ أرمايتي 40؛ أمه ره تات: 14؛ هاورفاتات: 11.

في سياق الرأي الزرادشتي حول الخلق، يتمّ توسيع الأميشا سبنتا بحيث تتضمّن أهورا مزدا، إضافة إلى سبنتا مانيو (أو ممثلاً به). مع ذلك، ففي معظم النصوص السكولاستيّة، عادة ما تفهم الإشارة غير النوعيّة إلى الأميشا سبنتا على أنها لا تتضمن غير الستة العظام. في الياسنا 7.44، 3.31 و7.51، سبنتا مانيو الذي لأهورا مزدا هو وسيلة أو مبدأ فاعل في فعل الخلق. كذلك فعبر " القوة الخيّرة "، " الانبثاق الخلاّق "، أو " الروح القدس " أهورا مزدا موجود في كل إنسان (ياسنا 6.33)، وعبره يفعل الخالق في العالم (ياسنا 6.43).

للأمشا سبنتا أيضاً بعد مادي، وفيه كل واحد من مجموعة السبعة مرتبط بأحد الخلائق السبعة، التي كانت أساس الكون في الفلسفات القديمة. في الغاثات لا نجد سوى التلميح إلى هذه التداعيات الماديّة، ومن ثم فإن مسألة ضياعها من الترجمات كان مسألة خبث شديد.

لا تظهر التداعيات المتناسقة إلا في النصوص باللغة الفارسيّة الوسيطة المتأخرة، حيث يرد كل من السبعة في قائمة مع "مجاله":

أهورا مزدا ـ في الفارسيّة الوسيطة، أوهرموزد (مع سبنتا مانيو أو ممثلاً به) هو حارس الجنس البشري.

فوهو ماناه ـ فارسيّة وسيطة: فاهمان أو باهمان؛ حارس الماشية (وكل الخليقة من الحيوانات).

أشا فاهيستا ـ فارسيّة وسيطة :أردواهيشت، حارس النار (وكل الكواكب المنيرة الأخرى).

كشاثرا فايريا ـ فارسيّة وسيطة: شاهره فار، حارس المعادن (والفلزات).

سبنتا أرمايتي ـ فارسيّة وسيطة: سبندأرماد، حارسة الأرض.

هاورفاتات ـ هورداد أو خورداد، حارسة الماء.

أمه ره تات ـ أمورداد، حارسة النباتات.

مجموعة الأميشا سبنتا، أو الخالدون المقدّسون، تأخذ اللاهوت الإيراني إلى عالم الميثات، لأنها آلهة دون أن تكون آلهة، مخلوقة دون أن تكون خلائق، وتشرف على سمات الطبيعة دون أن تتماثل معها. في الزرادشتيّة، مذهب الأميشا سبنتا السبعة والخلائق السبعة كان سيوجد في الإنسان إحساساً عميقاً بالمسئوليّة حيال العالم المحيط به. كل سبنتا هو رئيس لخليقته، لكنه مرتبط بالستة الآخرين في إحساس تشاركي بالغرض، والذي هو، بالنسبة لكل السبنتات، مجاهدة من أجل هدف مشترك، كي يعرف الإنسان بوعي وغير الإنسان بشكل طبيعي، أنهم وجدوا كي يهزموا الشر في نهاية الأمر.

لا بدّ أن نلاحظ هنا، كي لا نسبب الارتباك، أنهم يعتقدون أن أهورا مزدا ليس الأول في المنزلة وهو خارج مجموعة الستة، لكنه في الوقت ذاته اعتبر أوّل السبعة، وهو ما يمكن البرهنة عليه بحقيقة أن معادله " الدنيوي " هو الإنسان " الكامل "، والذي يشرف عليه هذا الإله بوصفه المجال الخاص به، في حين أن المثيل لفوهو ماناه هو الثور (الثور أو البقرة اللذان يقدّمان البول أو الحليب اللذين سيمزجان مع هوما (عصير مقدّس من شجرة مقدّسة) القربان .

في الاستعمال غير النوعي:

في الاستعمال غير النوعي، يشير المصطلح أمشا سبنتا إلى الآلهة التي تعزّز الخليقة وتقوّيها وكل ذلك خيّر ومقدّس. وهي لا تتضمّن فقط الأهورات (مصطلح يستخدم أيضاً في الغاثات بصيغة الجمع لكنا لا نجد غير أهورا مزدا بالاسم وحده)، لكن أيضاً كل الآلهة الأخرى الملمّح إليها في هذه النصوص. وفي هذا المعنى غير النوعي للمصطلح، الأميشا سبنتا معادل للمصطلح يازاتا.

الاستخدام غير النوعي هو أقل شيوعاً بكثير من الاستخدام النوعي للمصطلح الذي يعني "الشرارات الإلهيّة". الاستخدام غير النوعي واضح بشكل خاص في نصوص التقليد الزرادشتي من القرون 9 إلى 14 للميلاد، لكن ثمة أمثلة مناسبة أيضاً في الأفستا حيث يستخدم بهذه الطريقة. في الياسنا 2.1 على سبيل المثال، يعلن اليازاتا أتار أنه "الأكثر فعاليّة بين كل مجموعة الأميشا سبنتا ." وحتى في زرادشتيّة هذا

اليوم، كثيراً ما يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى ثلاثة وثلاثين إلهاً والتي إما أنه مكرّس لها يوم يحمل اسمها في التقويم الزرادشتي، أو أن هنالك يشت مكرّسة لها، أو الإثنين معاً.

لهذا المعنى العام، غير النوعي للأمشا سبنتا مكافئ أيضاً في السنسكريتيّة الفيديّة هو فيشفه أمرتاس، والذي هو التسمية التي تطلق عموماً على كل الكائنات مافوق الطبيعيّة (حرفيّاً: " كل الأزليين").

المذهب:

إن مذهب " الشرارات الإلهيّة ، عبر ارتباطهم بالخليقة، يوحدّون المفاهيم الأثيريّة والروحانيّة مع تلك الماديّة لتظهر الأشياء " بطريقة زرادشتيّة فريدة". إنها ليست فقط " سمات " مجرّدة لأهورا مزدا، بل إنها تستحق الإجلال بحد ذواتها، وهي مشخّصة أو ممثّلة في كلّ الأمور الماديّة.

إن العلاقة بين أهورا مزدا والأميشا سبنتا دقيقة بالمطلق. ففي الياسنا 11.31 من الغاثات، يقال إن أهورا مزدا خلق الكون "بفكره". في مقاطع أخرى مثل الياسنا 4. 45، يوصف أهورا مزدا بالأب " المجازي " للأمشا سبنتا كأفراد، وهو ما يمكن أن يوحي، وإن مجازيّاً، بنوع من القرابة العائليّة. إن العلاقة بين أهورا مزدا والأميشا سبنتا بشكل خاص معقّدة ومتعددة الأوجه، وهي صعبة التعريف كصعوبة تعريف "يهوه والروح القدس في اليهوديّة والمسيحيّة."

إن تبجيل "الشرارات الإلهيّة" عبر العالم الحي ما يزال حاضراً في التقاليد الزرادشتيّة الحديثة بل هو واضح في كل احتفال ديني حيث كلّ أمشا سبنتا ممثّل على نحو مرئي عبر الأشياء التي الأميشا سبنتا حرّاسها. إضافة إلى ذلك، فالأيام السبعة الأولى من الشهر في التقويم الزرادشتي مكرّسة للسبعة العظام، وللخليقة، وبالتالي الاعتراف بتفوق الأميشا سبنتا، وتأكيد طبع مذهبهم في الذهن.

إن الثنويّة الأخلاقيّة والأنطولوجيّة في الكائن ذاته "تفسّر المصاعب التي سببتها بعض سمات المذهب للباحثين الغربيين". فقد تمت مهاجمة إجلال الأميشا اسبنتا باعتباره وثنيّة واقعيّاً، ليس فقط في زمننا المعاصر، بل أيضاً في الحقبة الساسانيّة. وفي حين أن "عبادة العناصر" كانت تهمة متكررة في القرنين الرابع والخامس للميلاد، فقد كانت حلوليّة الأميشا سبنتا على وجه الخصوص هدف هجوم المبشرين المسيحيين في الهند في القرن التاسع عشر (مثل جون ويلسون)، وذلك باعتبارها مؤشراً برأيهم على التقليد الوثني الزرادشتي.

من أكثر أهداف النقد تكراراً كان قانون الإيمان الزرادشتي الذي يقول فيه المعتقد: "أعترف بأني عابد لأهورا مزدا، تابع لتعاليم زرادشت... الذي يبجّل ويسبح بحمد الأميشا سبنتا" (الفرافارانه، ياسنا 1.12). لكن الحقيقة أن مسألة تعريف من يوقّر الأميشا سبنتا بأنه مشرك هو أمر خاضع للنقاش. فالزرادشتيون أنفسهم يعتبرون أن الروح الأثيرية والإظهار المادي غير قابلين للفصل، وإن توقير أي من خليقة أهورا مزدا في نهاية الأمر عبادة للخالق ذاته.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قدّم مارتن هاوغ نظريّة تقول إن زرادشت ذاته اعتبر الأميشا سبنتا تجريدات فلسفيّة، وأن تشخيص هؤلاء السبعة كان تحريفاً جاء من زمن متأخر. وقد قبل بارسيي [زرادشتيو الهند] بومباي بكل ممنونيّة بفرضيّة هاوغ كوسيلة للدفاع ضد المبشّرين المسيحيين، وبالتالي نشروا الفكرة باعتبارها تفسيراً بارسيّاً، وهكذا بحيث يدعمون نظريّة هاوغ. ومن ثم أضحى مبدأ "التوحيد المتواصل" في نهاية الأمر شعبيّاً إلى درجة أنه مقبول اليوم من الجميع تقريباً كمذهب ديني.

الأميشا سبنتا الأول: فوهو ماناه

باللغة الأفستيّة، اسم لمفهوم زرادشتي، غالباً ما يترجم على أنه "الهدف الخيّر" أو "العقل الخيّر"، لكن إذا ما أردنا أن نترجم بحرفيّة أكثر، فهو الحالة الأخلاقيّة الخيّرة للعقل التي تمكّن المرء من القيام بواجباته. معادله في اللغة الفارسيّة الوسيطة، كما نرى في نصوص التقليد الزرادشتي المكتوب بالخط البهلوي، هو واهمان، المستعار من تعبير في اللغة الأفستيّة وله المعنى ذاته، كما نجده في الفارسيّة الجديدة تحت اسم بهمان وتنويعات أخرى عليه. تنويعة باللغة البهلويّة، هي فوهومان، أو الروح الخيّرة؛ وهو يؤمّن روح الله في أنفس العادلين، ويقودهم إلى الجنّة. إنه ربّ الخليقة الخامسة، البقرة أو الحيوان. مشتق من الكلمة السنسكريتيّة ماناه التي تعني الذهن -العقل، الأمر الذي يظهر أصلها الفيدي.

في الغاثات، لا يستخدم مصطلح فوهو ماناه كاسم علم دون لبس، وغالباً ما يرد دون السابقة فوهو (خيّر). في النصوص ما بعد

الغائيّة التي تفسّر مبادئ علم نشوء الكون عندالزرادشتيين، فوهو ماناه هو أمشا سبنتا، أحد " الشرارات الإلهيّة" لأهورا مزدا التي تمثّل أحد أوجه الخليقة. في حالة فوهو ماناه، كل الخليقة الحيوانيّة مع التركيز على المواشي. فوهو ماناه في القواعد الأفستيّة هو من جنس محايد، لكنه يعتبر مذكراً في التقليد الزرادشتي.

بحسب زرادشت، فوهو ماناه هو الكائن المنير الذي رآه، في رؤياه، على ضفّة النهر، وقاده إلى أهورا مزدا.

في التقويم الزرادشتي، يكرّس اليوم الثاني من كل شهر والشهر الحادي عشر من السنة لفوهو ماناه. في التقويم المدني الإيراني، يكرّس الشهر الحادي عشر من السنة لباهمان.

الأميشا سبنتا الثاني: أشا فاهيشتا

سنتوقف طويلاً عند هذا الأميشا سبنتا بسبب أهميته وعلاقته بالنار، أحد أقس الرموز عند الزرادشتيين.

أشا أو أرتا هو اسم في اللغة الأفستيّة لمفهوم ذي أهميّة كبيرة في اللاهوت والمذهب الزرادشتيين. في الحقل الأخلاقي، يمثّل أشا\أرتا ما دعي "المفهوم الإيماني الحاسم في الزرادشتيّة". نقيض أشا هو دروج، الكذب.

أهميّة المصطلح معقّدة، رغم أن له مروحة كبيرة من المعاني. مع ذلك، تختصر هذه المعاني بالتناسق مع مضامين سياقاتها، وهي بالتالي، "الحقيقة"، "الصح"، "النظام"، "والعمل الصحيح."

المعادل للمصطلح في اللغة الفارسيّة القديمة هو أرتا، وفي اللغات الوسيطيّة الإيرانيّة، أرد. والكلمة هي أيضاً اسم العلم للإلهة أشا، الأميشا سبنتا الذي هو أقنوم أو أصل "الحقيقة" أو" الصح". في الأفستا الأولى، يشار إلى هذا الشخص باسم أشا فاهيشتا عموماً، "الحق الأفضل". في الغاثات، نادراً ما يمكن التمييز بين المبدأ الإلهي والإله. النصوص اللاحقة تستخدم اللقب "أفضل" حين تتحدّث عن الأميشا سبنتا، فقط مرّة واحدة نجد اللقب" أفضل" في الغاثات كصفة لآشا .

المعنى:

لا يمكن ترجمة أشا بكلمة مفردة، لكن يمكن اختصار معانيها كما يلي:

قبل كل شيء، فهي تعني "القول الحق". وهذا "القول الحق"، لأنه حق، يتطابق مع العالم الموضوعي، المادي. هذا الواقع يشمل كل الوجود. وفيه ندرك مبدأ كونيّاً عظيماً لأن كل الأمور تحدث وفقاً له. "هذه القوة الكونيّة منصهرة بالأخلاق أيضاً، كحقيقة لفظيّة، وبالصح، كفعل متماثل مع المنظومة الأخلاقيّة". والتطابق بين "حقيقة"، واقع، ومبدأ كوني شامل لكل شيء ليس بعيداً عن مفهوم هيراقليطس للوغوس[1].

(1) "على الرغم من أن هذا اللوغوس صالح إلى الأبد، إلا أن الناس غير قادرين على فهمه ـ ليس فقط قبل السماع به، بل حتى بعد السماع به للمرة الأولى ... على الرغم من أن جميع الأشياء قد حدثت وفقاً لهذا اللوغوس، يبدو أن الناس دون ==

المقارنة مع استعمالها في الفيدا:

تبدو العلاقة بين أشا\أرتا في اللغة الإيرانيّة القديمة ورتا في الفيدا واضحة للعيان في عبارات وتعابير قياسيّة تظهر في كل من الأفستا والريغ فيدا على حد سواء.

الصفة التي تناسب أشا\أرتا (حق) الأفستيّة هي هايثيا (حقيقي)؛ على نحو مشابه، الصفة التي تناسب رتا (حقيقة) الفيديّة هي ساتيا (حقيقي). أما نقيض أشا\أرتا وهايثيا فهو دروج، أي، كذب أو زيف. بالمقابل، نقيض رتا وساتيا في الفيدات هو أنترا، وتعني أيضاً كذب أو زيف.

أشا فاهيشتا (الحق الأفضل)، هو الكائن الثاني الذي كان يدعى أصلاً أرتا. إنه حامي النار، سابع الخلائق، التي تكشف مباشرة عن طبيعته. وكضامن للمنظومة الماديّة والأخلاقيّة في العالم، فإن عدوه الرئيس هو العالم الشيطاني.

إن مجال عمل أشا فاهيشتا كحام للنار يصبح أكثر أهمية إذا ما أدركنا أهميّة النار في الثقافة الإيرانية القديمة. النار هي العنصر الأساسي الذي تقسم الأيامين به [نلاحظ هنا عادة استعمال النار في المسائل

أي خبرة في ذلك بالكامل... طريقتي الخاصة هي تمييز كل شئ وفقا لطبيعته، وتحديد كيفية تصرفه؛ الناس الآخرون، على العكس من ذلك، نائمون وغافلون في لحظات يقظتهم مما يجري حولهم وضمنهم كما هم أثناء النوم ". ـ مقطع من هيراقليطس حول اللوغوس.

المختلف عليها بين بدو بلاد الشام في عرف "البشعة"] ؛ وقد اعتقد أنها حامية فاعلة في وجه الشياطين. فالنار كانت عبادة دينيّة فائقة والتي أدّت إلى تسمية الفرس من قبل الأغراب "بعابدي النار". وقد شُعر أن هذه السمة الفريدة حفظت المزدكيّة ولم تتركها عرضة للغزو من قبل دين تجريدي.

العلاقة وطيدة للغاية بين أشا فاهيشتا وفوهو مانـاه، مع أن مرتبة الأخير أعلى، وأشا فاهيشتا يهتم بمنظومة الأكوان أكثر منه بالمنظومة البشريّة.

عيد أشا فاهيشتا، "اليوم الجديد"، هو عيد الخليقة السابعة، النار، وقد أُفرد وحده ؛ لأنه الحافظ لقوة حياتهم. وعلى ما يظهر فإن زرادشت هو من دشن هذا العيد مع الانقلاب الربيعي، معيداً تكريس ما كان ربما احتفالاً قديماً بالربيع لأشا فاهيشتا والنار.

النار كعنصر الحقيقة:

النار هي الخليقة الماديّة التي هي مجال عمل أشا والتي تحلّ فيها أمشا سبنتا "الحق الأفضل" (أشا فاهيشتا). النار متخيّلة على نحو كبير كقوّة تعلّم كل [الأميشا سبنتا] الأخرى، فتعطيهم الحرارة وشرارة الحياة.

تقدّم لنا أقدم النصوص، أي الغاثات والياسنا هابتنغاتي، نوعاً من الموازاة بين الحقيقة التي تحرق وتقصّي الحقيقة عبر النار. في الياسنا 43 -44، ينشر أهورا مزدا العدل عبر إشعاع ناره وقوة أشا. النار تتقصّى "الخطأة" عبر "الإمساك باليد" (ياسنا 4.34). إن كل من يعبر

امتحان النار يحصل على قوة روحانيّة، حكمة، حقيقة، حب وسكينة (ياسنا 7.30). وهنالك ما يقارب ثلاثين امتحان نار في الزرادشتيّة. وبحسب الدادستان إي ده نيغ، سيغطي نهر من معدن مصهور الأرض. والأخيار، حين يعبرون النهر، سيتخيلون المعدن المصهور كحمام من حليب دافئ. أما الأشرار فيعاقبون به.

النار أكثر من مساعد لمعرفة للحقيقة، وليست فقط، كما في حالة المحنة، وسيلة مساعدة للعدل والحقيقة في آن. في الياسنا 19.31، "الرجل الذي يفكّر بآشا، [...] الذي يستخدم لسانه كي يتحدّث بدقّة، [يفعل ذلك] بمساعدة النار المتلألئة". في الياسنا 34 -44، الأتقياء "يرغبون بتوق في نار [مزدا] العظيمة، عبر أشا". في الياسنا 43 -44، سيأتي أهورا مزدا "إلى زرادشت عبر روعة نار [مزدا]، ممتلكاً القوة عبر أشا والعقل الخيّر [فوهو مانا]". في الياسنا 4.43، يكرّر القول "إن النار تمتلك القوة عبر آشا". وفي الياسنا 1.37، تأخذ آشا مكان النار، في قائمة المخلوقات الماديّة.

في الأخرويّات واللاهوت الخلاصي:

إضافة إلى دور النار كعنصر للحقيقة، هي أيضاً "نار المحنة الدينونية، الأنموذج البدئي لعذاب النار يوم القيامة، حين سيتلقى الجميع ما يستحقون عبر النار وعبر آشا."

في الأفستا، "الأقسام المنيرة" من آشا هي "الوجود الأفضل"، أي، الجنّة، والتي لا يدخلها إلا أولئك الذين "يمتلكون الحقيقة". وحل

لغز هذا المعتقد هو الياسنا 7.16 : "نحن نعبد الأقسام المنيرة من آشا التي تقيم فيها أنفس الموتى".

وفقاً لمقطع أفستي مفقود لكنه محفوظ في نص بهلوي من القرن التاسع للميلاد، مع اقتراب نهاية الزمان والإحياء الأخير، يأتي آشا وأيريامان (المخلص = سوشيانت) إلى الأرض ويحاربان أز، شيطان الجشع.

اليشت الثالثة، التي يُتَوجه فيها إلى آشا فاهيشتا، مكرّسة في واقع الأمر لمدح أيريامان إيشيا، رابع أكبر الصلوات الغائيّة. عند الزرادشتيين اليوم، تكرّس لآشا ثاني أكبر الصلوات الغائيّة. في التقليد الزرادشتي، المعادن هي مجال عمل خشاثرا [فايريا]، أمشا سبنتا " السيطرة [المرغوب بها]"، والذي غالباً ما يتماثل معه آشا. السيطرة هي أكثر من "شكل للحقيقة وتنتج عن الحقيقة".

في أحد النصوص الدينيّة (أوغه ماداه شا 41 – 47)، يصادفنا أنموذج بدئي للموت كرحلة لا بد من التحضّر لها جيداً: كما يتطلب من البشر الحصول على بضاعة ماديّة أثناء حياتهم، عليهم أيضاً التزود بمخزونات روحانيّة من الصلاح. سوف يزودن بمئونة جيدة حين يبدؤون رحلة لا رجوع فيها. ودور آشا ليس محدداً بالدينونة: إنه يمنع الشياطين من إيقاع عذاب كبير بالأنفس التي حكم عليها أن تستقر في الجحيم.

العلاقة مع باقي الأميشا سبنتا:

في علمي الكون ونشوء الكون الزرادشتيين، اللذين لا يوصفان على نحو مبرمج إلا في التقاليد الزرادشتيّة (مع أنه يُلَمّح إليهما في الغاثات)، آشا هو ثاني المخلوقات البدئيّة الستة التي أوجدها أهورا مزدا بفكره. وعبر هذا الأميشا سبنتا، تم إكمال الخليقة التالية. مع أن فوهو ماناه يقف أوّلاً في قائمة الأميشا سبنتا، يبدو آشا فاهيشتا الأكثر وضوحاً في الغاثات بين الستة، وكذلك الأكثر ارتباطاً بالحكمة (مزدا).

ومع أن الهرميّة النظاميّة غير واضحة في الغاثات، " تقسم طبيعيّاً مجموعة الستة إلى ثلاثة أزواج". وبناء على هذا الترتيب، فوهو ماناه هو شريك آشا في الزوج الخاص بهما. وهذا ينعكس في كثرة ظهور الإثنين معاً في الغاثات وفي التقاليد الزرادشتيّة أيضاً. في البونداهشن 8.26، يقف فوهو ماناه على يسار الله، وآشا على يمينه.

في التقويم الزرادشتي:

في التقويم الزرادشتي، اليوم الثالث من الشهر والشهر الثاني من السنة مكرّسان لأشا وأشا فاهيشتا ويحملان اسميهما (في الفارسيّة الحديثة يدعى أرديبهشت إن في التقويم الإيراني أو التقويم اليزدجردي).

طقس خاص بآشا يَحتفل به حين يلتقي اليوم الذي يحمل اسمه بالشهر الذي يحمل اسمه؛ وهذا يقع في الثاني والعشرين من نيسان - أبريل، ويسمّى جاشان أرديبهشت.

رابيثوين، أو إحدى فترات اليوم الخمس، تقع تحت حماية آشا. هذا يتضمّن أن كلّ الصلوات التي تتلى بين الظهر والساعة الثالثة تتضرع لآشا. وتعتبر الظهيرة زمناً "كاملاً"، ففيها خلق العالم وفيها سيتوقف الزمان يوم الإحياء الأخير للعالم.

في أشهر الشتاء، الزمن الشيطاني في السنة، تعرف رابيثوين بالهافان الثانية (الهافان الأولى تكون من الفجر إلى الظهيرة)، ومع أول يوم من الربيع، أي 21 آذار – مارس، تعود الرابيثوين رمزياً. وهذا اليوم، هو عيد الناوروز.

ناوروز، أقدس أعياد الزرادشتيّة، مكرّس لأشا. وهو يأتي مباشرة بعد باته تي، يوم الاستبطان، وهو الموازي الزرادشتي لعيد الموتى. الناوروز، عيد رأس السنة الزرادشتيّة، يحتفل فيه مع أول يوم في الربيع، ويُفهم بذلك تقليدياً أنه يوم الولادة الجديدة، وترجمته الحرفيّة تعني "يوم جديد". الشهر الأول في التقويم الزرادشتي هو فارفادين، وهو مكرّس للفرافاشيتات ويحمل اسمها، وهي كما سنرى الأرواح التي تحرس الأموات.

إن الفكرة الأساس التي يقوم عليها تكريس الشهر الثاني من السنة لآشا فاهيشتا ربما تكون إحياء الأرض بعد موت الشتاء.

الأميشا سبنتا الثالث: خشاثرا فايريا

خشاثرا فايريا، السيطرة المرغوبة، أو خشاثرا (السلطة)، هو الثالث في الهرم، ويظهر هناك وكأنه المهتم بالحروب كونه يحمي المعادن؛ لكن دوره بحسب البنداهشن هو الدفاع عن الفقراء. مرد هذا

جزئيّاً التبدّل الجذري الذي اجتازه دور ميثولوجيا الحرب في فارس الزرادشتيّة ؛ فقد اختزل دور المحارب إلى حام للثروات. وإذا كان خشاثرا قد اجتاز مثل هذا التبدّل، فإن دوره صار حماية الملَكيّة، والدفاع عن السلام ونشر الدين.

يقال أيضاً إن خشاثرا يمثّل السلطة التي يجب على كل شخص ممارستها من أجل الخير في الحياة الآنيّة، وكذلك سلطة ملكوت الله. إنه رب السماء الحجريّة القاسيّة، التي تتقوّس فوق الأرض حماية لها. وعيده، مايدهيوزاره مايا، الذي يقام على شرف السماء وخلقها، كان العيد الأوّل.

لقد خلق خشاثرا مشكلة للكهنة العلماء لأن رعايته تشمل كلاً من السماء الحجريّة والرجال كمحاربين. والمشكلة تكمن بالفعل في لقبه كحام للمعادن ؛ فمع ظهور استخدام البرونز، لم يعد هذا يعني الحجر فقط بل الحديد أيضاً. وكان الحل العبقري للكهنة حين أسموا حجر السماء الصخر - الكريستال ؛ وهي مادة أحسوا أن باستطاعتهم أن يسمّوها معدناً كونها خرجت من عرق الصخر. وهكذا، كي يرضوا أنفسهم، كان باستطاعتهم أن يحافظوا على توقيرهم لخشاثرا كرب للسماء الكريستاليّة وكحام للمعادن.

في الغاثات، لا يمتلك خشاثرا [فايريا] تداعياً مع خليقة بعينها، ولا يعتبر هذه الأميشا سبنتا حارساً للمعادن إلا في النصوص المتأخرة. يفسّر هذا الشذوذ في البحث المعاصر عبر الحقيقة القائلة إن السماء، في علم نشوء الكون في العصر الحجري، كانت تعتبر أولى الخلائق

(واعتقد أنها من الحجر، لكن لم يكن للمعادن أي مكان بين الخلائق (لم يكن العصران البرونزي والحديدي قد حلا بعد). ولهذا انعكاسه في وحي زرادشت، حيث نجد السماء "من أقسى الحجارة"، ياسنا 5.30). لاحقاً، ومع ظهور الأدوات البرونزيّة والحديديّة، تطوّرت هذه السماء لتصبح من الكريستال، الذي اعتبر على أنه من الحجارة والمعادن على حد سواء (يشت 31.2). وفي وقت بعينه، حل ارتباط خشاثرا مع السماء المعدنية ومن ثم المعادن عموماً، محل الموقد الحجريّة.

الأميشا سبنتا الرابعة :أرمايتي

سبنتا أرمايتي هي أحد أصعب الأسماء ترجمة وتفسيراً. فكما أن اللفظ سبنتا صعب أن يترجم، كذلك فإن أرمايتي أكثر صعوبة في الترجمة. وعلماء الأفستا ترجموا الاسم على أنه "الحكمة الإلهيّة"، "الورع"، "التقوى"، "الخير"، "الكياسة -الودودة"، "السلام والمحبّة"، أو حتى "الخدمة."

أحد أهم المترجمين للنصوص الزرادشتيّة المقدّسة، جعفري، يستخدم الكلمة الفارسيّة المتأخرة أراماتي (سكينة) كأنموذج لها، فيترجم أرمايتي بأنها "هدوء". وهكذا يصبح معنى السبنتا أرمايتي في ترجمتها، "الهدوء المتقدّم"، وهو تعبير مبهم إلى حد ما. لكن فارهانغ مه ر ترجم التعبير بجملة أكثر دقة، "السلام الشامل الكريم".

مع ذلك، سبنتا أرمايتي كانت هامة جداً لزرادشت في وحيه. فالغاثات تمتلئ بالإشارات إلى أرمايتي. فهي تمتلك هناك معان كثيرة.

فالنبي يستخدم أرمايتي ككائن مستقل، أحياناً كفكرة مجرّدة، وأحياناً كصفة أو كوصف لفضيلة بشريّة. أحياناً نراها عنصراً فاعلاً، وأحياناً تكون فضيلة، سمة للخيّر.

أرمايتي شيء يجب اختياره كجزء من خيار الخيّر، هدف أو غرض مقدّس. وأرمايتي تشكّل غالباً زوجاً مع آشا، "الصحّة"، كرفيقة من الأميشا سبنتا . أما اللقب الذي يصادفنا غير مرّة الخاص بأرمايتي، فهو " الثمينة ". تعيش أرمايتي في النصوص ككائن مشخّص بالكامل.

سبنتا أرمايتي هي كائن مؤنّث. والزرادشتيّة منذ البداية اعترفت بالسمة الأنثويّة للإله. ورغم أن الثقافة الزرادشتيّة صارت في نهاية الأمر أبويّة مثل الثقافات الأخرى القديمة، فقد ظلّت روحانيتها تقرّ بما نسميه اليوم "الإلهة الأنثى"، إن في صيغ الأناث من مجموعة الأميشا سبنتا، أو في اليازاتات المؤنثة.

في الزرادشتيّة المتأخرة، تصبح سبنتا أرمايتي شفيعة للأرض، الأرض الخصبة، والفضاء المقدّس. ويتم التضرّع لها عند تكريس قطعة أرض أو بناء. في الطقوس المقدّسة، يرمز إلى سبنتا أرمايتي بصفحة بيضاء التي هي الأساس لكل الأغراض المقدّسة الأخرى، بما في ذلك وعاء النار.

إنّ غرض الروحانيّة الزرادشتيّة هو تفعيل مجموعة الأميشا سبنتا ضمن الذات، فتصبح بالتالي أكثر قرباً من الله. هذا يعني تعلّم وممارسة فضائل كلّ أمشا سبنتا، سواء كان مذكراً أم مؤنثاً. وفي مزاوجة سبنتا أرمايتي وآشا، هنالك توازن بين الصفات الذكورية من عدل وحقيقة

وشرع العائدة لآشا، والصفات الأنثويّة من خدمة ولطف وتقوى وسكينة، العائدة لسبنتا أرمايتي. هذا التوازن بين الصفات والفضائل هو ما يجب أن يضعه نصب عينيه الباحث عن روحانيّة الزرادشتيّة.

أرمايتي، التقى المقدّس، التي تجسّد التقى باعتباره خيراً وعدلاً، هي حارسة الأرض، التي رمزها الأرض. وبسبب تعبّدهم الكبير لها، عادة ما يتمّ التضرّع إليها باسم سبنتا أرماتي. ليس فقط رمزها الأرض، بل اعتُقِد أنّها أمّ كل الأشياء، والحامية الطبيعيّة للنساء. وبحسب كلمات نص قديم: "هذه هي إذاً الأرض التي نعبد، هي التي تحملنا، مع النساء". وكونها حارسة الأرض، اعتبرت أيضاً شفيعة الرعاة والمزارعين. وتبدو بعض المراجع شبه واثقة من أن الإلهة اليونانيّة ديميتر نشأت عن أرماريتي أو تأثرت بها للغاية.

الأميشا سبنتا الخامسة: هاورفاتات

هي الكلمة في اللغة الأفستيّة التي تطلق على المفهوم الزرادشتي "للكمال" أو "التماميّة". إن أقنوم هذا المفهوم هو الإلهة هاورفاتات، التي هي أمشا سبنتا المياه، الازدهار، والصحة.

إيتمولوجيّاً، الهاورفاتات مشتقة من جذر هندو - إيراني وهو على علاقة ألسنيّاً بالكلمة سَرفَتات السنسكريتّة الفيدية التي تعني "اللامحسوسيّة، الكمال". في الفارسيّة الوسيطة تصبح الكلمة هورداد، أما في الحديثة فتكون خورداد. في التقويم المشار إليه آنفاً، خورداد هو اسم الشهر الثالث من السنة.

الاسم هاورفاتات في اللغة الأفستية هو مؤنث قواعدياً، والإلهة هاورفاتات في النصوص المقدّسة كائن أنثوي. مع ذلك، خورداد في التقاليد يعتبر ذكراً؛ في إيزيس وأوزيريس، 46، يترجم بلوتراخ هاورفاتات باسم Πλοῦτος أو بلوتوس (الغنى، الثروة)، وهي تتماثل مع الإله بلوتوس، إله الثروة عند الإغريق.

هاورفاتات وأمه ره تات تذكران غالباً معاً كأختين.

الأميشا سبنتا السادسة: أرمه ره تات

في اللغة الأفستيّة، اسم لإله\مفهوم إلهي يعني "اللا موت". وكأقنوم للخلود، أمه ره تات هي أمشا سبنتا العمر المديد على الأرض والاستمرارية في العالم الآخر.

الأمه ره تات هي ربّة الخليقة الرابعة، أي النباتات. فبعد أن دمّر أنغرا مانيو الخليقة، قامت بنثر البذور على الأرض من جديد من أجل استرداد النباتات وبالتالي يمكن لطقس الهوما الاستمرار.

الكلمة مشتقّة إيتمولوجيّاً من جذر هندو - إيراني وهي على علاقة ألسنيّاً مع أم رتاتفا السنسكريتيّة. في الفارسيّة الوسيطة، الكلمة هي أمورداد؛ وفي الفارسيّة الحديثة، مورداد أو أمورداد. والكلمة مؤنثة قواعديّاً، وهي كإلهة تعتبر كائناً أنثويّاً.

مثل الآخرين في مجموعة الأميشا سبنتا، الأمه ره تات موجدة في الغاثات. ومثل معظم المبادئ الأخرى، الأمه ره تات ليست كائناً دون

غموض في تلك التراتيل. وبعكس الأربعة الآخرين من مجموعة الأميشا سبنتا، الأمه ره تات لا تمتلك لقباً دائماً والذي يصبح في نصوص الأفستا اللاحقة عنصراً في اسمها العلم.

في الغاثات، الأمه ره تات متحالفة بقوة مع هاورفاتات (ربة الخليقة الثانية، المياه)، وهي أمشا سبنتا "الكمال" والصحة. يقول النبي زرادشت، مخاطباً أهورا مزدا في الياسنا 11.34 إن "كلاً من الكمال والخلود مسئولان عن الإسناد" في ملكوت الله. في الآية نفسها، كما في الياسنا 10.45 و 7.51، نجد موازيات بين الأمه ره تات والهارفاتات من ناحية، وبين "التحمّل والقوة" من ناحية أخرى.

في الأفستا الأولى:

العلاقة بين الأمه ره تات والهاورفاتات موجودة في بدايات الأفستا. والنصوص الأفستيّة الأولى تلمّح إلى رعايتهما على الترتيب للحياة النباتيّة والمياه (بالمقارنة مع التلميح في الغاثات إلى التغذية)، لكن هذه التعيينات هي فقط أمور تطورت على نحو مناسب في التقليد اللاحق. هذه التداعيات تعكس أيضاً الأنموذج الزرادشتي الكوني الذي تتطابق فيه كل أمشا سبنتا مع أحد أوجه الخليقة.

إن نقيض الأمه ره تات هو الشيطان (داه فا) شود، "الجوع"، في حين أن نقيض هاورفاتات هو تارشنا، "العطش". أمه ره تات وهاورفاتات هما الإثنتان الوحيدتان في مجموعة الأميشا سبنتا اللتان لا يعزا لهما نقيضان في الغاثات. وفي الإطار الأخروي لليشت 25.1، تمثّل

أمــه ره تــات وهاورفاتــات الثــواب علــى الخــير بعــد المــوت.

في التقاليد:

في البوندادهيشن، وهي رواية زرادشتيّة انتهت في القرن الثاني عشر للميلاد، يظهر أمه ره تات وهاورفاتات ـ مع سبنتا أرمايتي، الأنثى الثالثة في مجموعة الأميشا سبنتا ـ على اليد اليسرى لأهورا مزدا. وفي النصوص الزرادشتيّة المقدسّة والتقاليد، تتماثل هذه المبادئ الثلاثة على نحو شبه مستمر مع الخلائق التي تمثّلها: الحياة النباتيّة، المياه، والأرض على التوالي.

ووفقاً للأساطير التي تتحدّث عن نشوء الكون في البوندادهيشن، حين يذبل أنغرا مانيو (أهريمن بالفارسيّة الوسيطة) النبتة البدئيّة، تنتزع منها أمه ره تات اللب وتمزجه بالماء. عندها تأخذ تيشتريا الماء وتنثره على العالم كالمطر، الأمر الذي يؤدّي إلى نمو كثير من النباتات من جديد.

في النص من التقويم المكرّس لأمه ره تات (سيروزا 7.1)، يتم التضرّع إليها جنباً إلى جنب مع الغاوكاره نا (الهاوما البيضاء) في اليوم السابع من كل شهر. إن تلميح الأفستا الأولى إلى الخلود كان قد تطوّر على نحو مناسب في البوندادهيشن 2.27، حيث تعتبر الهاوما البيضاء "مبددة الموت رئيسة النباتات". ومن هذه الهاوما البيضاء، يحضّر طعام الخلود عند التجديد النهائي للعالم. ومقاطع أخرى تجعل الرحيق الإلهي يخلق من الأمه ره تات بالذات.

وفقاً لإعادة تجميع النصوص الأفستيّة الضائعة في الدنكارد، كانت ذات زرادشت الماديّة محمية من أمه ره تات وهاورفاتات حتى الحبل بالنبي. سببت الآلهة هطول المطر من أجل تغذية العشب، والذي ستأكله ست بقرات بيض. وعند شربه الحليب من تلك الأبقار، امتصت أم زرادشت ذاته الماديّة (تان ـ غوهر).

عبر التداعي مع النباتات والمياه، تتماثل أمه ره تات وهاورفاتات مع الطعام والشراب على التوالي، وتقليدياً كان احترام هاتين من جماعة الأميشا سبنتا يفترض أن يتم تناول الطعام بصمت.

في الترتيب الهرمي لليازاتات، للأمه ره تات مساعدون هم راشنو، أرشتات، وزام. لراشنو وأرشتات دوراهما في الإسكاتولوجيا الزرادشتيّة، في حين أن زام هو إله الأرض ومغذّي النباتات.

في التقويم الزرادشتي، اليوم السابع من الشهر والشهر الخامس من السنة مكرّسان لأمه ره تات (أمورداد\مورداد) ويحملان اسمها وهما تحت حمايتها. والتقويم المدني الإيراني للعام 1925 يتبع في تسمياته الأنموذج الزرادشتي، ومن ثم فاسم الشهر الخامس فيه يحمل اسم مورداد.

2 – **الفرافاشيات:** مفردها فرافاشي، وهو الملاك الحارس. ويعرف أيضاً بالأردا فرافاش ("الملاك الحارس المقدّس"). كل إنسان يصحبه ملاك حارس (ي 4.26، 1.55)، والذي يعمل كهاد له خلال حياته. وكانوا في الأصل يقومون بدوريات على حدود أسوار الجنة (بد 3.6،

زس 2.5)، لكـنهم يتطوعـون للنـزول إلى الأرض للوقـوف بجانـب الأفـراد حتـى نهايـة أيـامهم. ينصـح أهـورامزدا زرادشـت باسـتدعائهم للمسـاعدة عنـدما يجـد نفسـه في خطـر (يـت 13 .19 -20). ومـن دون وصـايتهم، لا يمكـن للحيوانـات والنـاس أن يسـتمروا في الوجـود، لأن درُج الشرير كان سيدمرهم جميعًا. (يت 13 . 12 -13).

صورة الفرافاشي

يعمل فرافاشي أيضاً كأمثولة يجب على النفس أن تناضل من أجله وتحتضنه، وفي النهاية يصبحان واحدة بعد الموت (Y16.7، 26 7.، 26 11.، 71 23.، Yt22.39) (ي 7.16، 7.26، 11.26، 23.71، يت 39.22).

إنها تُظهر طاقة الله وتحفظ النظام في الخليقة. ويقال أنها تطير مثل الطيور المجنحة ، ويمثّلها قرص مجنح ، وغالبا مع شخص يركب فوقه (كما في التمثيل أعلاه).

3 – اليازاتات (الملائكة).

إذا كانت مجموعة الأميشا سبنتا تمثّل رؤساء الملائكة (الملائكة المقربين وفق المصطلح الإسلامي) فإنه يمكن اعتبار اليازاتات الملائكة العاديين. الكلمة تعني حرفياً "المعبودين"، واليازاتا كائن روحاني مخلوق، يستحق أن يتم تكريمه أو الإشادة به. ومثل مجموعة الأميشا سبنتا، فهم يجسّدون الأفكار والفضائل المجردة، أو الأشياء الملموسة للطبيعة. تحاول اليازاتات في أي وقت مساعدة الناس، وحمايتهم من الشر.

قائمة اليازاتات:

- أبان: أنظر: أره دفي سورا أناهيتا.
- أهوراني: يازاتا أنثى تشرف على المياه.
- أيريامان: يازاتا الصداقة والعلاج. (من أصل هندو -إيراني).
- أخشتي: يازاتا تشخص السلم.
- أنغرا راوشا: يازاتا "النور الذي لا ينتهي".
- أبا منابات: يازاتا المياه. (من أصل هندو -إيراني).
- أره دفي سورا أناهيتا: حرفياً، "أناهيتا" قوية، نقية، وهي يازتا أنثى تجسّد الماء. إنها تقيم في المناطق النجمية (يت 85.5، 88، 132). يتم حفظ ترنيمة لها في الياشت 5. تعرف أيضاً باسم أبان يزاد.
- أرشتات: يازاتا أنثى تجسد الاستقامة أو العدالة.

- آشي فانوغهي: حرفياً، "خير النعم ، الثوابات"، يازاتا أنثى تشرف على البركات.
- أسمان: يازاتا تشرف على السماء.
- أتار: حرفياً، النار. يازاتا يشرف على النار. إليه باسم "ابن أهورا مازدا" في الأفستا.
- شيستي (أو شيستا): يازاتا أنثى تشخص الحكمة الدينية. اسمها ربما يعني "التعليمات". تُعرف أيضًا باسم رازيشتا شيستا (الشيستا الأكثر استقامة).
- داه نا: يازاتا أنثى تشرف على الدين، وأيضاً ، على الذات الداخلية أو الضمير.
- داهم: يازاتا تُكرّم في اليوم الرابع بعد الموت.
- دهما أفريتي (دهمان أفرين): تجسيد قوة البركة.
- داموبش أوبامانا: يازاتا يجسّد لعنة.
- درفاسبا: يازاتا أنثى تجسد الماشية.
- إره ثه: يازاتا أنثى تجسد الحقيقة.
- غاو: يازاتا يجسّد الماشية.
- غه أوش أورفان: حرفياً، أشعل. "روح البقرة (أو المستوطنة)". تجسيد الحياة الحيوانية.
- غواد: أنظر فايو لاحقاً.

- هاوما: يازاتا تشرف على نبات الهاوما، الذي له خصائص طبية وروحية. (هندي - إيراني في الأصل).
- هابتويرينغا: يازاتا نجم.
- هافاني: يازاتا يشرف على مرحلة المراقبة الثانية (غاه) كل يوم (من شروق الشمس حتى منتصف النهار ، أي 12 ظهراً).
- هفاره خاشيتا: حرفياً، "الشمس الساطعة"، يازاتا يشرف على الشمس.
- خواره ناه: يازاتا يشرف على النعمة الإلهية أو الثروة.
- ماونغاه: يازاتا يشرف على القمر.
- مانثرا سبنتا: يازاتا الذي يجسد الكلمة المقدسة.
- ميثرا: يازاتا يشرف على العقود وهو تجسيد النور. (هندي - إيراني في الأصل).
- نيريوسانغا: يازاتا الذي يقوم بدور رسول أهورا مازدا ، المرتبطة بالصلاة. (هندي -إيراني في الأصل).
- باويرياه نيس: يازاتا نجم.
- باره ندي: يازاتا أنثى تعني "وفرة" أو "سعادة". (هندي - إيراني في الأصل).
- باوروانيا: يازاتا مرتبط بكوكب غير مؤكدة هويته.
- رامان: يازاتا يشرف على الفرح.

- رابيثوين: يازاتا يشرف على فترة النهار (غاه) من الظهر إلى منتصف ما بعد الظهر.
- راسانستات: يازاتا أنثى تجسد الحقيقة.
- راشنو: يازاتا العدل.
- راتا: يازاتا أنثى (هندية -إيرانية في الأصل) تجسد الإحسان.
- ساتافاه سا: يازاتا نجم.
- سراوشا: حرفياً، "المصغي"، وهو الروح الذي يحرس النفس لمدة ثلاثة أيام بعد الموت.
- تيشتريا: يازاتا يشرف على أحد النجوم. وهو أيضاً يوجه المطر.
- تيشترياه ينيس: يازاتا مرتبط بأحد النجوم.
- أوبا -باويري: برج الحمل.
- أوشاه: يازاتا أنثى تخص الفجر (هندية -إيرانية في الأصل).
- أوشاهين: يازاتا يشرف على أول مرحلة مراقبة (غاه) من كل يوم (من منتصف الليل إلى فجر).
- أوزه رين: يازاتا يشرف على الفترة الرابعة (غاه) من كل يوم (من الساعة الثالثة بعد الظهر إلى غروب الشمس).
- فانانت: يازاتا نجم، مرتبط بنجم النسر الواقع.
- فايو: يازاتا يجسد الريح أو الغلاف الجوي (هندي -إيراني في الأصل).

- فه ره ثراغنا: حرفياً، أشعل. "النصر"، يازاتا يجسد النصر (هندي -إيراني في الأصل).
- فيسيا: يازاتا مرتبط مع الاستيطان، يُستلهم إلى جنباً إلى جنب مع سافاغي.
- زاميات: يازاتا أنثى تشرف على الأرض.
- زانتوما: يازاتا يشرف على القبيلة.
- كائنات روحية أخرى ، غير مصنفة ضمن ما سبق:
- ثواشا: تجسيد "الفضاء اللانهائي".
- زرفان أكارانا: تجسيد "الزمن الذي بلا حدود".

ملحق تعريفي:

الفيدات (جمع فه دا، وتعني: معرفة)؛ مجموعة من نصوص ضخمة نشأت في الهند القديمة. كتبت هذه النصوص بالسنسكريتيّة الفيدية، وتشكّل أقدم طبقات الأدب السنسكريتي، وأقدم النصوص المقدّسة عند الهندوس.

الأفستا: أقدم النصوص المقدّسة في الزرادشتيّة، كما أنها تحوي كثيراً من النصوص باللغة البهلويّة. في الأفستا نجد أيضاً معلومات حول اللغة الأفستيّة، إضافة إلى غيرها من تلك التي تفيد الراغبين بدراسة الزرادشتيّة.

ياسنا (معناها: عبادة): الاسم الذي يطلق على مجموعة النصوص الليتورجيّة من الأفستا إضافة إلى فعل العبادة الأساسي الزرادشتي الذي تتلى فيه هذه الآيات. الياسنا مكونة من 72 قسماً.

يشت (معناها: العبادة عبر التسبيح): مجموعة من 21 ترتيلة مكرّسة لإله معين أو لمفهوم إلهي.

إنّ الديانة الفارسيّة التي أسّسها زرادشت، والتي كان أنبياؤها يدعون بالماجي، كان لها أثر على العالم وهو ما لا يعترف به إلا قلة اليوم. إنّ الزرادشتيّة هي أوّل ديانة ظهرت على الأرض وادّعت أنها منزّلة، وهكذا فإذا تمكّنا من إثبات اعتماد هذه الديانة التي تدّعي أنّها منزلة على الأخرى، فسوف تكون الزرادشتيّة هي المعطية لا المتلقّية. منذ منتصف القرن العشرين، أعلن ماثيو بلاك أن "ما نعرفه عن اليهوديّة، باعتبارها متميّزة عن ديانة إسرائيل القديمة، بأنها ظاهرة ما بعد سبيية". وكونها "ما بعد سبيية" يعني أنها مدينة بالكثير للملوك والوزراء الزرادشتيين الفرس الذين قدّموا لليهود "العودة" من السبي. لكنّ الحقيقة أنّ بلاك ليس أوّل من أدلى بهذا الرأي. فقبله نجد الأستاذ الأمريكيّ في كامبردج، لورنس هـ ميلز، الذي ترجم كثيراً من الأفستا إلى الإنكليزية ونشر عملاً عنوانه، زرادشت، فيلو، الأخمينيين وإسرائيل، عام 1903، وديانتنا نحن في فارس القديمة عام 1913، والكتابان أشارا إلى مديونيّة اليهوديّة لزرادشت والفرس. بل إنّ سي دبليو كينغ، قبل ميلز بأعوام، كتب عام 1887 قائلاً، إنّ اليهود أخذوا ملائكتهم، إيمانهم بخلود النفس، اعتقادهم بالحياة ما بعد الموت، الدينونة الأخيرة وفكرة الثواب والعقاب بعد الموت، "الأخيرة تتمّ على بحيرة مشتعلة"، من "مخطّط زرادشتي". وهو ما أوصل جي ف موور إلى الاستنتاج عام 1927: "إنّ علماء كثر مقتنعون أنّ منظومة الأفكار اليهوديّة برمّتها استولى عليها اليهود من الزرادشتيين".

يقول بعض النقّاد إنّ اليهوديّة لا تدين للزرادشتيّة بشيء، بل العكس. وإذا كان الأمر صحيحاً، لدينا كل المبرّرات للتساؤل عن السبب الذي يمنع المدارس الدينية والكنائس والكنس أن تروّج لحقيقة كهذه؟ وأية ديانة هي هذه اليهوديّة، التي استطاعت أن تتحكّم وتسيطر على حكّام وكهنة واحدة من أعظم الامبراطوريات التي عرفها عالمنا حتى اليوم؟ وأنّ أولئك الذين قاموا بنشرها كانوا مجموعة ضئيلة من اليهود الأتقياء الذين أسرتهم امبراطوريّة سابقة مترامية الأطراف وقويّة. المعضلة هي في تحديد ما كانت عليه تعاليم زرادشت الأصليّة:

1: كيف يمكن أن نميّز بين إصلاحات زرادشت وديانة القبائل الإيرانيّة قبله.

2: كيف يمكن أن نميّز بين ديانة زرادشت والديانة التي تقدّمها لنا الكتب الزرادشتيّة التي بين أيدينا الآن، مثل الأفستا.

لم تحلّ هاتان المسألتان إلى اليوم بالكامل، لكنّ ما نعرفه حتى الآن كاف لأن نقول بثقة تؤهلنا لأن نربك المتعصبين من اليهود والمسيحيين. الديانة اليهودية ـ وبالتالي المسيحية والإسلام ـ تضرب بجذورها في تربة الغزاة الفرس الذين أقاموها ليسوّغوا مكانتهم كملوك للعالم.

تتشارك الزرادشتيّة واليهوديّة والمسيحيّة في سمات كثيرة للغاية إلى درجة أنّه يبدو أنّ ثمّة رباطاً بينها. فهل هذا الرباط موجود بالفعل؟ إذا كان الأمر كذلك، كيف حصل الأمر؟ وكم من التشابه بين هذه

الديانات يمكن ردّه إلى تطوّر متواز، أكثر من كونه تماساً وتأثيراً مباشرين؟

أبسط إجابة على السؤال الأول هي؛ نعم، هنالك تأثير كبير للزرادشتيّة على اليهودية والمسيحيّة؛ لكن المعضلة هي صعوبة توثيق هذا بدقّة، خاصة في مراحل اليهوديّة الأولى. الدليل هناك، لكنه دليل "ظرفيّ" بالكامل وهو غالباً لا يصمد أمام المحاكمة البحثيّة الصارمة. مع ذلك، يمكن للمرء أن يتجرّأ ويقدّم هذه الأفكار بنوع من اليقين، والتي تحمل سمة أنّ الأرجح أن لا تكون ثمّة طريق محدّدة لإثبات أنها حقيقية أو غير حقيقية.

في عام 598 ق.م.، غزت قوات الإمبراطوريّة البابليّة اليهود، فدمّروا هيكلهم وحملوا معهم جزءاً من السكّان إلى السبي. وكان المسبيّون مشكّلين على نحو خاص من المتعلّمين ومن الطبقة العليا إضافة إلى العائلة المالكة. استمرّ "السبي البابليّ" خمسين عاماً تقريباً. عام 539 ق.م.، غزا الفرس، بقيادة الملك قورش الأخميني، بابل، وعام 538 ق.م.، أصدر الملك قراراً قال فيه إنّه يسمح لليهود بالعودة إلى وطنهم الأمّ. لم يطلق فقط سراح المسبيّين، بل قام قورش، وإلى حدّ ما بعض خلفائه من الأخمينيين، بدعم إعادة بناء الهيكل أيضاً. وكان الدافع لسياسة قورش ليس فقط تسامحه الديني (شجّع أناساً آخرين من الوثنيين على الحفاظ على دياناتهم الخاصّة) بل حكمته السياسيّة أيضاً؛ ومن يتمّ التعامل معه بنوع من الكرم لا له يرجّح أن

يثور. لكن لم يكن كلّ اليهود راغبين بالعودة إلى الوطن. ففي سنوات السبي، وطّد الشعب اليهوديّ من الذين تكيّفوا مع العيش هناك في بلاد ما بين النهرين، مستقرّين هناك ومنغمسين في الأعمال وحتى السياسة. يهود كثر، في حين بقوا يهوداً ملتزمين، لم يعودوا إلى وطنهم الأمّ. فواصلوا حياتهم في وطنهم الجديد، ومع دعم الإمبراطوريّة الفارسيّة لحكمها، ارتقى بعض اليهود إلى مناصب عليا في خدمة البلاط الإمبراطوري .وخلال نهاية السبي، كان أوّل احتكاك هامّ بين الثقافتين اليهوديّة والفارسية، وذلك من خلال اليهود الذين كانوا يعيشون وقتها في الإمبراطوريّة الفارسيّة. ومن الواضح في التوراة أن التفكير اليهودي تغيّر بعد السبي. والسؤال هو التالي: هل هذه التغييرات نتيجة للقاء الثقافي بين المفكّرين اليهود والإيرانيين، أو أنّ مردّ هذه التغييرات صدمة السبي؟ فخلال السبي،.كان على اليهود ليس فقط أن يبدّلوا كيفيّة عبادتهم، كونه لم يعد لديهم هيكل أو قرابين حيوانيّة، وقد كانت مركز إيمانهم، بل أيضاً كيفية تفكيرهم بالله. فالمفهوم اليهوديّ عن الله كحام قبليّ، والذي كان سينقذهم من أن يغزوا أو يسبوا، كان عليه أن يجتاز إعادة نظر.

في اعتقادنا أنّه ثمة عنصران حاضران هنا، أوحيا بالتغييرات في اليهودية ما بعد ـ السبيية: ليس فقط التفكير اليهودي الجديد المتعلّق بالله والإنسانيّة، بل أيضاً التماسّ مع الزرادشتيّة، ديانة الإمبراطوريّة الفارسيّة. لكن من ثمّ يطالعنا سؤال جديد: كيف وصل اليهود القدامى إلى تعلّم الزرادشتيّة؟ من غير المرجّح تماماً أن يكون العلماء والمفكّرون

اليهود عرفوا على نحو مباشر يوماً الكتب الزرادشتيّة المقدّسة الغاثات (النص المؤسس للديانة الزرادشتيّة، والذي يعزى إلى النبيّ زرادشت بالذات) أو الياشتات (تراتيل تمتدح العديد من الآلهة الوسيطة والأرواح الحارسة، متبنّاة من الميثولوجيا ما قبل الزرادشتيّة). إنّ الاستخدام الكهنوتي للأفستا ولغتها القديمة كانتا ستبدوان عائقين بين اليهود وهذا النص المقدّس. لكن معظم الزرادشتيّة، الذي يعرفه ويمارسه معظم الناس، موجود في التقليد الشفويّ: أي عبر كلمة الفم، لا دراسة الأسفار المكتوبة. هذا التقليد الشفويّ كان يتضمّن قصصاً حول الله، الخليقة، الصراع الأخلاقيّ والكونيّ بين الخير والشرّ، الدينونة الإلهية ونهاية العالم. كان التقليد الشفويّ سيتضمّن أيضاً كلّ الرموز الزرادشتية المعروفة كالنار، النور والظلمة، إضافة إلى صلوات وقصص حول اليازاتات أو الكائنات الروحيّة الوسيطة والنبيّ زرادشت. وهذه هي كلّ العناصر المكوّنة لما يمكن أن ندعوه بالزرادشتيّة "الكلاسيكيّة" (كما تطوّرت عن زرادشتيّة الغاثات "البدئيّة"). هذه هي الطريقة التي التقى بها اليهود الزرادشتيّة ـ عبر الحوارات الخاصّة والتجارب المدنيّة والسياسيّة، وليس من خلال الدراسات الدينيّة المعياريّة. وكونه أعيد تصنيع الديانة اليهوديّة بعد كارثة السبي، فقد بدأت هذه التعاليم الزرادشتية بالتسرّب إلى الثقافة الدينيّة اليهوديّة.

إن غاثات زرادشت، التي تسبق قورش بنحو من ألف سنة تقريباً، تصف الله بتعابير شاملة ومجرّدة، لكنها زمن الاحتكاك اليهودي، لا يبدو واضحاً على وجه الدقة نمطيّة التوحيد التي كان

يؤمن بها في الزرادشتية. فهل كانت توحيدية حقيقية والتي تعبد إلهاً واحداً فحسب، والذي بالمقارنة معه تبدو الآلهة الأخرى إما شياطين شريرة أو أنها غير موجودة فحسب؟ هذا ما تبدو عليه توحيديّة زرادشت، لكنها ليست توحيديّة الملوك الأخمينيين الذين حكموا الإمبراطوريّة الفارسيّة، الذين كانوا قادرين على دمج توقير الآلهة الثانويّة ضمن عباداتهم، مادامت هذه الآلهة الثانويّة كانت تعتبر خلائق الإله الأوحد وليست آلهة بحد ذواتها. وقد كان اليهود ينظرون إلى الملائكة كوسائط شبه ـ إلهيّة، لكنهم لم يمضوا بعيداً كالزرادشتيين في تبجيل هؤلاء الوسطاء بتراتيل مدائحيّة كالياشتات.

خلقت غزوات الاسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد أول ثقافة "عالميّة" (بالنسبة للعالم الغربي على الأقلّ)، استطاعت فيها الشعوب والآلهة والأفكار الانتقال من جنوب أوروبا، عبر الشرق الأوسط، إلى إيران والهند، والعكس صحيح. وفي هذا العالم الكوزموبوليتاني، الهليني، ازداد الاحتكاك بين اليهود والفرس، وصار تأثير الزرادشتية على اليهوديّة أكثر قوّة. يتراءى لنا هذا التأثير بوضوح في الكتابات اليهوديّة المتأخّرة مثل سفر دانيال وأسفار المكابيين، التي كتبت في القرن الثاني ق.م. في سفر المكابيين الثاني (غير موجود في التاناخ اليهودي، لكنه موجود في النسخة الكاثوليكيّة ـ الأرثوذكسيّة من الكتاب المقدّس)، تطالعنا رواية كتابيّة حول التماس اليهودي ـ الزرادشتي، إضافة إلى الشهادة الأولى حول نفط الشرق الأوسط. تعود هذه الوثيقة إلى العام 124 ق.م.، وهو ما يجعلها ضمن

أحدث أسفار العهد القديم – تأخّرها جعل القانون اليهوديّ لا يعترف بها .في الإصحاح الأوّل من هذا السفر، هنالك قصّة حول كيفيّة إعادة نار المذبح اليهوديّ إلى الهيكل بعد السبي. وقد كانت أعراف الهيكل اليهودي تتطلّب وجود نار مشتعلة على الدوام في المذبح (سفر الخروج 27:20)، مع أنّ هذه النار لا تمتلك الصفة" الأيقونيّة" الخاصّة بالنار الزرادشتيّة المقدّسة. مع ذلك، وخلال تجديد الهيكل اليهودي، ظهرت هذه القصة وتمّ تكرارها في سفر المكابيين، بعدها بأربعمئة سنة: "فلَمَّا فَعَلوا، اِتَّقَدَ لَهيبٌ آمتَصَّه النُّورُ المُماثِلُ المُنبَعِثُ مِنَ المَذبَح. فشاع ذلك (تجديد النار) وأخبر ملك فارس أنّ المكان الذي خبّأ فيه الكهنة النار حين جلائهم قد ظهر فيه ماء طهّر به نحميا والذين معه تقادم الذبيحة. فسيّجه الملك بعد التحقيق وجعله مقدّساً" (2 ملك 1: 32 -33). (نلاحظ هنا أن نحميا هو الذي أنشأ مع عزرا، في حوالي السنوات 445\425 ق.م.، جماعة اليهود الجديدة. وهناك مذكّرات منحولة) (2\13تنسب إليه إعادة بناء المذبح والهيكل، مع أن المذبح قد دشّن منذ عام 538ق.م. والهيكل منذ عام 515 ق.م. (عز 3\1 ت و6\14 ت)". وفي الآية 20 من الإصحاح ذاته؛ يقال " :أرسل ملك فارس [يقال إنه أرتحششتا الأول (464 -424)] نحميا إلى هنا، فأرسل سليلي الكهنة إلى الذين خبّؤوا النار للبحث عنها". هذا يظهر دون لبس أن الكتّاب اليهود، زمن توليف سفر المكابيين الثاني على الأقل، كانوا يعرفون أنّ الزرادشتيين يبجّلون النار ـ وهكذا، إذا كان الأمر برمّته صحيحاً، فهذا يعني أنّ الزرادشتيين عرفوا واحترموا التشابهات بين

ديانتهم وديانة اليهود. والسائل المشتعل الذي يتحدّثون عنه هنا هو البترول، حيث يدعى "نفطا"، وهي كلمة مكوّنة من كلمتين عبرية وفارسيّة.

يواصل التأثير الإيرانيّ في دلائله البينة في الكتابات اليهوديّة التي تأتينا من الحقبة المعروفة بفترة "ما بين العهدين"، أي، بعد توليف آخر سفر قانونيّ من العهد القديم وقبل توليف العهد الجديد. وهذه الفترة تغطي زمناً يمتدّ من العام 150 ق.م. تقريباً، إلى العام 100 م. تقريباً. كتابات ما بين العهدين هذه تصف هرميّة معقّدة من الكائنات الملائكيّة، الأمر الذي يمكن اعتباره صدى للمفهوم الزرادشتي حول بلاط اليازاتات المقدّس. أما الفكرة اليهوديّة حول رؤساء الملائكة الرئيسين السبعة، فربّما تكون مستوحاة من الأميشا سبنتا السبعة، وهم أرفع الأرواح الحارسة في الاعتقاد الزرادشتي. كان لليهود أفكارهم الخاصة حول الملائكة قبل أن يلتقوا الزرادشتية بزمن طويل؛ لكن الملائكة هنا كانوا بلا أسماء، تمثيلات غير مشخصنة لرسالة الله وفعله. لكنهم بعد السبي، صار للملائكة اليهود أسماء وشخصيّات، كما تم الحديث عنهم أيضاً كحرس لظواهر طبيعيّة عديدة، مثل اليازاتات الزرادشتية تماماً. كذلك فإنّ الفكرة اليهوديّة -المسيحية حول "ملاك حارس"، ربّما تكون مستلهمة من شخصيّة الفرافاشي الزرادشتية، وهو ملاك حارس لكل كائن بشريّ فرد.

تعايش كلٌّ من الثنويّة "الكونيّة" و"الأخلاقيّة" في الفكر الزرادشتي عبر تاريخ الديانة الطويل؛ فتاريخهم ليس تاريخ فكرة ثنويّة أخلاقيّة

"بدائيّة" ثمّ "خلفتها" أو" أفسدتها" فكرة ثنويّة كونيّة. وانعكاس النمطين الثنويين موجود على حدّ سواء في التفكير اليهودي. فسفر التثنيّة التوراتي، مثل الأسفار الأولى الأخرى من العهد القديم، كان قد أعيد تحريره وربما أعيدت كتابته خلال السبي وبعده. وفي مقطع هام من سفر التثنية نلمح نسخة يهوديّة من الثنويّة الأخلاقيّة:

"أنظر! إنّي قد جعلت اليوم أمامك الحياة والخير، والموت والشرّ. إذا سمعت إلى وصايا يهوه إلهك التي أنا آمرك بها اليوم، محبّاً يهوه إلهك وسائراً في سبيله وحافظاً وصاياه وفرائضه وأحكامه، تحيى وتكثر ويباركك يهوه إلهك في الأرض التي أنت داخل لترثها. وإن تحوّل قلبك ولم تسمع وابتعدت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها، فقد أعلن لكم اليوم أنكم تهلكون هلاكاً ولا تطيلون أيامكم في الأرض التي أنت عابر الأردن لتدخلها وترثها. وقد أشهدت عليكم اليوم السماء والأرض بأني قد جعلت أمامكم الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لتحيا أنت ونسلك... " (تث 30: 15 -19).

لكن رغم هذه الانعكاسات اليهوديّة للثنوية الأخلاقيّة، فإنّ مذهب "الثنوية الكونيّة"، بمضمونه الرمزيّ والميثولوجيّ، هو الذي أثّر أكثر ما يمكن بالمفكّرين اليهود المتأخرين. وحتى قبل السبي، وبفعل تهديد الدمار الذي قد يلحق بالشعب اليهودي من قبل الامبراطوريات الغريبة، فقد كان الأنبياء اليهود يقدّمون الرؤيا تلو الرؤيا حول حرب وكارثة ليسا فقط سياسيين، بل أيضاً كونيان. وهذا النمط من النبوءات، بعد السبي، تطوّر إلى ما يعرف بالأدب الأبوكاليبتي. وهذا

نوع من القصص الديني، يتضمن الشعر والنثر للتبشير باستخدام مستوى عال من الرمزيّة الميثولوجيّة لوصف حرب ليست فقط كونيّة بين قوى الخير والشر، بل يمكن أن نجد هناك أيضاً مخططاً لنهاية الزمان القادمة.

منذ بداياتها، كانت التعاليم الزرادشتيّة تقول، إنّ للزمن ولخليقة الله بداية ووسطاً وزمناً نهائيّاً، سوف تحاكم فيه كلّ الأنفس. ومن ثمّ طوّرت تعاليم زرادشت ووضّحت عبر مجموعة من المقولات الميثولوجيّة، التي استعير كثير منها من الآلهة والآلهات ماقبل الزرادشتيّة والهندو ـإيرانيّة، إضافة إلى ميثات الصراع الكونيّ من بلاد ما بين النهرين. من ثم راحت الزرادشتيّة تعلّم أيضاً حول زمن مقدّس بعينه، بنياناً تاريخيّاً للعالم المخلوق. وغالباً ما يعزى للزرادشتيين إدخال الأخرويات، أو معرفة نهاية الزمان وأحداثه، في العالم الديني للغرب والشرق على السواء.

كل الديانات تستعير من الديانات التي سبقتها وتتبنى موادّ قديمة لشريعتها الجديدة، واليهودية غير مستثناة هنا. والعالم الإيراني المتعلّق بالملائكة والشياطين، النور والظلمة، الله ونقيضه، وخط الزمن المقدّس، يدخل عالم الأبوكاليبس اليهودي. إن كثيراً من هذه الكتابات الأوكاليبتيّة موجود من حقبة "ما بين العهدين"، مثل سفر أخنوخ، وهو توليفة لرؤى تتعلّق بالملائكة، الشياطين، والدينونة الأخيرة. فالفكرة الأبوكاليبتيّة حول نهاية الزمان، إضافة إلى الدينونة الأخيرة من قبل الله مع حلول النهاية؛ تدينان بالكثير للفكر الزرادشتي.

التشابهات بين الزرادشتيّة واليهوديّة:

إن مواضع التشابه بين الزرادشتيّة واليهوديّة، ومن ثم بين الأولى والمسيحيّة، تبدو كثيرة وملفتة. فأهورا مزدا، إله إيران الأعلى، كلي العلم، كلي الوجود، والخالد، المعطى قوة الخلق، والتي يمارسها بشكل خاص عبر وساطة سبنتا مانيو ("الروح القدس")، ويحكم الكون بوساطة الملائكة ورؤساء الملائكة، يمدّنا بأقرب مواز ليهوه، إله اليهود، يمكن أن نجده في العالم القديم. لكن قوة أورموزد معاقة من قبل عدوّه، أهريمن، والذي ستدمّر سطوته، كالشيطان، مع نهاية العالم. تقدّم لنا الزرادشتيّة واليهوديّة عدداً من التشابهات كل مع الأخرى في منظومتيهما العامتين المتعلقتين بعلم الملائكة وعلم الشياطين، وهو ما أشار إليه دون التباس الباحثان الربّانيّان اليهوديّان، شور وكوهوت، واللاهوتي المسيحي، ستيف.

من الصعب الركون إلى هذه التشابهات. فمن المعروف، بالطبع، كحقيقة تاريخيّة أن اليهود والفرس احتكوا ببعضهم في حقبة مبكرّة في العالم القديم بل حافظوا على علاقتهم شبه الوثيقة طيلة تاريخ الشعبين. ومعظم الباحثين، يهوداً كانوا أم غير يهود، يعتقدون أنّ اليهوديّة تأثرت بقوّة بالزرادشتيّة وذلك في مسائل مثل علم الملائكة وعلم الشياطين، وربما أيضاً بمبدأ القيامة، والأفكار الأخرويّة عموماً، دون أن ننسى أنّ مفهوم يهوه التوحيديّ تم تسريعه وتقويته عبر معارضته للثنوية أو التوحيد الزائف عند الفرس.

لكن، من ناحية أخرى، دافع الراحل جيمز دارمستتر عن الرأي المعاكس تحديداً، مؤكّداً بالتالي أن الفكر الفارسي الأولي تأثّر للغاية بالأفكار اليهوديّة. فقد أصرّ أنّ الأفستا التي بين أيدينا، ترجع إلى زمن متأخّر وأنها أشبعت كثيراً بالعناصر الغريبة، خاصة تلك المأخوذة من اليهوديّة، إضافة إلى تلك المستمدة من الأفلاطونيّة الجديدة عبر كتابات فيلون. وقد أطلقت هذه الآراء قبيل وفاة الباحث الفرنسي عام 1894 بزمن قصير. ومنذ ذلك الوقت، تصدّى لها اختصاصيّون كبار، فحاربوها بقوّة. مع ذلك، ثمة من يقول إنه لا يمكن الوصول إلى قرار حاسم في صالح أي من الطرفين المتنازعين. ويضيف إنه ربما أن الحقيقة تكمن بين الطرفين الراديكاليين المتطرفين، ومن الممكن أنه حين نصل إلى تحديد دقيق لتفاصيل الديانة الآشوريّة والبابليّة، فربّما يلقى مزيد من الضوء على معضلة مصدر هذه التشابهات، وربما تظهر أرجحيّة لتأثير مشترك فعل فعله على الديانتين الفارسيّة واليهوديّة.

لكننا نعتقد أن اليهوديّة، في شكلها البدئي، كانت ترى أن العلاقة إلهي - بشريّ مسألة أقلّ من عاديّة، ولا حاجة لوسيط بين الطرفين[1].

---

(1) يقول آرثر جفري في *القرآن ككتاب مقدّس*، إنه " وربما يكون القدّوس الأحد ذاته هو الذي يخترق الغيب ويعطي الرسالة دون أي وسيط. فقد تحدّث مباشرة إلى آدم وحواء في عدن (تك 3)، وتحدّث إلى موسى (خر: 34: 34) عند العليقة (3، 4) وفي سيناء (خر 19)، إضافة إلى آخرين من عبيده مثل إبراهيم (تك 26: 2)، يعقوب (تك 3: 15) وداود (1 مل 6: 12). لكن في مرحلة لاحقة أدخل إجلال ==

ففي ميثة خلق العالم، النسخة اليهوية، من سفر التكوين (2:4 – 3:24)، نجد آدم في الجنّة يسمع "خطى الرب الإله وهو يتمشّى"، فنادى الربّ الإله الإنسان وقال له: "أين أنت؟"، قال الإنسان: "إنّي سمعت وقع خطاك في الجنّة"؛ وفي ميثة الطوفان يخاطب الربّ نوح دون وسيط؛ "قال الله لنوح: ادخل السفينة أنت وجميع أهلك" (تك 7:1). ورغم أنّ اليهوديّة أقحمت المفهوم "ملاك" في نصوص مبكّرة إلى حدّ ما من التكوين، حيث يظهر" ملاك الربّ" أوّل مرّة في الآية 16:7 في رواية هاجر وابنها اسمعيل، نجد أن الله ذاته يصارع يعقوب، في رواية يهودية شهيرة، فيخلع حق وركه، ويسميه إسرائيل، لأنه " صارع الله " (32:23). لكن يبدو أن اليهود وجدوا أنه من الأكثر احتشاماً أن يكون ثمة وسيط بين الإلهي والبشري، خاصة مع التقائهم بثقافات ما بين النهرين[1] وفارس، فازداد انتشار

الألوهية فكرة الحجاب المعلّق بين الحضور الإلهي والخلائق الذين اقتربوا منه". (16 – 117).

(1) في حقبة مبكرة جداً في بلاد ما بين النهرين القديمة اعتُقِد أن الآلهة يمكن أن تعرّف الجنس البشري على إرادتها. وقد استطاعت أن تفعل هذا عبر علامات أو آيات أو إنذارات والتي كان باستطاعة الكهنة الماهرين تفسيرها. أو ربما استطاعوا جعلها معلومة عبر الأحلام، مثلما فعلوا مع الملك العظيم غوديا Gudea، أو عبر مهتف الوحي Oracle. فقد كان شَمَش «رب مهتف الوحي». وكان هنالك كهنة لمهتف الوحي تمرّسوا في استشارة مهتف الوحي وتفسيره، ولدينا الآن فيض من نصوص مهتف الوحي ما تزال موجودة منذ أحقاب قديمة نسبياً. وفي صلاة لشَمَش نقرأ:
==

الملائكة في الأسفار العبرانيّة، وتحديداً في تلك التي تنتمي إلى زمن لاحق.

« إلى الذي لا تراه تُقَدّم النور
تقرأ اللوح المخفي الذي لا يوحى.
على أحشاء الشاة تكتب الإشارة
وتعطي قراراً».

إذا فسّرنا النص السابق كما ينبغي فهو سيعني أن ثمة أشياء مكتوبة على الألواح السماوية لم تكن بمتناول الإنسان لكن من المهم أن يعرفها البشر، وقد كان باستطاعة شَمَش تفقيه البشر بها وهذا ما فعله((1)). لكن مسائل موحاة من هذا النوع، كانت بالضرورة محدودة في مداها. وغالباً ما كان تعبير أكثر كمالاً وتفصيلاً عن إرادة الآلهة فيما يخص البشر مرغوباً وممكناً. إن إحدى الطرق للحفاظ على هذا التعبير المرغوب في عقولهم وإراداتهم كانت بتجسيد وصاياهم في منظومة شرع، والتي كانت أوامرها ستقدّم قانون حياة استطاع الإنسان أن يعرف به كيف يعيش على الأرض نوع الحياة الذي كان الأعظم إبهاجاً للآلهة والأكثر فائدة للبشر أنفسهم. لا نستطيع أن نتحدث عن زمن بداية ظهور منظومات كهذه، لكننا نجد حوالي العام 2500ق.م تقريباً أن أوروكاغينا Urukagina في لارسا Larsa((1))يقوم بتنفيذ إصلاحات شاسعة، فيلغي ممارسات سيئة، ويصدر أحكاماً «لاستعادة شرع الله». لقد كانت منظومة الشرائع من كتابة الملك اوروكاغينا ذاته، لكن ذلك تمّ، كما يخبرنا هو ذاته، بوحي من إلهه نينغرسو Ningirsu، بحيث أن المنظومة صارت في النهاية وصايا إلهية موحاة من أجل هداية البشر. ولا بد أن نتذكّر، أن حمورابي أيضاً، قدّم منظومته الأكثر شهرة في وقت لاحق تحت اسم ومرجعية شَمَش. (آرثر جفري، *القرآن ككتاب مقدّس*، ترجمة نبيل فيّاض، ص63).

الملائكة تعريفاً:

في الديانات القائمة على مفهوم الوحي، الإله والبشر بعيدون عن بعض. من هنا، فالملائكة تجسّر الهوّة بين الطرفين. الملائكة تسبّح بحمد الله، تنفّذ إرادة الله، وتحمل كلام الله إلى البشر. كذلك فالملائكة تساعد الناس في الوصول إلى الخلاص أو أن تنال امتيازات خاصّة. أكثر من ذلك، فحين تعمل الملائكة نيابة عن الله، يمكن لها أن تؤثّر بقضايا بشريّة عبر أفعال مثل مكافأة المؤمنين ومعاقبة الآثمين ومساعدة المحتاجين.

في كثير من الديانات العالميّة، الملائكة كائنات روحانيّة تعمل وسائط بين الله والبشر. كرسل لله، يمكن للملائكة أداء أغراض كثيرة. ودورهم يمكن أن يكون تعليم أمر، أو إفهام البشر حول مصيرهم. كذلك تلعب الملائكة دوراً هامّاً جداً في اللاهوت الخلاصي حين تقوم بتدوين أفعال المرء الصالحة أو الطالحة في هذه الدنيا، وتمكّن الإله في الحياة الأخرى من أن يدين بعدل هذا الإنسان وفق سجلاته.

بالمقابل، تميل الملائكة لأن تلعب أدواراً أقل شأناً في الأديان ذات الآلهة العديدة. وفي الديانات التي تعتبر أن الكون كلّه مقدّس وأنّ الإله والإنسان لهما الجوهر ذاته، الملائكة أقل أهمية. فليس هنالك ثمة حاجة لهم من أجل تجسير الهوة بين الآلهة والبشر. مع ذلك، حتى في هذه الديانات، ثمة كيانات روحانيّة تشبه الملائكة يمكن لها مساعدة الناس فيما يتعلّق بالإله.

في سفر إستير من الكتاب المقدّس العبراني، نجد أفضل تأريخ لا يخلو من ميثولوجيا لقصّة العلاقة الفارسيّة ـ اليهوديّة. فقد كان اليهود المقيمون في بلاد فارس معرضين للإبادة بسبب حقد وزير اسمه هامان، فتمّ خلاصهم بفضل تدخّل استير، وهي يهوديّة أصبحت ملكة، يرشدها عمها مردخاي .فانقلب السحر على الساحر، وشنق هامان وحلّ مردخاي محلّه، وقتل اليهود أعداءهم. وأقيم عيد البوريم פורים للاحتفال بذكرى هذا الانتصار، وأوعز إلى اليهود أن يحتفلوا به كل سنة. وما زالت عادتهم هذه قائمة في ربيع كل عام.

لابد أن نشير هنا إلى أن التوحيد لم يأت إلى ديانة العبرانيين مرة واحدة. كان اليهود في فترة من تاريخهم يؤمنون بما يسمى علميّاً Henotheism، بمعنى عبادة إله أوحد والقبول في الوقت ذاته بوجود آلهة أخرى عديدة. يقول الباحث ك.ل. نول، إن "التوراة تحتفظ لنا بحديث يقول إن يهوه اعتاد أن "يعيش" في الجنوب، في أرض أدوم، وأن إله إسرائيل الأصلي كان إيل شدّاي". وتلمّح قصص توراتيّة عديدة إلى الاعتقاد القائل إن الآلهة الكنعانيّة موجودة كلها وفي أيديها معظم السلطات في الأراضي التي تعبدها أو في أغراضها المقدّسة؛ فسلطانها فعلي ويمكن التضرّع إليها من قبل من يعتبرونها نصيرتهم. وهنالك روايات عديدة حول خوف الأمم المحيطة بإسرائيل من إله إسرائيل أو إجلالها له رغم استمرارها، أي الأمم، في عبادتها متعددة الآلهة (أنظر مثلاً: 1 صم 4؛ 2 مل 5). لقد حظر على الإسرائيليين

عبادة آلهة أخرى غير يهوه، لكنهم لم يكونوا موحدين بالكامل قبل السبي البابلي .ويشير الباحث مارك س. سميث إلى هذه المرحلة على أنها أحد أشكال الـmonolatry (عبادة إله واحد مع عدم إنكار وجود آلهة أخرى). بل يبرهن سميث أن يهوه اجتاز صيرورة اندماج مع إيل وأن القبول بعبادات عشيراه كانت شائعة في حقبة القضاة. ويتم تفسير الاية 3 : 27 من سفر الملوك الثاني على أنها تصف قرباناً بشرياً قاد الجيش الإسرائيلي الغازي إلى الخوف من شيموش.

إن الوصايا العشر لا تنكر ولا تؤكّد وجود آلهة أخرى. مع ذلك، وكما هو مدون في التاناخ، وعلى الرغم من تعاليم التوراه، غالباً ما يعبد الإله الشفيع يهوه مقترناً بآلهة أخرى مثل بعل أو عشيره أو إيل . وبمرور الوقت، انتحل الإله القبلي كل أسماء الآلهة الأخرى في عيون شعبه. ومن ثم اعتبر دمار الهيكل والسبي إلى بابل عقاباً إلهياً على عبادة آلهة أخرى. ومع نهاية السبي البابلي، صارت اليهوديّة في التاناخ توحيديّة صارمة. مع ذلك ظل هنالك على ما يبدو عناصر من " التعددية الإلهيّة " في أسفار توراتيّة بعينها، مثل استخدام دانيال المتكرر لعبارة " ربّ الأرباب "، خاصّة في المزامير. إضافة إلى ما سبق، فإن كلمة إله في العبريّة (إيلوهيم) هي أيضاً بصيغة الجمع، وتعني "الأقوياء" أو "الحاكمين"، إن في العبرية أو في اللغات الكنعانيّة ذات الصلة. وهكذا "فإيلوهيم" يمكن أن تشير إلى مجموعة من "الحكّام"، كالملائكة، الآلهة الكاذبة، بل حتى أصحاب السلطات من البشر بمن

فيهم المسئولون أو القضاة ضمن إسرائيل، كما يصفهم سفر الخروج 21:6 و 22:8، دون انتهاك لمقاييس التوحيد في التوراة. في الترجمة العربيّة للنص العبراني يضيع المعنى الكامل للنص الأصلي حين يترجم إيلوهيم بمعنى الله في حين هو يعني هنا قاضيا أو حاكما. ويعتقد بعض الباحثين أنّ النص 3: 13 من سفر الخروج يصف اللحظة التي يخبر فيها يهوه موسى أنه هو إيل، الكائن الأسمى.

هرميّات الملائكة التراتبيّة:

الملائكة في منظوماتها المختلفة، أو سوياتها المختلفة، كانت جزءاً من ميثولوجيا بلاد ما بين النهرين القديمة. ولاحقاً في العام 400 تقريباً للميلاد، وصف الفيلسوف اليوناني ديونيسيوس الأرويـاجيتي هرم الملائكة؛ واعتماداً على كتاباته، تصنّف الملائكة تقليديّاً في تسعة منظومات. المنظومة العليا من الملائكة هي السرافيم، يتلوها الكروبيم، العروش، السيطرات، الفضائل، القوى، المبادئ، رؤساء الملائكة والملائكة. ووفقاً لهذا المخطط، تكرّس الدائرة الأولى من الملائكة ـ السرافيم، الكروبيم، والعروش ـ وقتها لتأمّل الله. الدائرة الثانية ـ السيطرات، الفضائل، والقوى ـ تحكم الكون. والدائرة الثالثة ـ المبادئ، رؤساء الملائكة والملائكة ـ تنفّذ أوامر الملائكة الأعلى.

رؤساء الملائكة هم ملائكة فائقون أو ملائكة من سويّة أعلى [مقرّبون] موجودون في عدد من التقاليد، بما فيها اليهوديّة، المسيحيّة، الإسلام والزرادشتيّة. كلمة رئيس ملائكة باللغة اللاتينيّة مشتقة من

كلمتين يونانيتين، "أرخه" بمعنى حاكم، و"أنخيلوس"، بمعنى مرسل. يقوم الملائكة بمجموعة من الوظائف في الهرم السماوي بما فيها القيام بالواجبات السماويّة والإدارة اليوميّة للأكوان. غالباً ما يوصف رؤساء الملائكة أيضاً بأنهم منغمسون في معارك روحانيّة مستمرّة مع الشياطين، أو أنهم رسل الربّ للتفاعل مع بني البشر.

بحسب التقليدين اليهودي والمسيحي، فإن عدد رؤساء الملائكة هو سبعة، مع أن المراجع تختلف فيما بينها في أسماء وهويات هؤلاء السبعة السماويين المرافقين لله. رؤساء الملائكة الأربعة المقبولون مسيحيّاً؛ هم: ميكائيل، جبرائيل، رفائيل، وأوريئل؛ أما الاختلاف فيدور حول وضعية كلّ من، راغوئيل، رميئل، حموئيل، جوفيئل، زادكيئل، سيميئل، أوريفيئل، زاخريئل، سيلافيئل، جيغوديئل، وبراحيئل. وكل اسم من هذه الأسماء المختلف على مكانتها اقترح بأنه بقية أحد رؤساء الملائكة في التيارات المختلفة إن ضمن اليهوديّة أو المسيحيّة.

بمرور القرون، راح الناس يصفون وظائف الملائكة بطرق مختلفة. وتطوّر دور الملائكة ليحظى بتفاصيل هائلة في الأديان القائمة على الوحي – نقل أو إفشاء الحقيقة أو الإرادة الإلهيتين للكائنات البشريّة.

لا بدّ أن نلاحظ هنا أنّ أسماء الملائكة كلّها مستمدة من اسم الإله "إيل" في اليهوديّة، الذي غالباً ما يرد بصيغة الجمع، إيلوهيم؛ وهو إله غير أصيل عبرانيّاً. هذا يعني أن الملائكة غير ذات ترابط وثيق باسم الإله اليهودي القبلي، يهوه؛ كبعض أنبياء التوراة، يصحاك (إسحق)

مثلاً. لقد قلنا في مقالات عديدة أنّه كان ثمة تنافس بين الإلهين، الأصلي والمستورد، وجد أفضل صيغه في الصراع بين إسحق (يصحاك: يهوه يضحك) وإسمعيل (يشماعإيل: إيل يسمع)، حيث انتصر يهوه بوضوح على إيل. لكن التسوية لم تحصل إلا في زمن لاحق، وهو ما عبرت عنه الشخصيّة الأسطوريّة الأبرز في تاريخ الميثولوجيا اليهوديّة، أي، إيل ياهو [إيلياهو] النبي. والذي يعني اسمه حرفيّاً، إيل هو يهوه. إذن، الملائكة، كما يدلّ اسمها بوضوح، مفاهيم مستوردة أقحمت في اليهوديّة لأنه لا يعقل احتشاماً أن تظل العلاقة مباشرة بين الإله وأنبيائه.

يرى غالبيّة الباحثين اليوم، أنّ مفهوم الملائكة ورؤساء الملائكة ظهر أولاً في الديانة الزرادشتيّة. لكننا نعتقد أن المفهوم أقدم من ذلك، وكما أشرنا في القسم الأول من هذه الدراسة، كان لدى شعوب بلاد ما بين النهرين مفاهيمها للملائكة. وربما أنّ الكشوفات الأثريّة تدخلنا أعمق في التاريخ من الحقبة السومريّة. لكن ما بين أيدينا اليوم ينتهي عند السومريين، كنصوص مدوّنة. مع ذلك، نعتقد أن هذا التصنيف الهرمي المنظّم جاء فقط مع الزرادشتيّة، ومنها انتقل إلى اليهوديّة والمسيحية والإسلام. وكما أشرنا، تقول تعاليم الزرادشتيّة إن هنالك سبع قوى أو سلطات سماويّة، معروفة باسم الأميشا سبنتا، تعمل مع الله، أو تنبثق منه، لإدارة الكون. وجلّ الباحثين اليوم يرون أنّ هذه الفكرة تشرّبتها اليهوديّة أثناء السبي البابلي.

ليس ثمّة إشارة صريحة إلى رؤساء الملائكة في الأسفار القانونيّة في الكتاب المقدّس العبراني. مع ذلك، باستثناء أعمال متأخرة مثل دانيال، الإشارات إلى الملائكة غير شائعة. وأوّل إشارة إلى رؤساء الملائكة ترد في الأدب من فترة ما بين العهدين، كما في سفر عزرا الرابع 4:36. أما أول إشارة إلى سبعة رؤساء ملائكة فنجدها في سفر أخنوخ الأثيوبي (ترجمناه إلى العربيّة ولم ننشره)، حيث ترد قائمة السبعة كما يلي: ميكائيل، جبرائيل، رفائيل، أوريئل، راغوئيل، زراحيئل، ورميئل. من هنا جاءت الفكرة المقبولة اليوم على نطاق واسع في الدوائر الأكاديميّة الرصينة، بأن الاهتمام اليهودي بالملائكة تم تعلمه خلال حقبة السبي البابلي. يقول الحاخام شمعون بن لاقيش الطبراني (230 – 270م. تقريباً)، (وهو أمورا بارز للغاية) إن كل الأسماء الخاصة بالملائكة أحضرها اليهود معهم من بابل. في تقليد القبالة الربّاني، الرقم الذي يعطى لرؤساء الملائكة لا يقل عن سبعة عادة: اسم واحد جديد هنا، ساريئل. أحياناً نجد اسماً جديداً آخر هو حنيئل.

مختصر إجمالي:

نحاول في هذه الفقرة أن نختصر الأفكار الكثيرة الواردة في دراستنا هذه. لاشك أن مواضع التشابه بين الزرادشتيّة واليهوديّة، ومن ثم بين الأولى من جهة والمسيحيّة والإسلام من جهة أخرى، تبدو كثيرة وملفتة. فأهورا مزدا، إله إيران الأعلى، كلّي العلم، كلي الوجود، والخالد، المعطى قوّة الخلق، والتي يمارسها بشكل خاص عبر وساطة

سبنتا مانيو ("الروح القدس")، ويحكم الكون بوساطة الملائكة ورؤساء الملائكة، يمدّنا بأقرب مواز ليهوه، إله اليهود، ومن ثم الله، إله المسلمين، يمكن أن نجده في العالم القديم. لكنّ قوة أورموزد (أهورا مزدا) معاقة من قبل عدوّه، أهريمن، والذي ستدمّر سطوته مع نهاية العالم. الشيطان، بجيشه من الملائكة الساقطين أو الأبالسة، يقدّم لنا الموازي الفعلي والحقيقيّ في اليهودية ـ المسيحيّة ـ الإسلام لأهريمن (أنغرا مانيو) الزرادشتي. بل يبدو لنا أحياناً أنّ قوّة الشيطان تتفوّق على قوّة يهوه ـ الله في ما يسمى بالديانات السماويّة ـ الإبراهيمية. هذا يعني، رغم زعم ما يسمى بالأديان السماوية ـ الإبراهيمية أنها توحيدية بالمطلق، أن الثنوية غير غائبة فيها عبر نقيض إله الخير، الشيطان، كما أشرنا سابقاً.

بقي أن نقول، إنه ربما ساعدت الثنويّة الإلهية في الزرادشتيّة علماء اليهود في التخلّي عن شكل وحدانيتهم الملتبس، إن عبر الـ Henotheism أو الـ monolatry ، من أجل الوصول إلى وحدانيّة تبدو مطلقة، لأن شيطانها يشوبها برائحة الثنويّة إياها.

ملائكة اليهودية ـ نصوص شائكة:

في سفر التكوين تطالعنا الآية الغريبة التالية، المنعزلة بالكامل عن سياقها النصي الطبيعي؛ ونحن هنا نحاول أن لا نكسر الترجمة من أجل أهداف نضعها نصب أعيننا مسبقاً، كما يفعل بعض اللاهوتيين المسيحيين، حين يترجمون العهد القديم (التاناخ): "واستحسن بنو إيلوهيم بنات آدم، فاتخذوا لهم نساء من جميع من اختاروا" (تك

6:2). וַיִּרְאוּ בְנֵי -הָאֱלֹהִים אֶת -בְּנוֹת הָאָדָם, כִּי טֹבֹת הֵנָּה; וַיִּקְחוּ לָהֶם נָשִׁים, מִכֹּל אֲשֶׁר בָּחָרוּ. والتي تعقبها آية أخرى من النوعيّة ذاتها؛ تقول: "دخل بنو إيلوهيم على بنات آدم، وولدن لهم: هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم" (تك 6:4): יְבֹאוּ בְנֵי הָאֱלֹהִים אֶל -בְּנוֹת הָאָדָם, וְיָלְדוּ לָהֶם: הַמָּה הַגִּבֹּרִים אֲשֶׁר מֵעוֹלָם, אַנְשֵׁי הַשֵּׁם. وحتى اليوم لم نجد اتفاقاً بين الباحثين واللاهوتيين على تفسير مناسب لهذين النصين. من تلك التفاسير واحد يرى أن مؤلّف هذا النص اعتمد كمصدر له هنا أسطورة شعبيّة عن الجبابرة הַגִּבֹּרִים (لهم بالعبرية تسمية أسطورية: نفيليم) يقال إنهم ولدوا من زواج بين كائنات بشريّة وكائنات سماويّة. لكن إليهوديّة المتأخرة والمسيحيّة ككل رأت في "بني إيلوهيم" ملائكة مذنبين، ساقطين.

مع ذلك، يتكرر مفهوم "بنو إيلوهيم" الغريب في أسفار تاناخيّة أخرى، غير سفر التكوين. ولقد حاولنا إحصاءها فجاءت كما يلي:

في سفر أيوب يقال: "واتفق يوماً أن دخل بنو إيلوهيم ليمثلوا أمام يهوه" (أي 1:6): וַיְהִי הַיּוֹם—וַיָּבֹאוּ בְנֵי הָאֱלֹהִים, לְהִתְיַצֵּב עַל יְהוָה؛ وفي آية أخرى من السفر ذاته، يقال: "ودخل الشيطان أيضاً بينهم ليمثل أمام يهوه" (أي 2:1): גַּם הַשָּׂטָן בְּתֹכָם, לְהִתְיַצֵּב עַל יְהוָה؛ في آية ثالثة تحمل المعنى ذاته؛ يقال: "وكل بني إيلوهيم يهتفون" (أي 38:7): וַיָּרִיעוּ, כָּל -בְּנֵי אֱלֹהִים.

في هوامش نص "دار المشرق" (1988) لترجمة هذا السفر، يقال إن الله يستقبل في أيام معينة كما يفعل الملك. عن بني الله (بني إيلوهيم)... يقصد بهم كائنات تفوق الإنسان كانت تشكّل بلاط الله ومجلسه. يطابق بينهم وبين الملائكة (في الترجمة السبعينيّة: "ملائكة الله"، راجع طوبيا 5:4).

في سفر المزامير الذي ينسب لداود، يقال أمور أخرى شبيهة: "قدموا ليهوه يا أبناء إيلوهيم" (مز 29:1): הָבוּ לַיהוָה, בְּנֵי אֵלִים؛ وفي آية أخرى، نقرأ: "إيلوهيم في جماعة إيل قائم في وسط إيلوهيم يقضي" (مز 82:1): אֱלֹהִים, נִצָּב בַּעֲדַת -אֵל؛ בְּקֶרֶב אֱלֹהִים יִשְׁפֹּט؛ وتقول آية ثالثة: "أو من بين أبناء إيلوهيم يماثل يهوه" (مز 89:7) דָּמָה לַיהוָה, בִּבְנֵי אֵלִים.

هنالك ثلاثة تفسيرات رئيسة للعبارات الواردة في النصوص السابقة، والتي تتحدّث، إذا ما أردنا الترجمة الحرفيّة، عن أبناء الآلهة.

(1): في سفر أيوب، يمكن أن عبارة "واتفق يوماً أن دخل بنو إيلوهيم ليمثلوا أمام يهوه" هي إشارة إلى الملائكة. لكننا لا نمتلك حتى الآن تفسيراً واضحاً حول سبب تسمية الملائكة بأبناء إيلوهيم. بالمقابل، ففي سفر التكوين، يمكن أن نتلمس من عبارة، "واستحسن بنو إيلوهيم بنات آدم، فاتخذوا لهم نساء من جميع من اختاروا"، أن" بنو إيلوهيم" متميزون عن "بني البشر"، وبالتالي فهم ليسوا من الجنس البشري. وهذا يتفق إلى حد ما مع استخدام العبارة إياها في سفر أيوب. لكن المعضلة هي في حديث مباضعة هذه الكائنات للنساء، وهو ما يعني أنه

لا بدّ أن كان لهم شكل مادي أو كانت لهم هيئات الرجال. وكما أشرنا في الحلقة الثالثة من هذه السلسلة، نجد أن تقليداً يهوديّاً قديماً محفوظاً في سفر أخنوخ (1: 6 – 7) يطوّر هذه الثورة الملائكيّة بل يسمّي رؤساء الحلقات.

(2) هنالك بعض من علماء الكتاب المقدّس، الذين يبحرون من منطلقات عقائديّة غير صحيحة "علميّاً" في تفسير عبارة "بنو إيلوهيم". فهم يرون أن هؤلاء هم أشخاص من سلالة شيث، الذي هو ابن آدم، في حين يرون أن "بنات آدم" هن من نسل قايين (قابيل). لكن الواقع أن النص ذاته، بغض النظر عن أن القصّة ميثولوجيّة صرفة كما هي حال كل سفر التكوين، يميّز بين "بني إيلوهيم" والبشر، الذين ينتمي إليهم دون شك الشيثيّون والقينيّون على حدّ سواء، إضافة إلى أنه لا يوجد ما يشير إلى أن بنات آدم كن من بنات قايين.

(3) هنالك رأي شائع بين بعض علماء الكتاب المقدّس، لا تنقصه الميثولوجيّة الغريبة، يقول إن "بني إيلوهيم" هم مجموعة من العمالقة الأقوياء، الذين مسّهم الشيطان، والذين يصوّرون أنفسهم بأنهم آلهة، ويتبعون أمثولة لامك (أنظر: تك 4: 19). لكن استخدام عبارة "بني إيلوهيم" في أيوب تعمل ضد هذا الرأي. هذا إن كان له أساس واقعي أصلاً، رغم أنه يصادفنا في كثير من تفاسير الكتاب المقدّس، التي لا تكاد تخلو صفحة منها من بقايا ميثولوجيّات واضحة، مهما ادعت العكس.

عودة إلى ملائكة التكوين:

النصوص الشائكة التي توقفنا عندها آنفاً، كان الهدف منها إظهار مدى ميثولوجيّة العقل اليهودي حتى مراحل متأخرة من تدوين التاناخ (سفر أيوب يعود إلى الجيل الثاني بعد السبي كما يُفترض)، إضافة إلى نفي الفكرة التي روّج لها بعض علماء الكتاب المقدّس، خاصة المسيحيين منهم، من أن عبارة بني إيلوهيم تعني الملائكة- غالباً ما تترجم هكذا على نحو خاطئ قصداً إلى اللغات الأخرى -؛ من أجل تلطيف التعددية الإلهية في التاناخ. دون أن ننسى أن للملائكة تسميّة واضحة للغاية في العبريّة، هي מלאכים (ملاخيم). وهنا نحاول التوقف النقدي عند مفهوم "الملاك" بصيغته العليّة في التاناخ.

أول مرة يصادفنا فيها المصطلح "ملاك" ـ يضاف إليه" "الربّ" ـ هي في سفر التكوين، في الحديث عن هاجر وهربها من سارة زوج إبراهيم: "فوجدها ملاك الرب عند عين ماء في البرية، على العين التي في طريق شور؛ وقال: يا هاجر جارية ساراي؛ من أين أتيت وإلى أين تذهبين؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي؛ فقال لها ملاك الربّ: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها؛ وقال لها ملاك الربّ: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة؛ وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابنا و تدعين اسمه إسماعيل [إيل يسمع] لأن الربّ قد سمع لمذلتك؛ وأنه يكون حماراً وحشيا بشريّاً، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع أخوته يسكن؛ فدعت الربّ

الذي تكلم معها أنت إيل رئي ؛ لأنها قالت: أههنا أيضا رأيت بعد رؤية ؛ لذلك دعيت البئر بئر الحي رئي، ها هي بين قادش وبارد" (16: 7 — 14).

النص السابق هام للغاية في مسألة تاريخ الملائكة في اليهوديّة وعلاقته بمثيله الزرادشتي. فكما رأينا في الأميشا سبنتا وعلاقتها بأهورا مزدا، ليس ملاك الربّ هنا، ولا في أمثلة أخرى من النصوص التاناخية القديمة (تك 22: 11 ؛ خر 3: 2 ؛ قض 2: 1 ؛ ...) ملاكاً مخلوقاً يختلف عن الإله ذاته (خر 23: 20)، بل هو الله نفسه بالشكل المنظور الذي يظهر فيه للبشر. والمطابقة بينهما واضحة في الآية 13 من النص السابق. تقول الآية بنصها العبري: וַתִּקְרָא שֵׁם -יְהוָה הַדֹּבֵר אֵלֶיהָ, אַתָּה אֵל רָאִי: כִּי אָמְרָה, הֲגַם הֲלֹם רָאִיתִי— אַחֲרֵי רֹאִי. الكلمات الأهم في النص ؛ هي: אַתָּה אֵל רָאִי (أنت إيل" الله" الذي يرى). الملاحظة الثانية الهامة هنا هي أن الإله الذي تسمّي الملاك هاجر باسمه هو إيل، رغم أن النص يهوي ؛ والولد الذي ستلده سيكون اسمه يشماعإيل ؛ وهو مشتق من الاسم ذاته.

يمكن أن نحكي هنا عن تفسير آخر لتعبير ملاك الرب، ذي منشأ لغوي أساساً. ففي سفر التكوين، تك 24: 7، يقال إن الرب (يهوه)، إله אלהי السماء (بالعبريّة: شَمايم)، ... يرسل ملاكه (يبدو أن اللفظ هنا بالمفرد). إذا أخذنا بعين الاعتبار الأحرف الأساسيّة ل ا خ التي تتضمنها اللفظة ملاك في 19: 1 و24: 7 ؛ يمكننا قول التالي: لاخ

العبرانيّة يمكن مقارنتها مع الحيّتين السومريتين، لَخمو ولَخَم: ففي رواية الخلق السومريّة الموجودة على الرُقُم 1، يمثّل مشهد الافتتاح عصراً بدئياً حيث لا تتواجد غير مادة حيّة لعالم غير مخلوق، مشخّصة في كائنين ميثولوجيين - أبسو (ذكر)، الذي يمثّل البحر البدئي للمياه العذبة، وتيامات (أنثى)، التي تمثّل البحر البدئي للمياه المالحة. كان هذان والدي الآلهة. أنجب أبسو وتيامات الإلهين لَخمو ولَخَمو. أنشار (الإله السومري للعالم السماوي الذي ولد من الحيتين، لخمو ولَخَمو)، كمبدأ للذكورة والسماء، كان والد أنو. وحيث أن أنشار ضاجع أخته كيشار (أم أنو، التي أصبحت مبدأ الأنوثة والأرض)، فقد أنتجا الآلهة الكبيرة. نظّم أنشار الالهة في قتالها ضد تيامات لكنه هو ذاته لم يقاتل.

بعودة الآن إلى النص في الخروج، الذي ذكرناه من قبل، "فتراءى له ملاك الرب من وسط عليقة... فناداه الله من وسط العليقة" (3: 2، 4)، يبدو واضحاً الخلط هنا أيضاً بين الله ملاكه.

يظهر الملائكة من جديد في التكوين، في قصة إبراهيم ولوط. في البداية يظهر الرب ذاته لإبراهيم، يرافقه رجلان: " وتراءى الربّ له عند بلوطات ممرا، وهو جالس بباب الخيمة... فرفع عينيه ونظر، فإذا ثلاثة رجال واقفون بالقرب منه... وانصرف الرجلان من هناك واتجهوا إلى سدوم " (تك 18: 1 – 2؛ 22). في الإصحاح 19 من السفر ذاته، نقرأ: "فجاء الملاكان إلى سدوم مساء، وكان لوط جالساً في باب سدوم. فلما رآهما لوط، قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى

الأرض. وقال: يا سيديّ، ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما، ثم تبكران وتذهبان في طريقكما. فقالا: لا، بل في الساحة نبيت. فألح عليهما جداً، فمالا إليه، ودخلا بيته، فصنع لهما ضيافة وخبز فطيراً؛ فأكلا" (تك 19: 1 -3). الملاكان שני המלאכים (في صيغة الجمع بالعبريّة ـ لا يوجد فيها مثنى ـ، وربما أن معناها شعب لاخيم (هاعام لاخيم)، لكن كما يقال في السيفيرا العشرة في القبالة، الأرجح أنهم ملخيم (ملوك)، واحد من منظومة الملائكة، الذين أرسلوا إلى سدوم).

تقص علينا هذه الرواية، في تحريرها النهائي، ظهوراً للربّ (الآيات 1 و 10 و 13 و 22) يرافقه رجلان، هما ملاكان بحسب 19: 1. إذن، الملاكان اللذان نجدهما في 19: 1 هما الرجلان اللذان فارقا الربّ في 18: 22، وهما يسميّان بالرجلين، كما في نص إبراهيم، باستثناء الآية 15؛ حيث يقال: "ألح الملكان على لوط". في نص لوط، لا يتدخل الربّ شخصياً بل يوكل مهمّة تدمير سدوم للملائكة. لا بدّ أن نذكّر هنا بأسطورة قديمة عن تدمير سدوم يقوم بها ثلاثة آلهة، حولّهم الكاتب اليهوي إلى إله وملاكين، وضمّ الأسطورة إلى سياق أسطورة إبراهيم المطوّلة.

في الآية من تك 19: 5؛ يقال: فنادوا لوطاً وقالوا له: أين الرجلان האנשים (إينوشيم، التي يبدو أنها صيغة جمع عبرانيّة للمفردة إينوش، من الجذر العبراني أناش، الذي يعني، أن يكون

هشّاً ؛ وهكذا فالمعنى ربما هو قابل للموت ، والذي يختلف عن الصيغة العبرانيّة الأكثر رفعة ، آدم ، التي تعني ، كائناً بشريّاً ، وإن كان المعنى غير مؤكّد ، حيث أن لوط ذاته يدعوهما سيدي في تك 19 : 2) اللذان قدما إليك ، أخرجهما لكي نعرفهما ـ بمعنى المضاجعة هنا.ـ

في نص ثالث من التكوين يمكن اعتباره تكملة للنص في الإصحاح 16 ؛ يقال : "فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء ؛ وقال : لها ما لك يا هاجر !لا تخافي! لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو" (21 : 17). وهنا نجد للمرّة الأولى ربما تمييزاً واضحاً بين شخص الله وشخص ملاك الله.

يتكرّر هذا التمييز في الإصحاح 22 من التكوين ، الذي يتحدّث عن أسطورة افتداء أبكار إسرائيل : "فناداه ملاك الرب من السماء ؛ وقال : إبراهيم ! إبراهيمّ فقال : هاءنذا !... ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء. وقال بذاتي أقسمت ، يقول الرب ، أني من اجل انك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه " (الآيات 11 ، 15 -17). ثم يؤكّد في حديث إبراهيم لابنه إسحق : " الرب اله السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي ، والذي كلمني والذي أقسم لي ؛ قائلاً : لنسلك أعطي هذه الأرض! هو يرسل ملاكه أمامك فتأخذ زوجة لابني من هناك " (24 : 7).

في بركات يعقوب لأولاده، يظهر تعبير الملاك أيضاً: "الملاك الذي خلصني من كل شر، يبارك الغلامين، وليدع عليهما اسمي واسم أبوي إبراهيم واسحق، وليكثرا كثيراً في الأرض" (48: 16).

يرد مصطلح" ملائكة" (بالجمع) في نص فائق الأهميّة، عملنا عليه من قبل في كتابنا المنشور حول الإسراء والمعراج، *حكايا الصعود*. ففي حديث عن حلم ليعقوب؛ يقال: " וַיַּחֲלֹם, וְהִנֵּה סֻלָּם מֻצָּב אַרְצָה, וְרֹאשׁוֹ, מַגִּיעַ הַשָּׁמָיְמָה; וְהִנֵּה מַלְאֲכֵי אֱלֹהִים, עֹלִים וְיֹרְדִים בּוֹ. וְהִנֵּה יְהוָה נִצָּב עָלָיו " "ورأى حلماً، فإذا سلّم منتصب على الأرض ورأسه يلامس السماء. وإذا ملائكة إيلوهيم صاعدون نازلون عليه. وإذا يهوه واقف بالقرب من يعقوب" (28: 12 -13).

في هذا النص الهام الذي يلتقي فيه تقليدان، يهوي وإيلوهيمي، نجد فكرتين هامتين: الأولى حلم السلم المودي إلى السماء، وهي التي نشأت في بلاد ما بين النهرين والتي رمت إليها الأبراج الطابقيّة؛ والثانية حشد الملائكة الذين يربطون السماء بالأرض، أو موطن أهورا مزدا بموطن البشر. مع ذلك، فإن فيلسوفاً يهوديّاً كتابيّاً بارزاً مثل فيلون، يرفض في تفاسيره الأربعة لسلّم يعقوب أن يكون المقصود بالملائكة الملائكة بالفعل .وأهم ما في تفاسيره اعتباره أن المعني بالملائكة هنا هو الأنفس البشريّة الصاعدة من الأجساد أو النازلة إليها، أي الاعتراف الصريح بمفهوم التقمص. راجع عمله: *De somniis*!

أخيراً، نطالع التعبير ذاته في الإصحاح 32: וַיַּעֲקֹב, הָלַךְ לְדַרְכּוֹ; וַיִּפְגְּעוּ -בוֹ, מַלְאֲכֵי אֱלֹהִים. וַיֹּאמֶר יַעֲקֹב כַּאֲשֶׁר רָאָם, מַחֲנֵה אֱלֹהִים זֶה; וַיִּקְרָא שֵׁם -הַמָּקוֹם הַהוּא, מַחֲנָיִם: ومضى يعقوب في طريقه فواجهته ملائكة إيلوهيم. فقال يعقوب لما رآهم: هذا جيش إيلوهيم؛ وسمّى ذلك المكان محنائيم". (2 -3).

إذا ما وضعنا النصين السابقين، الأول بجانب الثاني، يمكن أن نصل بسهولة إلى الاستنتاج القائل، إن ملائكة اليهوديّة صاروا هنا نسخة طبق الأصل ربما عن مثلائهم في الزرادشتيّة. فجيش إيلوهيم من تلك الكائنات الروحانيّة المسماة بالملائكة، لا يشبه غير يازاتات أهورا مزدا، قلباً وقالباً.

ملائكة التاناخ: بانوراما أخيرة:

ملاك: بالعبريّة، "مَلاك، مَلاوك"، من جذر غير مستعمل، بمعنى، يبعث أو يرسل. في غير مرجع وجدنا أن أصل الكلمة هو الجذر الأوغاريتي (لاك)، بمعنى" يرسل". ملاك، إذن، تعني رسولاً أو مبعوثاً (يمكن أن تعني أيضاً: نبيّاً، كاهناً، أو معلّماً). وبمرور الوقت صار للمفردة معنى أكثر نوعيّة، أي، المرسل من قبل الله.

يستخدم التاناخ المصطلح ملاك مضافاً إليه أحياناً أحد أسماء الإله: مثلاً، מלאך אלהים، ملاخ إيلوهيم، מלאך יהוה، ملاخ يهوه. وكا أشرنا من قبل، يعتبر بعض الباحثين أن تعبير בני אלוהים، بني إيلوهيم، يمكن تفسيره بالملائكة. مثله أيضاً: הקדושים،

هاقدوشـيم، أو المقدّسـون؛ העליונים، هـاعلونيم، أو الأعلـون. جبرائيل גבריאל هو أبرز ملائكة الديانات الثلاث ربما، وهو اسم آرامي. إن أهم ما في الميثة "جبرائيل" هو أصل التسمية الآرامي. فهذا الملاك، الذي ظهر للمرة الأولى في سفر دانيال، المكتوب في حقبة معاصرة للسبي البابلي؛ الأمر الذي يعني أن المفهوم غير عبراني أصيل؛ وأنه مستورد، ربما من أكثر من مصدر.

لقد عملنا على مدى فصول كي نثبت، بتوثيق شديد، أن معظم مفاهيم الملائكة في اليهوديّة مستمدّة من الديانة العظيمة، الزرادشتيّة، التي نريد إخراجها من عالم النسيان الظالم، إلى عالم الشمس الصحّي. مع قناعتنا المطلقة أن الزرادشتيّة، أخذت بدورها الكثير من ديانة عظيمة أخرى، هي الهندوسيّة. الأمر الذي يعني، برأينا، أن ثمة ثقافة مشتركة كانت تتنقّل ببطء من الهند إلى بلاد ما بين النهرين، ومن جزيرة العرب إلى اليونان وأوروبا عموماً.

بالمقابل، فإن إشارات كثيرة توحي بأن اليهوديّة ـ والزرادشتيّة أيضاً ـ نهلت في موضوعة الملائكة الكثير من ديانات بلاد ما بين النهرين.

كما سبق وأشرنا، ملاك מלאך (صيغة المفرد) الوارد في سفر التكوين (9:16)، هو رسول الرب يهوه ذاته، وقد انتحل شكلاً مرئيّاً. وإضافة إلى ما ذكرناه من وجود لهذا الكائن في التكوين (16: 7 – 14؛ 31: 11، 13)، والخروج (3: 2)، هنالك ذكر له أيضاً في

سفر العدد (22: 22 -35)، في أسطورة أتان بلعام التي كانت تجيد النطق؛ في سفر القضاة (6: 11 – 23)، في قصة جدعون والمدينيين، حيث نجد من جديد عدم التمييز بين ملاك الرب والرب ذاته. كذلك في قصّة زوجة منوح العاقر وولادة شمشون من السفر ذاته (13: 2 – 25)، حيث نفقد من جديد التمييز بين ملاك الرب والرب ذاته (الآية 22 حصراً). وفي سفر الملوك الأوّل، (19: 5 – 7)، في قصّة إيلياهو النبي وهروبه إلى بريّة دمشق: هنا أيضاً يختلط الأمر علينا، بين ملاك الرب والرب ذاته (أنظر 19: 15). أخيراً، في سفر أخبار الأيام الأوّل، نجد ملاك الرب من جديد في قصّة داود وتدمير القدس. وهنا أيضاً تضيع الحدود بين الرب وملاكه (21: 15 – 30). تفسير جدير بالملاحظة هنا، حيث أشار بعض علماء الكتاب المقدّس، أن ملاك الرب أو الملاك عموماً لم يكن يعتبر كائناً مستقلاً؛ بل هو ببساطة إظهار لقوة الإله وإرادته.

في انتقال إلى الحديث عن الملائكة بلغة الجمع، يطالعنا ميخا في رؤيا يصف فيها الرب جالساً على عرشه، وجنود السماء واقفون إلى يمينه وشماله (1 مل 22: 19؛ 2 أخ 18: 18). لكن عبارة "جنود السماء"، التي تذكرنا بجنود أهورا مزدا، تعني في مواضع كثيرة "الأجرام السماويّة" (تث 4: 19؛ إر 8: 2). يرى إشعيا الإله جالساً على العرش والسرافيم تعلن مجده وعظمته. وهكذا، حين يقدّم أحد السرافيم إشعياء بفعل رمزي، بعكس ميخا، يصبح ليس شاهداً بل

مشارك في التداول اللاحق للمجلس[1] (قارن زك 3 : 7) ؛ وحين نادى الرب، كما في رؤيا ميخا: من يتطوّع (مثل إيل في مجمع الآلهة في ملحمة كريت الأوغاريتيّة)؟ يستجيب إشعياء.

في المزامير القديمة التي تتحدّث عن الكون (89 : 1 – 3، 6، 19)، تحمد مجموعة من الكائنات المقدّسة الربّ على خيره، لأنه، كما يقول كاتب المزمور، أكبر منهم بما لا يقارن. فهم واقفون يتملكهم الخوف منه (89 : 6 -9) ؛ والمقولة الأخيرة يؤكّد عليها مؤلّفان قديمان (خر 15 : 11 ؛ مز 29). لكن ليس من غير المحتمل أن تكون هذه المقولة قد ظهرت في زمن لم يُعرف فيه الرأي القائل إن "مجموعة الكائنات المقدّسة" أو "شركة الكائنات الإلهيّة " (مز 29 : 7)، ليست بانثيون آلهة فعليّة. وهذا ما فعله دون شك مؤلّف التقليد الذي يصوّر تلك الكائنات باعتبارها تقف أمام الله، الذي نجده جالساً وحده (1 مل 22 : 19 ؛ إش 6 : 2 ؛ زك 3 : 1 -7 ؛ أي 1 : 6 ؛ 2 : 1). في إشعياء، الاستثناء وحده يؤكّد القاعدة: فالمتحدّث هنا وثن.

(1) هذا يذكّرنا بالميثة القرآنية حول مجلس اجتماع الله بالملائكة في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

ثمة مقطع هام من التثنية، والذي يقول: "حين أورث العلي الأمم، ووزع بني آدم، وضع حدود الشعوب، على عدد بني الله (النص في مخطوطة قمران للتثنية בני אל (بني إيل)؛ الأمر الذي يتفق مع النسخة السبعينيّة). لكن نصيب الرب شعبه، ويعقوب حصّة ميراثه" (32: 8 -9). النص الماسورتي الذي يقول בני ישראל (بني يسرائيل)، عوضاً عن القراءة القمرانيّة والنص السبعيني، هو دمج للقراءة الماسورتيّة مع غيرها، أي שרי אל، بمعنى رسول إيل. هذه "الغيرها" غير قابلة لأن تبرهن مباشرة، لكن وجودها قابل لأن يتقصّى من حقيقة أنها سوف تفسّر هكذا بسبب كل من القراءة الماسورتيّة لنص تث 328:، ولاستخدام رئيس שרי في دان 10: 20 مرتين، وفي 21: 10 و2: 1 مرة واحدة. ولأن هذه المقاطع لا تعتبر غير تطوير جزئي للنص من التثنية آنف الذكر، يمكن أن نعتبر أن المبدأ الرئيس هنا هو أن قدر الأمم تحدده المعارك بين من يمثلها من رؤساء سماويين، وأن الرئيس المعيّن بإسرائيل هو ميخائيل (معناه: من كالله)، ويعاونه ملاك آخر، هو جبرائيل[1].

وإذا ما أغفلنا الماسورتيّة قليلاً لنقطف من هوامش النص السبعيني، يمكن أن نجد التعليق التالي على الآية إياها من الترجمة العربيّة لليونانيّة السبعينيّة: "بنو الله ـ بدل بنو إسرائيل الماسورتيّة ـ هم

(1) النص الماسورتي الذي عملنا عليه موجود مع ترجمة إنكليزيّة على موقع http://www.mechon-mamre.org.

الملائكة، من البلاط السماوي. أما هنا [في نص التثنية] فهم الملائكة الحرّاس للأمم. لكن الله خص بنفسه إسرائيل شعبه المختار."

عدا حزقيال ودانيال، لا يكاد يقول الأنبياء شيئاً عن الملائكة. ومن المهم أن نلاحظ هنا، أنه في كل نبوءات ما قبل السبي، لا يذكر الملائكة إلا في مقطعين من أسفار الأنبياء .(نحن هنا نعتمد التقسيم اليهودي للتاناخ). الأول هو في هوشع (12 : 4 – 6 ، 13، 14)، حيث يقال في نقد لاذع ليعقوب: "وفي رجولته صارع الله. صارع ملاكاً وغلبه...، هرب يعقوب إلى حقل آرام، وخدم إسرائيل لأجل امرأة. ولأجل امرأة رعى القطيع. وعن يد نبي، أصعد الرب إسرائيل من مصر". وربما المقصود بالانتقاد هنا مسألة عبادة الملائكة (أو الآلهة) في بيت إيل في التكوين (31: 11 -12). الثاني هو رؤيا إشعيا الأولى (6:1)، التي يأخذ فيها السرافيم الدور الرئيس. والسرافيم (الناريّون) هم صور بشريّة لها ستة أجنحة، تذكّرنا بالكائنات الخفيّة التي تحمل مركبة الرب في حزقيال.

في حقبة السبي، لا يذكر إشعياء الثاني الملائكة. عبارة מַלְאַךְ פָּנָיו (ملاك حضوره) غير موجودة في السبعينيّة، وربما هذه هي القراءة الأصح، لكنها موجودة في الماسورتيّة: يقال في السبعينية حضوره فقط.

هام جداً ما يقوله حجّاي عن ذاته في بداية السفر الذي يحمل اسمه: "וַיֹּאמֶר חַגַּי מַלְאַךְ יְהוָה, בְּמַלְאֲכוּת יְהוָה: وتكلم حجاي، ملاك يهوه، بحسب رسالة يهوه" (1 : 13). المغزى من النص

هنا هو أن الملاك، رسول الله للإنسان، نبي، وليس كائناً يفوق الطبيعة. وموقف ملاخي من مسألة الملائكة غير واضح. اسمه يعني "ملاكي". وقد يكون اسماً مستعاراً.

في الرؤى المنسوبة لحزقيال، يجلس الحضور الإلهي على عرش ترفعه أربعة كائنات متخيّلة، تدعى في الإصحاح 1 חיות (حيوانات حية أو وحوش)؛ لكننا نجد اسمها في الإصحاحات 8 – 11، הכרבים (كروبيم). في الإصحاح التاسع، يناط بستة من الرجال المسلحين مهمة تدمير الهيكل؛ في حين أن "رجل لابس كتاناً، على وسطه دواة كاتب" (9:2)، يضع علامة على جباه الخيار لأجل إنقاذهم (المسيحيون يترجمون العلامة بالصليب). ثم يأخذ فحماً مشتعلاً من النار من بين الكروبيم، لاستعماله في إحراق المدينة (10:1). في رؤيا الهيكل المعاد -بناؤه، يقود النبي رجل" منظره كمنظر النحاس" (40:3)، يقيس الساحات والأبنية المختلفة ويفسّر وظائفها: فهل الرجل ملاك؟

الملائكة حاضرة على نحو شبه مستمر في زكريّا. والسفر يتشكّل إلى حد كبير من رؤى رمزيّة، يفسّرها للنبي، "الملاك الذي تحدّث معي" (1:9؛ 14؛ 72-1 :؛ 4: 1 -5؛ 5:5 -10؛ 6: 4 -5). في سفر زكريّا يظهر ملاك الرب مرات عديدة: فهو يتدخّل مع الله لمصلحة إسرائيل (1: 12 -13)، ويشرف على إصلاح يشوع [يمثّل هنا الشعب اليهودي] ويزجر الشيطان بسبب اتهامه يشوع (3:1). يقال إن عدداً من ملائكة آخرين يقفون بجانب زكريّا؛ كما يطلق اسم "رجل

راكب على فرس أحمر"، ـ هذا يذكرنا للغاية بالتراث الإسلاميّ ـ على الكائن الملاكي (1 : 8 ؛ 2 : 5). بالمقابل، فالمرأتان اللتان تحملان جناحي لقلق (5 : 9) لا يعتقد أنهما ملاكان بل شخصان رمزيان. أهمية سفر زكريا بالنسبة لمقولة الملائكة هو أنها تظهر هنا للمرة الأولى وكأنها تحرز حياة مستقلّة.

يحكي سفر دانيال (7 : 10) عن الخدم الذين لا حصر لهم حول العرش الإلهي ؛ كما يذكر أن ملاكاً أنقذ الرجال الثلاثة من أتون النار المتقدة (3 : 25، 28)، ودانيال من الأسود (6 : 23). أحيانا يدعى الملاك هنا رجلاً، أو يوصف كرجل يرتدي الكتان (15 : 5 ؛ 12 : 7). ثمة موازيات قويّة هنا مع النصوص القيامية (الأبوكاليبتيّة) غير التاناخيّة، ونستشف فيها ملامح جديدة كليّاً للملائكة. فوحي دانيال كان إما رؤى رمزيّة يفسّرها ملاك (7، 8)، أو أن الملاك يوحي له بالمسألة برمتها (10 -12) .لكن دانيال، بعكس زكريّا، لا يتلقى من الإله أية نبوءة بشكل مباشر. في دانيال، لا تنفّذ الملائكة الأوامر فقط، بل " هذا أمر أصدره الساهرون، وقرار أمره القدّيسون" (14:4) .

وللمرة الأولى نجد للملائكة هنا أسماء علم خاصة بهم: جبرائيل (8 : 16 ؛ 9 : 21)، وميكائيل (10 : 3 ؛ 12 : 1). كذلك نصادف هنا للمرة الأولى فكرة الملاك الشفيع لكل أمة، والذي ترتبط أفعاله ومصائره بأفعال ومصائر الأمة التي هو شفيعها. هنالك شفيع لفارس واليونان (10 : 13)، مثلما أن ميكائيل هو شفيع إسرائيل (12 : 1). كلمة أخيرة:

في اعتقادنا أن زرادشت ـ لا نقصد بذلك شخصاً بعينه بل الجماعة التي أخذت اسم الرجل ـ أخذ عن الهندوسيّة آلهتها الكثيرة التي لا حصر لها، وأخذ عن شعوب بلاد ما بين النهرين مفهوم الملائكة. الفكرة الأهم التي جاء بها الفرس هي الثنويّة، أي، إله الخير وإله الشر. إذ لا يصح أن تترك السماء مفتوحة لتعددية الآلهة لأن ذلك يمكن أن يعني انقسام الشعب، ضمن أمور كثيرة أخرى. أخذ زرادشت إلهاً بعينه وجعله إله خير، وأحال بقيّة الآلهة إلى ملائكة بعد أن جعلها مراتباً. ثم وضع نداً لإله الخير هو أهريمان أو أنغرا مانيو، وأحال ما تبقى في خزانته من آلهة إلى جيش من الملائكة الساقطين، أو الأبالسة، أتباعاً لإله الشر. وسيظل الصراع بين الطرفين قائماً حتى ينتصر الخير على الشر. هذه الفكرة، بتحويرات ظرفيّة معينة، وجدت طريقها إلى اليهوديّة حين تمّ إلغاء الآلهة القديمة كلها لصالح إله أوحد هو يهوه، وكان إله الشر النقيض ليهوه هو الشيطان. وكما كان لأهورا مزدا الأميشا سبنتا وباقي طبقات الملائكة، ولأنغرا مانيو جيش الأبالسة، كان ليهوه رؤساء الملائكة والملائكة العاديون والملائكة الحرس الآخرون، وكان للشيطان ملائكته الساقطون. محمد، بالمقابل، ألغى بخطوة سريعة الآلهة الكثيرة الأخرى (إله أوحد لشعب أوحد) لصالح إله أوحد هو الله، وحصر الشر بشيطان أوحد، نقيض لله، يبدو لنا انه أقوى منه. وكعادته، أخذ عن اليهوديّة هنا أيضاً ملائكتها وأبالستها، دون أن يجهد نفسه حتى في ترجمة الأسماء العبرانيّة إلى العربيّة، كما فعل اليهود حين أقحموا الملائكة والأبالسة في ديانتهم.

قلنا في كتابنا الممنوع، مراثي اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، إن فكرة الإله الأوحد ألد أعداء الديمقراطيّة. لذلك كانت تلك الأديان قمعية " بلا منازع "؛ وكانت حضارات الشرق التي قامت أساساً على أديان الشرق قمعيّة "بلا منازع "؛ في حين حافظت أثينا على آلهتها الجميلة الكثيرة، وكانت بالتالي ثقافة الغرب تعدديّة، ديمقراطيّة.

انتصر الإسلام انتصاراً حاسماً في القادسية عام 635 على جيوش يزدجرد الثالث، آخر الساسانيين. الإسلام، من حيث المبدأ، تساهل مع الدين القديم، لكن التحويلات للزرادشتيين بالإقناع أو القوة كانت هائلة في العديد من المحافظات. حرضت الزرادشتية على التمرد فجلبت الاضطهاد على نفسها. كانت هناك جيوب بقيت متمسكة بالديانة القديمة، لاسيما في فارس، المركز القديم للإمبراطوريتين الاخمينية والساسانية. تم إنتاج كتب لإنقاذ أساسيات الدين من كارثة مهددة. لكن وقعت الكارثة، وإن كنّا لا نعرف بالضبط لماذا وكيف. الزرادشتيون، الذين يطلق عليهم الاسم غابارين من قبل المسلمين، استمروا في الوجود في إيران كأقلية مضطهدة في جيوب صغيرة في يزد وكرمان. وهاجر كثيرون إلى الهند حيث يسمون اليوم بالبارسي (الفرس)، ومن الهند إلى العالم الأوسع.

مختصر تاريخ الملائكة:

من البدايات إلى العصر الحديث!

المصطلح ملاك، المشتق من اللاتينية المتأخرة angelus (تعني حرفياً، "مرسلاً")، المستعارة بدورها من اليونانية المتأخرة ἄγγελος أغيلوس، والتي تترجم من قبل غير الناطقين باليونانية باللفظ أنغيلوس ángelos. يرى الألسني الهولندي، ر. س. بي. بيكس[1]، أن أنغيلوس ذاتها يمكن أن تكون مستعارة من الشرق، مثل ἄγγαρος.

الكلمة اليونانية angelos، مرادفة للكلمة العبرية ملاخ מלאך mal'akh, جمعها ملاخيم: מלאכים al'akhim ، وهي تعني "مرسلاً" أيضاً. إن المعنى الحرفي للكلمة ملاك إنما يدلّ أكثر من ثم على الوظيفة أو الوضعية لمثل هذه الكائنات في تسلسل هرمي كوني وليس على دلالات الجوهر أو الطبيعة، والتي كانت بارزة في التقوى الشعبية، خاصة في الأديان الإبراهيمية. وبالتالي، فإن للملائكة أهميتهم في المقام الأول في ما يفعلونه أكثر مما هم يكونونه. أياً كان جوهرهم أو طبيعتهم الفطرية فهم يمتلكونهما من حيث علاقتهم بمصدرهم (الله، أو الكائن

(1) Beekes, R. S. P., *Etymological Dictionary of Greek*, Brill, 2009, p. 9..

النهائي). وبسبب علم الأيقونات الغربي (نظام رموز الصور) الخاص بالملائكة، فقد أضفي عليهم الهويات الأساسية التي تتجاوز في كثير من الأحيان علاقاتهم الوظيفية بالقدوس أو المقدس وعلاقاتهم الأدائية بالعالم المدنس. وبعبارة أخرى، فإن التقوى الشعبية، التي تتغذى على تمثيلات الملائكة الغرافيكية والرمزية، قد شكّلت إلى حد ما وضعية نصف إلهية أو حتى إلهية للشخصيات الملائكية. وعلى الرغم من أن مثل هذه الظهورات لا تُكرّس عادة مذهبياً أو لاهوتياً، إلا أن بعض الشخصيات الملائكية، مثل ميثرا (وهو إله فارسي، أصبح في الزرادشتية وسيطًا ملائكيًا بين السماء والأرض وهو يدين ويحفظ العالم المخلوق)، قد أحرز وضعية نصف إلهية أو إلهية عند طوائفه الخاصة.

إن الطبيعة الدقيقة للكائنات غير البشرية المذكورة في الكتاب المقدس ـ الملائكة ، أو الرسل ليست واضحة تمامًا، ويبدو أن أدوارهم سريعة الزوال. في الفترة اللاحقة للحقبة، ربما تحت التأثير الإيراني، وفي الأدب المتأخر الكتابي وما بعد الكتاب المقدس، تظهر هذه الكائنات كأفراد أكثر اكتمالاً وغالباً ما يكونون كأفراد يمكن التعرف عليهم بأسمائهم الشخصية. لقد أفسحت النظرة الكتابية غير المركزة الطريق أمام تسلسل هرمي من الموظفين الذين تصرفوا، في بعض الرؤى الأبوكاليبتية، كبيروقراطية سماوية حقيقية. وعلى الرغم من وجود توافق في الآراء بشأن وجودها، لم يكن هناك اتفاق يذكر حول دورها أو أهميتها. في بعض المدراشيم Midrashim ، يطلب الله

مشورتهم ؛ في مصادر أخرى، فإن الحاخامات يحثون اليهود على عدم إشراكهم بل على الاقتراب من الله مباشرة.

مثل الأشكال المضادّة من الشياطين، الملائكة لها وجود متبقٍ متجذر في طبقات مختلفة من التجربة اليهودية وتفسير الكون. في بعض الأحيان تكون فردية للغاية وتُحَقق بحدة ؛ في أحيان أخرى هم أكثر خيالية. اخترع القباليون Kabbalists باستمرار ملائكة جديدة وزودوها بشبكة معقدة لوجودها الكوني. لكن دورهم، حتى في فترات التركيز، كان هامشيًا، وكانوا خارج الحركات والمعاني العظيمة للفكر اليهودي.

خلال تاريخ الأديان، تواجدت أنواع ودرجات اعتقادات بمختلف الكائنات والقوى والمبادئ الروحية التي تتوسط بين العالم المقدس أو القدسي ـ أي، العالم المتسامي ـ والعالم الدنيوي للزمان والمكان، العلّة والمعلول. وعادة ما تسمى هذه الكائنات الروحية عندما ينظر إليها على أنها خيرة بالملائكة في الأديان الإبراهيمية ؛ وأولئك الذين يُنظر إليهم على أنهم "أشرار" يُطلق عليهم الاسم "شياطين". في الديانات الأخرى - الشرقية، القديمة، وغير المتعلمة - هذه الكائنات الوسيطة أقل حسماً في تصنيفها، لأنها قد تكون خيرة في بعض الظروف وشريرة في أخرى.

في الزرادشتية كان هناك اعتقاد بمجموعة الأميشا سبندا أو سبنتا amesha spendas ، أو الخالدون المقدسة أو الخيّرون، الذين كانوا سمات وظيفية أو كيانات لأهورا مزدا Ahura Mazdā، الرب الحكيم. أحد الأميشا سبنتا، وهو فوهو ماناه (العقل الخيّر)، كشف للنبي

الإيراني زرادشت (القرن السادس قبل الميلاد؟) عن الإله الحقيقي، طبيعته، وعن نوع من الميثاق الأخلاقي، الذي قد يقبله الإنسان ويطيعه أو يرفضه ويعصيه. وعلى نحو مماثل، بعد حوالي 1200 سنة، كشف الملاك جبريل (المرسل من الله) للنبي محمد (القرنان 6 - 7 م) عن القرآن (الكتاب الإسلامي المقدّس) وعن الإله الحقيقي (الله)، وحدانيته، والمتطلبات الأخلاقية والعبادية للإسلام. الصفات المستخدمة لوصف جبريل، رسول الله ـ "روح القداسة" و"الروح المخلصة" ـ مشابهة لتلك التي تطلق على الأميشا سبنتا الزرادشتية والأقنوم الثالث من الثالوث (الآب والابن والقدس الروح) في المسيحية. في هذه الديانات التوحيدية (على الرغم من أن الزرادشتية أصبحت ثنوية في وقت لاحق وفي اعتقادنا أن الإسلام واليهودية، رغم الزعم بالتوحيد، كما أشرنا من قبل، يبدو طابعهما الثنوي واضحاً للغاية) كما هو الحال في اليهودية، فإن الخصائص الوظيفية للملائكة يتم التعبير عنها بوضوح أكثر من خصائصها الأنطولوجية (أو طبيعة الكينونة) ـ عدا في الحالات الكثيرة التي يتم فيها طغيان التقوى والأسطورة الشعبيتين على الجوانب الوظيفية.

الديانات المختلفة، بما في ذلك الديانات غير المتعلمة، لديها معتقدات بالكائنات الوسيطة بين العوالم المقدسة والدنيوية، لكن الاعتقاد هو الأكثر تفصيلاً في الديانات الإبراهيمية والزرادشتية.

الشياطين:

تُشتق الكلمة الإنكليزية الحديثةdevil (شيطان أو شرير) من اللفظة الإنكليزية الوسيطة ديوفول dēofol، التي تمثّل بدورها استعارة ألمانية قديمة من اللفظة اللاتينية ديابولوس diabolus، وهذه بدورها أيضاً مستعارة من اليونانية ديابولوس διάβολος، "المفتري"، التي هي مشتقة من الفعل ديابالين διαβάλλειν، "يفتري"، المكون من ديا διά، "عبر، خلال"، وبالين βάλλειν، "يرشق".

دايمون Daemon هي المعادل اللاتيني لمصطلح دايمونδαίμων اليوناني، الذي يعني: "إله"، "مثل إله"، "قوة"، "قدر"، والذي كان يعني أصلاً إلهاً أدنى شأناً أو روحاً هادية. والكلمة مشتقة بدورها من دايمون daimon الهندو ـ أوروبية البدئية التي تعني "مزوّد، مقسّم" (الثروات أو الأقدار، من الفعل دا، الذي يعني "يقسم"). ربما نُظر إلى دايمون على أنه إله حافظ، وفق الباب δαίμωνفي معجم ليدل وسكوت اليوناني الإنكليزي.

يظهر المفهوم دايمون اليوناني على نحو ملحوظ في اعمال أفلاطون، حيث يصف الوحي الإلهي لسقراط.

إذن، يشتق المصطلح شيطان من الكلمة اليونانية daimōn، التي تعني "كائن خارق للطبيعة" أو "روح". وعلى الرغم من أنه يرتبط عادة بروح شريرة أو سيئة، فإن هذا المصطلح يعني في الأصل كائنًا روحانيًا يؤثر في شخصية الشخص. فعلى سبيل المثال، كان agathos daimōn

("روح خيّرة") طيباً في علاقته بالبشر. تحدّث الفيلسوف اليوناني سقراط، على سبيل المثال، عن الدايمون باعتباره روحًا ألهمته البحث عن الحقيقة والتحدث عنها. وراح المصطلح يطبّق بالتدريج على الأرواح الأدنى شأناً في عالم ما فوق الطبيعة والتي مارست ضغوطًا على الناس للقيام بأعمال غير مؤاتية لخيرهم. وقد تم ترجيح التفسير السائد لصالح الحقد وما ينطوي عليه من شر ومأساة وفساد.

في أديان الشعوب غير المتعلّمة، قد يُنظر إلى الكائنات الروحية على أنها إما خبيثة أو خيّرة وفقاً للظروف التي تواجه الفرد أو المجتمع. وبالتالي، فإن التصنيف المعتاد الذي يضع الشياطين بين الكائنات الحاقدة لا ينطبق بشكل كامل بالإشارة إلى هذه الأديان.

وكما أشرنا غير مرّة، إنّ مواقف الكائنات أو الكيانات الروحية التي ينظر إليها على أنها خيرة أو حاقدة، تُعكس مع مرور الوقت. وقد كان هذا هو الحال في الديانة الهندية الإيرانية القديمة، التي تطورت منها الديانة الزرادشتية القديمة والديانة الهندوسية القديمة كما تنعكس في الفيدات (ترانيم آرية قديمة). في الديانة الزرادشتية، كان ينظر إلى الديفاتdaevas على أنها كائنات حاقدة، لكن نظرائها، أي الديفات devas في الهندوسية القديمة، كانوا ينظر إليهم على أنهم آلهة. كانت أهورات الزرادشتية "أرباباً" خيرين، لكن نظراءهم في الهندوسية، الأسورات، حوّلوا إلى أرباب أشرار. وبطريقة مماثلة، أصبح الشيطان، المدعي العام بالنسبة للبشر في محكمة عدل الله في سفر

أيوب[1] من العهد القديم، العدو الرئيس للمسيح في المسيحية

(1) اي 1 -6: وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسَطِهِمْ. اي 1 -7: فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: "مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟" فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: "مِنَ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا". اي 1 -8: فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: "هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ". اي 1 -9: فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: "هَلْ مَجَّاناً يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ اي 1 -10: أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأَرْضِ! اي 1 -11: وَلَكِنِ ابْسِطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ". اي 1 -12: فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: "هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ وَإِنَّمَا إِلَيْهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ". ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ. اي 2 -1: وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسَطِهِمْ لِيَمْثُلَ أَمَامَ الرَّبِّ. اي 2 -2: فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: "مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟" فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: "مِنَ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا". اي 2 -3: فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: "هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ! رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لأُبْتَلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ". اي 2 -4: فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: "جِلْدٌ بِجِلْدٍ وَكُلُّ مَا لِلإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لأَجْلِ نَفْسِهِ. اي 2 -5: وَلَكِنِ ابْسِطِ الآنَ يَدَكَ وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ". اي 2 -6: فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: "هَا هُوَ فِي يَدِكَ وَلَكِنِ احْفَظْ نَفْسَهُ". اي 2 -7: فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ. اي 2 -8: فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ شَقْفَةً لِيَحُتَّكَ بِهَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي وَسَطِ الرَّمَادِ. اي 2 -9: فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: "أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ! جَدِّفْ عَلَى اللهِ وَمُتْ!"

اي 2 -10: فَقَالَ لَهَا: "تَتَكَلَّمِينَ كَلاَماً كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ! أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟" فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ.

والإنسان في الإسلام. وتشير العديد من التحولات المماثلة إلى أن الفروق الحادة بين الملائكة كخيرين والشياطين كخبثاء قد تكون مفرطة في التبسيط، مع ذلك قد تكون هذه التسميات مفيدة كمؤشرات للوظائف العامة لمثل هذه الكائنات الروحية.

أشكال سماوية وغير سماوية: علاقات المعتقدات بالملائكة والشياطين بالمنظورات للكون:

لأن الإنسان يهتم كثيراً بالحدود ــ أي، ما يجعله مختلفًا عن الكائنات الحية الأخرى، ما يجعل مجتمعه (وبالتالي عالمه) مختلفًا عن المجتمعات الأخرى (والعوالم الأخرى) ـ فإن نظرته إلى الكون أثرت في فهمه لما يسمى بالملائكة والشياطين. يمكن النظر إلى الكون على أنه أحادي، كما هو الحال في الهندوسية، حيث يعتبر الكون مقدسًا بالكامل أو مشاركًا في مبدأ إلهي فردي (براهمان أو الكائن ذاته). وقد يُنظر إلى الكون أيضًا على أنه ثنائي، كما هو الحال في الغنوصية (منظومة اعتقاد دينية باطنية ثنوية، يُنظر إليها غالبًا على أنها حركة هرطقة مسيحية، ازدهرت في العالم اليوناني -الروماني في القرنين الأول والثاني للميلاد)، حيث كان يُنظر إلى عالم المادة عموماً على أنه شرير وإلى عالم الروح على أنه خيّر. نظرة ثالثة للكون، وجدت عموماً في الديانات التوحيدية، أي، اليهودية، الزرادشتية، المسيحية، والإسلام، تركزت على الكون الثلاثي: السماوي، الأرضي، وما تحت الأرضي. وقد أثر هذا الرأي الثالث على مفاهيم الإنسان الغربي للملائكة والشياطين وكذلك على مفاهيمه العلمية والميتافيزيقية.

العلاقة مع وجهات نظر الكون الثلاثي

في عوالم الفكر الكتابيّة، الهلنستية (الثقافية اليونانية الرومانية)، والإسلامية، كان العالم الأرضي عالمًا كان فيه الإنسان محدودًا بعوامل الزمان والمكان والسبب والأثر. كان العالم السماوي، الذي يتألف عمومًا من سبع سموات أو مجالات تهيمن عليها الكواكب السبعة المعروفة وقتها، عالم الإلهية والروحية. وكان عالم ما تحت الأرض منطقة الفوضى والقوى الروحية للظلمة. في أعلى مستوى للعالم السماوي كان أقصى ما هو مقدّس أو قدسي: على سبيل المثال، يهوه، إله اليهودية، الذي كان اسمه مقدّساً إلى درجة أنه لا يجب لفظه؛ بيثوس Bythos، بداية غير معروفة خلف بدايات الغنوصية؛ الآب السماوي للمسيحية، المعروف من خلال لوغوسه (الكلمة الإلهية، أو العقل، يسوع المسيح)؛ والله، القوي، القدير، والعلي، إله الإسلام.

من أجل الكشف عن غرض الإنسان ومصيره ـ وهو أعلى كائن في العالم الأرضي ـ فإنّ المطلق في العالم السماوي مكّن الإنسان، وفقاً لهذه الآراء، من الوصول إلى معرفة من هو، ما هو أصله، وما هو مصيره، وذلك عبر رسل سماويين ـ ملائكة. كانت الرسالة، أو الوحي، تركز عادة على هوية مصدر الوحي ـ أي، الكائن المطلق ـ وعلى مصير الإنسان حسب ردة فعله. وبسبب صدع كوني في العالم السماوي قبل خلق العالم أو إعلان الوحي، تحاول الملائكة، معتمدة على علاقتها مع الخالق، خداع الإنسان بوحي زائف أو بكشف

الحقيقة حول طبيعة الإنسان الحقيقية (أو هويته)، أصله، وقدره. يجب أن نلاحظ أنّ الملائكة الذين حاولوا إفساد رسالة الكائن السماوي المطلق من أجل تشويش فهم الإنسان لوضع حدوده الحالية ككائن أرضي أو مصيره ككائن ما فوق أرضي ـ مع أنها لا تسمى دائمًا بالشياطين ـ هي خبيثة كوظيفة. وبين هؤلاء الملائكة الحاقدين نجد شيطان المسيحية واليهودية أو إبليس (شيطان) الإسلام، الذي هو، متنكراً بهيئة ثعبان في القصة التوراتية عن جنّة عدن ـ وفقا لتفسيرات لاحقة للقصة ـ حاول تعطيل فهم الإنسان لحدوده المخلوقة، أو قيوده. وقد فعل هذا من خلال إغراء الرجل كي يأكل من ثمرة شجرة معرفة الخير والشر حتى يصبح مثل الله (أو الكائنات الإلهية في المحكمة السماوية). في الزرادشتية ، حاول روح الشر (أنغرا مانيو، الذي صار اسمه لاحقاً أهريمان) ـ من خلال الأرواح التابعة له مثل الذهن الشرير، الكذب والغرور ـ خداع الإنسان الأرضي حتى يختار مصيراً كان ما تحت أرضي ـ عقاب في هوة الجحيم .

العلاقة بالآراء المتعلّقة بالكون الثلاثي:

في أعقاب ثورة كوبرنيكوس (1473 – 1543) التي تعود إلى القرن السادس عشر، حيث تم تغيير نظر الإنسان للكون بشكل جذري ـ أي لم يعد ينظر إلى الأرض كمركز للكون، بل بدلاً عن ذلك، فإنها مجرد كوكب في النظام الشمسي الذي يعتبر جزءًا صغيراً جدًا من مجرة في عالم يبدو أنه لا نهائي، لم تعد مفاهيم الملائكة والشياطين تبدو

ملائمة. وبدا أنّ الكون الثلاثي ـ السماء في الأعلى، الأرض في المنتصف، والجحيم تحت ـ مفارقة تاريخية.

مع ظهور علم النفس الغربي الحديث والدراسات النفسية في القرنين التاسع عشر والعشرين، فإن المبادئ الأساسية للاعتقاد بالملائكة والشياطين أخذت معانٍ جديدة. ووجد العديد من اللاهوتيين المسيحيين بعض مفاهيم التحليل النفسي مفيدة في إعادة تفسير المعاني الكامنة خلف المعتقدات البدائية والتقليدية في الملائكة والشياطين. فأعيد تشكيل الكون الثلاثي ميثولوجياً ضمن بنية ثلاثية للشخصية ـ الأنا العليا (اللوائح الاجتماعية التقييدية التي تمكن الإنسان من العيش ككيان اجتماعي)، والأنا (الجوانب الواعية للإنسان)، والهوية، أو الرغبة الجنسية libido ("مرجل رغبة عارم يغلي، رغبة تسعى إلى أن تنفجر من تحت عتبة الوعي"). وهكذا، يمكن إعادة تعريف الشياطين ـ وفقاً لإعادة التفسير هذه ـ على أنها إسقاطات للدوافع غير المنظمة عند الإنسان التي تجبره على التصرف فقط وفقًا لرغباته الأنانية، مع عدم مراعاة تأثيراتها على الأشخاص الآخرين. من وجهة نظر اجتماعية، يمكن تعريف الشياطين أيضًا بأنها القوى البيئية والوراثية التي تجعل الإنسان يتصرف ويفكر ويتحدث بطرق تتعارض مع رفاه نفسه ومجتمعه. لقد أكد الكاتب الفرنسي المعاصر، دينيس دي روجيمون (1906 – 1985)، في كتابه *حصّة الشيطان The Devil's Share*، أن الشيطان والقوى الشيطانية التي ابتلي بها العالم الحديث يمكن أن تكون موثقة بشكل جيد في عودة الإنسان الحديث إلى البربرية ولا إنسانية

الإنسان حيال الإنسان. في القرن الثاني الميلادي، أشار إقليمنضس السكندري، وهو لاهوتي فلسفي مسيحي، إلى التفسير النفسي للقوى الشيطانية بالقول إن الإنسان كان غالبًا ما يؤسر من دوافع الشهية الداخلية لشغفه ورغباته الجسدية. وهكذا استهلّت "الأسطورة" الفرويدية حول الشخصية الإنسانية وغيرها من الدراسات النفسية بعدًا جديدًا في دراسة الملائكة والشياطين. ومن ثم تم استبدال صور الإيقونات من القرون الوسطى، التي تصوّر الملائكة والشياطين وصفيًا كمخلوقات هجينة تتحدى في كثير من الأحيان حتى أكثر التصورات حيوية للأشخاص الذين صوّروهم، بالرمزية الأسطورية النفسية، التحليلية النفسية، والأسطورية الحديثة المرافقة للتفكير اللاهوتي.

العلاقة بالمنظورات الثنوية للكون:

في التقاليد الدينية التي نظرت إلى الكون بأسلوب ثنائي، مثل الغنوصية، كان يُعتقد أن الملائكة كائنات سماوية تتحكم في عوالم معينة تمر بها الروح حيث تحرر نفسها من أغلال وجودها المادي. كانت معرفة هؤلاء الملائكة وأسمائهم شرطًا ضروريًا لتحقيق الاتحاد في نهاية المطاف مع الواقع الروحي النهائي. وبين القوائم المختلفة للملائكة السبعة التي تحكم الكواكب السبعة نجد جبرائيل، أدوناي (الرب)، أرييل (أسد الله)، وغيرهم. كان ملاك خلق العالم من المادة، يهوه (الذي يطلق عليه أحيانًا اسم الديميورج Demiurge، الخالق)، شريراً، في المنظور الغنوصي، ليس فقط لأنه كان الخالق، بل لأنه

حاول أيضًا إبعاد البشر الروحيين عن معرفة أصلهم الحقيقي، طبيعتهم، ومصيرهم.

المانوية، وهي ديانة ثنوية تأسست في القرن الثالث الميلادي من قبل ماني، وهو نبي إيراني، قسمت العالم، مثل الغنوصية، إلى مجالين ـ الخير (النور) والشر (الظلمة). هذان المبدآن ممزوجان في عالم المادة، وهدف الخلاص هو فك تمازج المادة والروح بحيث يمكن للمرء أن يصل إلى حالة من الخير المطلق. الأعلى مرتبة في التسلسل الهرمي السماوي هم الأكاليل المنيرة لأبي العظمة والأيونات الإثني عشر، "البكر" ـ شخصيات ملائكية مقسمة إلى مجموعات من ثلاثة أفراد، تحيط بالكائن الأسمى في الأرباع الأربعة للسماوات. ولأن الشيطان، أمير الظلام، يرغب بمزايا مملكة النور، ففي معركة تالية بين القوى السماوية تختلط قوى النور والظلمة، ويتم خلق عالم المادة والروح. وغير مدرك لطبيعته الروحية ومغويًا باستمرار من قبل شياطين أمير الظلام، يُقاد الإنسان في النهاية إلى فهم طبيعته الحقيقية من خلال نشاط كائنات ملائكية تسمى أصدقاء الأنوار والروح الحية ومساعديه الخمسة: حامل الروعة، ملك الشرف، نور الإنسان، ملك المجد، والمؤيد.

العلاقة بمنظورات الكون الأحادي

ليس لدى أولئك الذين ينظرون إلى الكون على أنه أحادي في الأساس ـ مثل الهندوسية، الجانية، والبوذية ـ إيمان بالملائكة عمومًا، الذين يعملون بشكل أساسي ككاشفين عن الحقيقة. فيتم تنفيذ هذه

الوظيفة من قبل كائنات أخرى، مثل الأفاتارات avatāras (تجسيدات الآلهة) في الهندوسية، التيرثانكارات tīrthaṅkaras (القديسين أو الأنبياء) في الجانية، أو البوذيساتفات (الذين سيكونون بوذايات) في البوذية. ولأنه عادة ما ينظر إلى مثل هذه الشخصيات من حيث أنها مُمثلات لحياة مقدسة أكثر من كونها قنوات للإلهام أو الوحي (إلا في حالة العديد من الأفاتارات والبوذيساتفات)، لا يجب النظر إليها بلغة المفاهيم الغربية [الزرداشتية والأديان الإبراهيمية] النموذجية للكائنات الملائكية. هذه الأديان، مع ذلك، لديها معتقدات واسعة الانتشار بالشياطين.

الاعتقاد بالشياطين باعتباره مشتركاً بين كل المنظورات الدينية أو الأسطورية للكون:

الاعتقاد بالشياطين لا يرتبط بأي منظور معيّن للكون. فالشياطين لها دور جغرافي عريض جداً وتاريخي طويل جداً ككائنات روحية تؤثر على الإنسان في علاقته بالمقدّس أو القدوس. قد يكونون كائنات شبه بشرية، غير بشرية أو بشريّة شبحية والتي تحاول عموماً، لأسباب مختلفة، إجبار الإنسان على عدم تحقيق تطلعاته الروحية العليا أو عدم القيام بالأنشطة الضرورية لرفاهه في مسار الحياة العادية. ويبدو أن الشيطان الآشوري القديم *رابيسو* *rabiṣu* هو نموذج بدئي تقليدي لكائن خارق للطبيعة يزرع مثل هذا الخوف عند البشر بحيث يقف شعر أجسادهم حرفيًا عندما يواجهون بمعرفة وجود رابيسو.

في أوروبا القرن 17 ، تم تصنيف العديد من الشياطين وفقاً لقواهم في إغواء البشر كي ينغمسوا في ما يسمى غرائزهم أو رغباتهم الأساسية. وشملت هذه القوائم شياطين الكابوس، الشياطين التي تشكلت من نطفة الجماع، والشياطين التي خدعت الأشخاص ليؤمنوا بأنهم يستطيعون القيام بعمليات نقل (رحلات ليلية إلى مواقع السبت، شعائر مزعومة للسحر). ووفقًا لبعض المراجع في القرن العشرين (بالإضافة إلى المنافحين عن العقيدة المسيحيين الأوائل)، فإن الشياطين المزعومة التي لاحظتها الأديان السائدة في العالم هي الآلهة أو الكائنات الروحية السابقة التي استسلمت أو قُهرت من قبل منظورات عقائدية مسيطرة لشعب غاز. وهكذا، فإن الآلهة التوتونية، السلافية، السلتية، أو الرومانية اختُزلت إلى مناهضين شيطانيين للمسيح، أو لقديسيه، أو ملائكته أو تم استيعابهم من قبل عبادات الشخصيات المقدّسة المسيحية. وغالبًا ما كان أتباع الآلهة القديمة التي لم يعد لها أدنى تأثير يتعرضون للاضطهاد باعتبارهم مدافعين عن السحر، خاصة في أوروبا المسيحية.

أنواع الملائكة والشياطين

الملائكة والشياطين، كما ذكرنا سابقاً، كان قد تم تصنيفها ككائنات خيرة أو حاقدة أو متناقضة أو محايدة تتوسط بين العوالم المقدسة والدنيوية.

كائنات خيرة

الكائنات الخيرة، وهي عادة ملائكة لكنها في بعض الأحيان أرواح الأسلاف أو كائنات روحية أخرى والتي كانت تسترضى بالقرابين أو

بطقوس أخرى، إنما تساعد الإنسان في الوصول إلى علاقة مناسبة مع الله، الكائنات الروحية الأخرى، أو الأوضاع الحياتية للإنسان ذاته. فالملائكة، على سبيل المثال، لا تعمل فقط ككاشفين عن الحقائق الإلهية، بل يُعتقد أيضًا أنها فعالة في مساعدة الإنسان على الوصول إلى الخلاص أو النعم أو المحاباة الخاصة. وظيفتهم الأساسية هي التسبيح بحمد الله وخدمته والعمل بحسب إرادته. وهذا ينطبق على الملائكة في كل من المسيحية والزرادشتية، وكذلك في اليهودية والإسلام. كتمديدات وظيفية للإرادة الإلهية، فإن الملائكة تتدخل في بعض الأحيان في الشؤون الإنسانية من خلال مكافأة المؤمنين ومعاقبة الظالمين أو عبر إنقاذ الضعفاء، الذين هم بحاجة إلى المساعدة، والقضاء على الأشرار، الذين يضطهدون دونما عدالة زملائهم من المخلوقات. في سفر طوبيا الذي هو من حقبة من حقبة ما بين العهدين (سفر أبوكريفي، أو "مخفي"، والذي هو غير مقبول كقانوني من اليهود والبروتستانت)، فإن أحد رؤساء الملائكة المدعو رافائيل[1] (الله

(1) طو 3 -17: فأُرسِلَ رافائيلُ لِيَشْفِيَ كِلا الِاثْنَين، لِيُزيلَ البُقَعَ البَيضاءَ عن عَيْنَي طوبيت فيَرى بِعَيْنَيه نورَ الله، وليُعطِيَ سارةَ آبنَةَ رَعوئيلَ زَوجةً لِطوبيا بنِ طوبيت ويَطرُدَ عَنها أَزْموداوُسَ الشَّيطانَ الخَبيث. فمِن حَقِّ طوبيا أن تَكونَ لَه قَبلَ جَميعِ الَّذينَ يُريدونَ أن يتَّخِذوها. في ذلكَ الحين، عادَ طوبيتُ من ساحةِ داره إلى بيتِه، وأَمَّا سارةُ ابنَةُ رَعوئيل فنَزَلَت مِنَ العُلية. طو 5 -4: فخرجَ طوبيًا يَبحَثُ عن رَجُل يُرافِقُه إلى ميدِيا ويَعرِفُ الطَّريق. وعِندَ خُروجِه وَجَدَ المَلاكَ رافائيلَ واقفاً أمامَه، ولَم يَعلَمْ بِأَنَّه مَلاكٌ مِن مَلائِكةِ الله. طو 6 -11: قالَ رافائيلُ لِلصَّبيّ: "يا طوبيا
==

يشفي)، على سبيل المثال، يساعد البطل طوبيت، ابن طوبيا، في

أخي". قالَ لَه: "هاءَنذا". قالَ لَه: علَينا ان نَبيتَ هذه اللَّيلةَ في مَنزِل رَعوئيل، وهو رَجُلٌ مِن قَرابَتِكَ ولَه ابنَةٌ اسمُها سارة، طو 6 -14: فأجابَ طوبيا وقالَ لِرافائيل: "يا عَزَريا أخي، سَمِعتُ أنَّه قد عُقِدَ لها على سَبعةِ رِجالٍ فماتوا في غُرفةِ العُرس، وكانوا يَموتونَ لَيلةَ دُخولِهم علَيها. وسَمِعتُ أيضاً مَن يَقولُ إنَّ شَيطاناً كانَ يَقتُلُهم، طو 6 -19: ولَمَّا سَمِعَ طوبيا كَلامَ رافائيل وعَلِمَ بِأنَّ سارَةَ هي أُختٌ لَه مِن نَسلِ أبيه، أحبَّها حُبّاً شَديداً وعَلِقَ بِها قَلبُه. طو 7 -9: ثُمَّ ذَبَحَ كَبشاً مِنَ القَطيع وآستَقبَلَهُما آستِقبالاً حاراً. وبَعدَ أن آغتَسَلوا وآستَحَمُّوا وجَلَسوا للطَّعام، قالَ طوبيا لِرافائيل: "يا عَزَريا أخي، سَلْ رَعوئيلَ أن يَزُفَّ إلَيَّ سارَةَ أُختي". طو 8 -2: وذَكَرَ طوبيا كَلامَ رافائيل فأخرَجَ مِن كيسِه كَبِدَ الحوتِ وقَلْبَه ووَضَعَهما على جَمرِ المِبخَرة. طو 8 -3: فَرَدَت رائِحةُ الحوتِ الشَّيطانَ فهَرَبَ في الجَوِّ إلى نواحي مِصر. فمَضى رافائيلُ في إثرِه وشَكَلَه هُناكَ وأوثَقَه مِن ساعتِه. طو 9 -1: ودَعا طوبيا رافائيلَ طو 9 -5: وأنتَ شاهِدٌ لِلقَسَمِ الَّذي أقسَمَه رَعوئيل، ولا أستَطيعُ أن أتجاهَلَ يَمينَه". فسافَرَ رافائيلُ إلى راجيس ميديا ومعه الخُدَّامُ الأربَعةُ والجَمَلان، وباتوا عِندَ جَبَعْئيل. ثُمَّ سَلَّمَ إلَيه الصَّكَّ وأخبَرَه بِأنَّ طوبيا بنَ طوبيتَ قد تَزَوَّجَ وبأنَّه يَدعوه إلى العُرس. فقامَ وعَدَّ لَهُ أكياسَ مَختومةً وحَمَّلوها على الجَمَلين. طو 11 -2: قالَ رافائيل: "أنتَ تَعلَمُ كَيفَ تَرَكْنا أباكَ. طو 11 -3: فلنسبِق آمرأتَكَ لِنُعِدَّ البَيت، رَيثَما يَصِلُ الآخَرون". طو 11 -4: فسارا كِلاهُما معاً (وكان رافائيلُ قد أوصى طوبيا بِأن يأخُذَ المَرارة)، والكَلْبُ يَتبَعُهما. طو 11 -7: وقالَ رافائيلُ لِطوبيا قَبلَ أن يَصيرَ بِالقُربِ مِن أبيه: "إنِّي أعلَمُ بِأنَّ عَينَيه ستَنفَتِحان.

طو 12 -6: حينئذٍ آنفَرَدَ بِهِمَا رافائيلُ فقالَ لَهما: "باركا اللهَ وسَبِّحاه أمامَ جَميعِ الأحياءِ لِكُلِّ ما أحسَنَ بِه اليكُما. باركا وعَظِّما آسمَه. أخبِرا جَميعَ النَّاسِ بِأعمالِ اللهِ بما يَجِبُ مِنَ الإكرام، ولا تَتَوانَيا في تَسبيحِه. طو 12 -15: أنا رافائيل، أحَدُ المَلائِكةِ السَّبعةِ الواقِفينَ والدَّاخِلينَ في حَضرةِ مَجدِ الرَّب".

رحلة ويكشف له أيضاً الصيغ السحرية لعلاج العمى عند والده ومواجهة قوة الشيطان أزموداوس Asmodeus[1].

(1) لقد لاحظنا من قبل أن طوبيا يشير إلى أزموداوس، الشَّيطانُ الخَبيث، ورد اسمه غير مرّة في سفر طوبيا. لكن هذا السفر لا يعتبره اليهود – ولا البروتستانت – قانونياً.

في الأسفار القانونية يهودياً لا نجد الاسم الكامل "أشميداي"، لكن في سفر الملوك الثاني، 17: 30: ["فعَمِلَ أهلُ بابِلَ سُكوتَ بَنوت، وأهلُ كوتَ عَمِلوا نَرْجال، وأهلُ حَماةَ عَمِلوا أشيما، וְאַנְשֵׁי בָבֶל עָשׂוּ אֶת־סֻכּוֹת בְּנוֹת וְאַנְשֵׁי־כוּת עָשׂוּ אֶת־נֵרְגַל וְאַנְשֵׁי חֲמָת עָשׂוּ אֶת־אַשִּׁימָא"] ، نجد أن أشيما يظهر كإله مزيف والذي صنع له أهل حماة السوريون صنماً. ليس فقط أن هذا الاسم يشبه كثيراً الديفا الفارسي أيشما، بل أيضاً فإن الاسم أشيما אַשִּׁימָא يشبه للغاية الاسم أشمداي אַשְׁמְדַאי باللغة العبرية.

إن أزموداوس في سفر طوبيا هو معاد لسارة، ابنة رعوئيل (طوبيا 6: 13: إسْمَعْ لي، يا أخي، فإني سأكلِّمُ الأبَ عن آبنَتِه مُنذُ هذه اللَّيلة لِكَي تتخذَها لكَ خَطيبة، ومتى عُدْنا مِن راجيس نُقيمُ عُرسَها. وأنا عالِمٌ بِأنَّ رَعوئيلَ لا يَستَطيعُ أن يَمنَعَكَ إيَّاها ولا أن يَخطُبَها الى رَجُلٍ آخَر، وإلاَّ آستَحَقَّ المَوتَ بحَسَبِ حُكْمِ كِتابِ موسى، لِعِلْمِه بِأنَّه مِن حَقِّكَ قَبلَ أيِّ رَجُلٍ آخَر أن تَتَزوَّجَ آبنَتَه. فآسمَعْ لي، يا أخي، ففي هذه اللَّيلةِ نتكَلَّمُ في شَأنِ الفَتاة ونطلُبُها لَكَ. ومتى عُدْنا مِن راجيس نأخُذُها ونَذهَبُ بِها معَنا إلى بَيتِكَ"؛ ويقتل سبعة من الأزواج المتعاقبين ليلة الزفاف، مما يعيق الإتمام الجنسي للزواج. إنه يوصف بأنه "أسوأ الشياطين". وعندما يكون الشاب طوبيت على وشك الزواج منها، يقترح أزموداوس المصير نفسه بالنسبة له، لكن طوبيت يتم تمكينه، من خلال مشورة مرافقه رافائيل، ليجعله غير ضار. ومن خلال وضع قلب وكبد سمكة على جمر المبخرة، ينتج طوبيت بخاراً مدخناً يتسبب في هروب الشيطان إلى مصر، حيث يقوم رافاييل بربطه (طوبيا 8: 2 -3: طو 8 -2: وذَكَرَ طوبيًا كَلامَ رافائيل فأخرَجَ مِن كيسِه كَبِدَ الحوتِ وقَلْبَه ==

لقد وصفت الملائكة أيضاً كمشاركين في خلق الكون واستمراريته من لدن العناية الإلهية. وقد صرّح اقليمنضس السكندري، متأثراً بعلم الكون الهلينستي، بأنها تعمل كمحركات للنجوم وتسيطر على العناصر الأربعة ـ الأرض والهواء والنار والماء. يُعتقد أن العديد من الملائكة هم أوصياء على الأفراد والأمم. وكان الرأي القائل إن هناك ملائكة حراس يراقبون الأطفال اعتقاداً هامّاً في التقوى الشعبية للكاثوليكية الرومانية. وتعتبر الملائكة أيضاً موصلات لأنفس الموتى إلى العالم ما فوق الأرضي. وفي عملية إنجاب البشر، يُعتقد أن الملائكة يؤدون خدمات مختلفة. وهذا ملحوظ بشكل خاص في حالات الملائكة التي تعلن عن ولادة شخصيات إلهية أو شخصيات دينية خاصة، مثل يسوع ويوحنا المعمدان في العهد الجديد.

على الرغم من أن وظيفة الملائكة ذات أهمية أساسية، إلا أنّ التفكير اللاهوتي والورع الشعبي ركّزا كثيراً على طبيعة الملائكة. في اليهودية المبكرة تم تصور الملائكة ككائنات بشكل إنساني: الملاك الذي صارع الأب يعقوب، كما هو مسجل في سفر التكوين[1]، كان على

ووَضَعَهما على جَمْرِ المِبْخَرة. طو 8 -3: فرَدَّت رائحةُ الحوتِ الشَّيطانَ فهَرَبَ في الجَوِّ إلى نواحي مِصر. فمَضى رافائيلُ في إثْرِه وشَكَلَه هُناكَ وأوثَقَه مِن ساعتِه.).
ووفقاً لبعض الترجمات يتم خنق أزموداوس.

(1) تك 32 -23: وقامَ في تِلكَ اللَّيلَة فأخَذَ امرأتَيه وخادِمَتَيه وبَنيه الأحَدَ عَشَر فعَبَرَ مَخاضَةَ يَبُّوق. تك 32 -24: أخَذَهم وعَبَّرَهمُ الوادي وعَبَّرَ ما كانَ لَه. تك 32 -25: وبَقِيَ يَعْقوبُ وَحدَه. تك 32 -26: فصارَعَه رَجُلٌ إلى طُلوعِ
==

شكل رجل. في يهودية الحقبة الهلنستية (من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي)، كان يُنظر إلى الملائكة على أنهم كائنات روحية غير جسدية ظهرت للإنسان على هيئة شبح. لقد تم التأكيد على طبيعتهم الروحية من قبل ذلك على يد أنبياء العهد القديم، مثل حزقيال وإشعياء، في أوصافهم الرؤيوية. يوصف الكروبيم والسيرافيم، وهما منظومتا ملائكة فائقتان، بالمخلوقات المجنحة التي تحرس عرش الله. ويرمز استخدام الأجنحة الملحقة بالكائنات المختلفة إلى طبيعتها غير المرئية والروحية، عرف يمكن تقصّي آثاره عند المصريين القدماء، الذين مثلوا إله الشمس المقاتل حورس الذي من إدفو كقرص مجنح. في علم الأيقونات المسيحي، كانت الطبيعة الروحية للملائكة ممثلة بشكل شبه عام ـ حتى القرن العشرين ـ بشخصيات بشرية مجنحة. أدت روحانيتهم، نتيجة لذلك، وعدم ماديتهم، إلى

الفَجْر. ورأى أنَّه لا يَقدِرُ علَيه، فلَمَسَ حُقَّ وَرِكِه، فَانخَلَعَ حُقُّ وَرِكِ يَعْقوبَ في مُصارَعَتِه لَه. تك 32 -27: وقال: "اِصرِفْني، لأنَّه قد طَلَعَ الفَجْر". فقالَ يَعْقوب: "لا أصرِفُكَ أو تُبارِكَني". تك 32 -28: فقالَ له: "ما اَسمُكَ؟" قالَ: "يَعْقوب". تك 32 -29: قال: "لا يَكونُ آسمُكَ يَعْقوبَ فيما بَعْد، بل إسْرائيل، لأنَّكَ صارَعتَ اللهَ والنَّاسَ فغَلَبتَ". تك 32 -30: وسأَلَه يَعْقوبُ قال: "عَرِّفْني اَسمَكَ". فقال: "لِمَ سُؤالُكَ عن اَسْمي؟"، بارَكَه هناك. تك 32 -31: وسمَّى يَعْقوبُ المَكانَ فَنوئيلَ قائِلاً: "إنِّي رأَيتُ اللهَ وَجْهاً إلى وَجْه، ونَجَت نَفْسي". تك 32 -32: وأشرَقَت لَه الشَّمسُ عِندَ عُبورِه فَنوئيل، وهو يَعرُجُ مِن وَرِكِه. تك 32 -33: ولِذلك لا يَأكُلُ بَنو إسرائيلَ عِرْقَ النَّسا الَّذي في حُقِّ الوَرِكِ إلى هذا اليَوم، لأنَّه لَمَسَ حُقَّ وَرِكِ يَعْقوبَ على عِرْقِ النَّسا.

أنواع مختلفة من التأملات بين اللاهوتيين وعامة الناس حول طبيعة مظاهر الملائكة، التي تم تدوينها في كل من الكتاب المقدس والأساطير القائمة على التقوى الشعبية. لكن بعض اللاهوتيين، مثل أوغسطينوس في القرنين الرابع والخامس، ذكروا أن الملائكة، الذين لديهم أجسام أثيري، قد يكونون قادرين على انتحال أجسام مادية. هذه المشكلة، مع ذلك، لم تُحلّ على نحو يرضي اللاهوتيين اللاحقين.

الكائنات الخبيثة

الكائنات الخبيثة ــ الشياطين، الملائكة الساقطون، الأشباح، العفاريت، الأرواح الشريرة في الطبيعة، المخلوقات الهجينة، دايفات الزرادشتية، ناركات nārakas (مخلوقات الجحيم) الجانية، أوني (مرافقو آلهة العالم السفلي) في الأديان اليابانية ، والكائنات الأخرى المماثلة ــ تعيق الإنسان عن تحقيق علاقة ملائمة مع الله، بالمجال الروحي، أو بحالات الإنسان الحياتية. ويعتقد أن بعض الملائكة قد سقطوا من موقع قريب من الله ـ مثل لوسيفر (الذي أطلق عليه بعد سقوطه الاسم شيطان من قبل آباء الكنيسة الأوائل) في اليهودية والمسيحية والإسلام ـ بسبب الكبرياء أو لمحاولات الاستيلاء على موقع الكائن الأسمى. في حالتهم الساقطة نجدهم من ثم يحاولون منع الإنسان من الوصول إلى علاقة صحيحة مع الله من خلال تحريض البشر على الخطيئة. لقد عزا بعض العلماء شياطين القرون الوسطى إلى تسلسل هرمي مكوّن من سبعة رؤساء شياطين الخطايا السبع المميتة:

لوسيفر (الغرور)؛ مامّون (البخل)؛ أزموداوس (الفسق)؛ الشيطان (الغضب)؛ بعلزبوب (الشراهة)؛ لوياتان (الحسد)؛ وبعل فغور (الكسل). وإلى جانب إغراء البشر بالخطيئة، يعتقد أن الملائكة الساقطين أو الشياطين يتسببون في أنواع مختلفة من الكوارث الطبيعية والتصادفية. ومثل الشياطين والأرواح الشريرة للطبيعة في الأديان البدائية، كان يُنظر إلى الملائكة الساقطين على أنهم عوامل المجاعة، المرض، الحرب، الزلازل، الوفيات العرضية، الاضطرابات العقلية أو العاطفية المختلفة. واعتبر الأشخاص المصابون بأمراض عقلية بأنهم "ممتلكون من قبل الشيطان".

على الرغم من أن وظائف الشخصيات الشيطانية، مثل وظائف الملائكة الساقطين، لها أهمية كبيرة، إلا أن طبيعة الشياطين كانت مصدر اهتمام بالنسبة للاهوتيين والأشخاص المشبعين بالورع الشعبي. ومثل الملائكة، تعتبر الشياطين كائنات روحية، غير مادّية، لكن تم تصويرها في الأيقونات الدينية كمخلوقات هجينة ذات خصائص مرعبة أو كرسوم كاريكاتيرية للأوثان التي تخص ديانة معارضة. في الكنيسة الأولى، على سبيل المثال، كان هناك اعتقاد بأن الأصنام الوثنية كانت مأهولة بالشياطين[1]. وتم تمثيل الجوانب المروعة من الشياطين في

(1) في *عدو المسيح*، الفقرة 17، يقول نيتشه: حيثما تنهار إرادة القوّة بأيّ شكل يتواجد أيضاً في كلّ مرّة انحطاط فيزيولوجي، *تفسّخ*. يصبح اله *التفسّخ*، المقلّم من أقوى ==

النقوش الخشبية لفنانين من العصور الوسطى وعصر الإصلاح وفي أقنعة الشامان، رجال الطب، وكهنة الديانات البدائية - إما لإخافة المؤمن كي يتصرف وفقاً للمعايير المقبولة أو للدرء طقسياً لسلطة القوات الشيطانية الحرّة في العالم الأرضي أو الدنيوي.

كائنات متناقضة أو محايدة

عادة ما لا توجد كائنات روحية متناقضة أو محايدة في الديانات الغربية، والتي عادة ما تقسم سكان الكون إلى أولئك الذين هم إما متحالفون مع الكائن الأسمى أو ضده. إلا أن الإسلام يصنف الكائنات الروحية إلى الملائكة، الشياطين، والجن. وتشمل هذه الفئة الأخيرة كائنات روحية قد تكون خيّرة أو شريرة. ووفقاً للأسطورة، تم خلق الجن من النار قبل خلق آدم، الإنسان الأول، بألفي عام. وبقدرتها على أن تكون مرئية وغير مرئية، فقد كان باستطاعة الجن أن ينتحلوا

دوافعه وفضائله كلّها، منذ ذلك الحين فصاعداً، بالضرورة، اله الضعفاء والمعاقين فيزيولوجياً. لا يسمّون أنفسهم ضعفاء، يسمّون أنفسهم « الخيّرين »...وسوف يفهم المرء دون مزيد من الشرح في أيّة لحظة من التاريخ كان ممكناً للقصّة الثنويّة لإله خير وشرّ أن توجد للمرّة الأولى. فالغريزة التي تجعل الشعب المُخضع يختصر إلهه الى «الخير في ذاته » هي ذاتها التي تجعله يشطب الصفات الخيّرة من إله قاهريه ؛ يثأر لذاته من سادته بتحويل إله سادته الى شيطان. ـ الإله/الخير والشيطان: كلاهما نتاج *للتفسّخ*. كيف يستطيع المرء أن يبقى مذعناً لسذاجة اللاهوتيين المسيحيين بحيث يشاركهم الرأي في قول إن تحوّل مفهوم الإله من « إله اسرائيل »، الإله القومي، الى الإله المسيحي، خلاصة كلّ ما هو خيّر، يعتبر *تقدّماً*.

أشكالاً مختلفة ـ إما حيوانية أو بشرية ـ وكان باستطاعتها أن تكون إما مساعدة أو معيقة للإنسان. ومن خلال المكر، استخدام فائق للفكر، أو السحر، قد يكون الإنسان قادراً على التلاعب بالجن لمصلحته الخاصة.

إن العديد من الأرواح الطبيعية الثانوية ـ مثل أرواح الماء، النار، الجبال، الرياح، وغيرها من الأرواح المعترف بها في الأديان البدائية ـ هي محايدة بشكل عام، لكن من أجل الحفاظ عليها بهذه الطريقة أو لجعلها مفيدة للإنسان، فإن قرابين وطقوس مناسبة يجب أن يتم القيام بها.

استنتاج

على الرغم من أن الاعتقادات التقليدية بالملائكة والشياطين كانت موضع تساؤل بين تلك الثقافات المتأثرة بالعلوم والتكنولوجيا الغربية، فإن إعادة تفسير هذه المعتقدات، تحت تأثير الدراسات النفسية ودراسة الأسطورة في تاريخ الأديان، كانت ذات أهمية للتفكير اللاهوتي. ومن خلال النظر إلى الملائكة والشياطين من الناحية الوظيفية، وليس من حيث طبيعتهم، قد يكتشف الإنسان الحديث أن لديه صلة أكبر مما كان يدركه بشكل عام مع أناس من ثقافات سابقة أو مختلفة في محاولته للحصول على علاقة مفيدة مع العوالم المتسامية، الاجتماعية، النفسية التي يواجهها في الحياة اليومية.

ملحق 1:

سوشيانت

قوة الأديان في قوة الأمل – قول قد يبدو مألوفاً. وكلما تعاظمت قوة الأمل، تناثر رماده في أشلاء العالم، كلما ارتفعت منارة الديانات وازداد وميض سحرها، وإن كان في واقع الأمر سراباً. لقد فعلها صموئيل بيكيت، صاغها بلغة هي الأوضح، حين أعلمنا أن أملنا "غودو"؛ انتظار للاشيء. مع ذلك، ورغم العقلانيّة التي ضربت أطنابها في العالم، بما في ذلك بعض أقطار المسلمين، لا يزال "غودو" يفترش شوارع طهران والقدس والفاتيكان ويزد؛ لا يزال كثيرون يعتقدون أن هذا الغودو وحده سيمسك بصخرة سيزيف كي لا تتدحرج إلى أعماق الوادي.

في هذا النص المجمع من مصادر عديدة، نتصدى لموضوعة الخلاص في الأديان الزرادشتيّة، اليهوديّة، المسيحيّة، الإسلام السنّي والإسلام الإثني عشري. وفي هذا البحث نتوخى ما يلي:

1. إعادة الاعتبار لديانة عظيمة أعطت العالم الكثير، ولم تلق ما تستحق حتى الآن؛ مع أن معظم ما نتداوله اليوم من مفاهيم دينيّة يحمل بصمتها الواضحة – الزرادشتيّة.

2. إظهار مدى تأثر المهدي الإثني عشري بمهدي الزرادشتيين، سوشيانت.
3. المقاربة النقديّة لمسألة "المهدي" عند أهل السنّة والجماعة والتركيز على من أنكر وجوده منهم، مثل ابن خلدون. وفي هذا إشارة واضحة إلى أن العقل السنّي عرف كثيراً من المفكرين النقديين، الذين لم يتوانوا قط عن مقاربة ما ننظر إليه في عصرنا "العقلاني" اليوم، على أنه محرمات لا يمكن الاقتراب منها.

سوشيانت: الخلاص الزرادشتي!

ثمة طريقان إلى النهاية ضمن الزرادشتية: نهاية الإنسان كفرد ونهاية العالم ككل. والإثنان مترابطان عبر الدينونة: الدينونة الفردية للنفس وحدها، والدينونة الشاملة بعد القيامة للنفس والجسد معاً. الفرد يُدان اعتماداً على أعماله أو أعمالها، فينتهي أو تنتهي في الجنة أو الجحيم بحسب تلك الأعمال. لكن ثمة دينونة شاملة نهائيّة يقرر عبرها مصير العالم.

يؤمن الزرادشتيون أن العالم سيستمر 12 ألف سنة، تنقسم إلى أربع حقب متمايزة عن بعضها. في الحقبة الأولى يكون الخير والشر منفصلين، في الحقبة الثانية يغزو الشر العالم الخيّر، أما في الثالثة فتستعر أوار الحرب بين القوتين. يعتقد الزرادشتيون أن الحقبة الأخيرة بدأت بولادة زرادشت وما تزال مستمرة. في السنوات الثلاثة آلاف الأخيرة

يتوقع الزرادشتيون ظهور ثلاثة مخلصين بين المخلص والمخلّص الآخر ألف سنة. يدعى الأول أوشيدار، أي "الخيّر". وهذا سيولد من عذراء وهو أيضاً من نسل زرادشت الذي تحفظ نطفته في إحدى البحيرات؛ وحين تأتي عذراء بعمر الخامسة عشرة للإستحمام تتلقح من تلك النطفة ويولد بالتالي المخلّص الأول.

فبحسب اليشت الثالثة عشرة، المقطع 62، من الأفستا؛ نقرأ: «لم يمت زرادشت وبقيت نطفته، إذ يحرسها 999999 من الأخيار والصالحين. وذات يوم، عند نهاية الزمان، ستحبل فتاة عذراء من هذه النطفة وسيولد شخص من هذه العملية ينتصر على الشرور وينقذ العالم». واسم هذه الفتاة العذراء "إرِدَت فِذري". وتذكر الأفستا اسمي فتاتين ثانيتين؛ هما "سروتَت فِذري" و"ونَغهو فِذري". تحبل هذه الصبايا بنطفة زرادشت ويولد ثلاثة موعودين من هذا الحمل الإعجازي. أما اسم آخر مخلوق فهو "أستوَت إرِتَه" حيث تبدأ قيامة الأموات بظهوره وينتهي العالم المادي. ويكون هذا المخلوق المخلوق الأخير لأهورا مزدا إله الخير عند الفرس.

لقد جاء في كتاب بندهش أحد الكتب الزرادشتية المكتوبة في القرون الإسلامية الأولى والذي يمتلئ بالقصص والروايات الأسطورية ـ منذ بدء الخليقة حتى قيامة العالم ـ من وجهة نظر الديانة الزرادشتية، أنه كان للنبي زرادشت ثلاث نساء. وأنه ذهب ثلاث مرات إلى نسائه وضاجعهن ولكن حيواناته المنوية كانت تسقط على الأرض لأنه هناك اعتقاد بولادة ثلاثة أطفال من هذه الحيوانات المنوية عند قيامة العالم.

وكما أشرنا، فإنه في نهاية الإثني عشر ألف سنة من عمر العالم ستغتسل عذراء باسم "أَرِدَدبد" [نلاحظ تغيّر الأسماء هنا] في بحيرة "كيانسه" وستحبل من نطف زرادشت ومن ثم سيولد سوشيانت المنقذ.

يقول ابراهيم پاور داود حول ظهور الموعودين في المذهب الزرادشتي: « ونقول الآن إن ايزد نريوسنك (رسول اهورا مزدا) سيحمل نطف زرادشت من على الأرض ويسلم أمانته لناهيد ملاك الماء لكي تحفظها في بحيرة كيانسو (هامون) ويحرس (99 ألف و999) شخص من الأخيار والصالحين هذه النطف لكي لا تقع بيد قوى الشر (الغيلان) الذين ينوون إزالة هذه النطف»

حين يصل المخلّص الأول إلى عمر الثلاثين، تتوقف الشمس في وضعية الظهيرة عشرة أيام. هذا يحصل قبل أن تهاجم الشمس عالم الكمال. مع مجيء المخلّص تسود بعض أفعال الخير وسوف يعيش الناس ثلاث سنوات بانسجام وسوف تتحسن الظروف ويبدأ إصلاح الكون. وسوف تفنى بعض المخلوقات المؤذية التي تنتمي لقوى الشر، مثل الذباب.

المخلص الثاني يدعى أوشيدار ـ ماه ويولد بالطريقة ذاتها. ستقف الشمس عشرين يوماً هذه المرة وسوف يستمر الإصلاح ست سنوات ويفنى المزيد من الكائنات الشريرة. سيزداد اقتراب الجنة الأصليّة وحالة الكمال التي كانت للعالم في البداية. يتوقف الناس عن أكل اللحم ويصبحون نباتيين ولا يشربون غير الماء. لكن هذا لن ينهي الشر،

فسوف يعاود الظهور بشكل أزهي داهاكا (أو زاهاك = ضحاك)، وهو وحش كان البطل ثرايتاونا (تهمورِث) قد انتصر عليه وسجنه على قمة جبل دَماوَند. لكن الوحش ينجو، فيغزو العالم ويؤذي العناصر المقدّسة، أي النار والهواء والخضرة. يقوم بطل آخر هو كيريسابا (جمشيد) ويخلّص العالم من هذا الوحش وتتناقص من ثم قوة الشر. مع ذلك يخطط أزهي داهاكا للنجاة.

في المرحلة الثالثة والأخيرة، يتم تخيل المخلّص الأخير سوشيانت بالطريقة ذاتها حيث نراه يهزم في نهاية الأمر كل قوى الشر. ويصل العالم إلى حالة كمال مع هزيمة نهائية للمرض والموت وكل قوى الشر والفوضى. ويقيم سوشيانت الموتى من حيث ماتوا. ويساق الناس جميعاً إلى مكان الدينونة حيث يشهدون أفعالهم الخيرة والشريرة. سيذهب الأشرار إلى جهنم والأخيار إلى الجنة ثلاثة أيام وثلاث ليال. الدينونة الأخيرة للفرد لا تتضمن غير النفس، في حين أن الدينونة العامة تتعلق بالنفس والجسد، أي أنها تتضمن قيامة الجسد. والبشر ككائنات كاملة يجتازون اختبارات عديدة، مثل العبور في معدن منصهر. ينسكب المعدن الحار على الأرض منقّياً إياها ومعيداً إياها إلى حالة كمال وتوحد. ويجتاح جدول المعدن المصهور الأرض حاصداً الناس ومحولهم أطهاراً ومتناسقين أيضاً. أما منحة الخلود فتعطى حين يحتفل سوسشيانت، بوصفه كاهناً، بالذبيحة النهائية حين يموت الحيوان الأخير، الثور، لخدمة الإنسان. ومن شحم الثور والهَوما (مشروب الزرادشتيين المقدّس) الميثولوجيّة من البحر الكوني يتم تحضير

أكسير الأبديّة. سيركض أهريمن وأزهي إلى جهنم كي ينجوا وسيدمّر المعدن المصهور جهنم وأزهي. أما أهريمن فيضحي عاجزاً ومن ثم يمحق. مع استواء الأرض واسترداد البشر وحدتهم الأمثوليّة للجسد والنفس تصبح البشريّة من جديد الوحدة التامة للروح والمادة التي نواها الله أصلاً.

وقرب البحيرة إياها، ثمة جبل باسم جبل الرب، يعيش في سفوحه قوم من الموحدين والأتقياء. وفي كل ربيع وبالأخص في عيد النيروز يرسلون بناتهم كي يستحممن في البحيرة. وعندما يقترب وقت ظهور الموعود هوشيدر، ثلاثون سنة قبل شروع ألفيته يعني ثلاثين عاماً قبل انتهاء الألفية العاشرة ، ستستحم عذراء ذات 15 ربيعاً من عائلة وهوروتش أو بهروز بن فريان والذي تعود أصوله إلى ايسدواستر، ابن زرادشت، في البحيرة، وستتجرع رشفة من الماء وتحبل فورا.

سوشيانت: المعنى وتفاصيل أخرى

لقد تم تعريف المنجّي الموعود في الأفستا، كتاب الزرادشتيين المقدّس، المسمى بسوشيانت عادة، على أنه «المخلص والمنقذ». وقد وردت هذه المفردة في اللغة البهلوية بلفظ سوشيانت وسيوسوش المشتقتين من كلمة "سود" بمعنى الفائدة والانتفاع.

وردت هذه الكلمة في الأفستا، بلفظ سئوشيانت (Saoshyant)؛ أما في البهلوية، اللغة الفارسية القديمة، فنجدها بأشكال مختلفة نذكر منها: سوشيانت، سوشيانس، سوشانس، سوشيوس أو سيوشوس.

وقد وردت كلمة سوشيانس بصيغتي المفرد والجمع في «الغاثات» أو أناشيد زرادشت النبي. وفي عدد من آيات "الغاثات"، يطالعنا لقب لزرادشت، في صيغة المفرد، سوشيانت، بمعنى المنقذ أو المنجي. ويمكننا أن نشير إلى هذا المثال:

«متى سندرك، يا مزدا ويا أشاكه، يا من أنت ماهر وقادر على من يبغي قتلي؛ فإن جزاء امرؤ طيب القلب، يجب أن نطلع عليه جيداً؛ لذلك يأمل المنجي (سوشيانت) أن يطلع على قدره».

وقد ذكر سوشيانت ثلاث مرات بصيغة الجمع، في إحداها: «يا أهورا مزدا! إن طريق الحُسن الذي أريتني إياه، لهو طريق المنقذين (السوشيانتيين)».

يبّين من هذه المقاطع أن الاعتقاد بموعود آخر الزمان والذي سينقذ العالم من براثن أهريمن ويعود على البشر بحياة آمنة، كان متجذراً عند الإيرانيين القدماء وربما ينسب إلى مؤسس دين مزديسنا نفسه.

وفي أجزاء أخرى من الغاثات، حيث ترد كلمة سوشيانت بصيغة الجمع، يكون المقصود بالأمر أصحاب الدين. بعبارة أخرى، إن قادة الدين وخلفاء زرادشت والأبرار والزهاد الذين ينفعون الناس ويهدونهم إلى الطريق القويم ويمسون عاملاً للفلاح والسعادة ويزيلون الشوائب عن الدين، يسمون بالسوشيانيين.

وفي أجزاء أخرى حيث ترد المفردة أيضاً بصيغة الجمع، يكون القصد هو الموعودين الثلاثة في مذهب مزديسنا (الزرادشتية) أو أبناء

زرادشت المستقبليين، والذين سيظهرون أخيراً ويقومون بإحياء المذهب الزرادشتي وتحديثه ويعمّرون العالم المتلف والمدمر، ويجعلونه جديدا نشطاً.

على كلٍ فإن التفسير الأدق لسوشيانت موجود في أجزاء أخرى من الأفستا، حيث يكون المنقذون ثلاثة أشخاص: 1. اوخشيت ارته، وهومن ينمي القانون المقدس 2. اوخشيت نمنغه، وهو من يقيم الصلاة 3. استوت ارته، وهو الشخص الذي يصل الناس من شعاع نوره إلى الحياة الفانية. ولكن في كتب البهلوية الأخرى هناك أسماء أخرى للموعود الأول والثاني والثالث.

وجاء بعض من تنبؤات زرادشت حول ظهور وعلائم سوشيانت في كتاب «بهمن يشت». وفي الجزء الأخير من كتاب «زندبهمن يَسن» والذي هو شرح وتفسير للأفستا، تمت الإشارة إلى ظهور مصلح عالمي ونهاية حكومته بفعل يوم الحساب: «إذاً سيطهر سوشيانس الخلق مرة أخرى ويكون آخر شخص ليوم الآخر.» ويقول إن القصد من سوشيانس هنا، هو آخر منقذ لمذهب الزرادشتي.

وبتصريح الأفستا فإن زرادشت ليس أكبر سوشيانت وآخر المنقذين، بل استناداً على هذا الجزء، هم أشخاص يقومون بتحديث العالم ويجعلون البشر خالدون. في ذلك الوقت ينبعث الأموات مرة أخرى وينقشع الموت عن الأرض؛ يظهر سوشيانت ويجدد العالم كما يحلو له.

عندما يسأل گشتاسب الملك عن كيفية ظهور سوشيانت وإدارة العالم، يشرح جاماسب الحكيم، تلميذ زرادشت أن: «سوشيانس سيروج الدين في العالم، ويزيل الفقر والشظف، وينقذ الآلهة من جور أهريمن، ويوحد فكر وكلام وعمل شعوب العالم».

وفي كتاب «الزند»، الذي يعتبر من كتب الزرادشتين المقدسة، وبعدما يتم الكلام حول شيوع الفساد في آخر الزمان ويتم التذكير بأن القوة والمجد سيكونان مع أتباع أهريمن الشرير، نقرأ:

عندها ينجد أهورا مزدا الآلهة، وسيكون الانتصار العظيم للآلهة وينقرض الأهريمنيون... وبعد انتصار الآلهة ودحر نسل أهريمن، سيصل العالم إلى سعادته الأساسية، وسيجلس البشر على أريكة السعادة...

المسلمون والزرادشتيّة:

ينقل «جاماسب» في كتابه الشهير «جاماسب نامه» عن زرادشت قوله: من أبناء الذكور لإحدى بنات النبي والتي اسمها "شمس العالم" و"شاه زمان" سيحكم أحدهم بتفويض من الآلهة وهذا الشخص هو الخليفة الأخير للنبي. دون أن ننسى إن إحدى زوجات الحسين كانت أميرة فارسيّة.

ونقرأ في جزء آخر من الكتاب: سيظهر رجل من بلاد العرب، من أبناء هاشم رجل كبير الوجه، كبير الجسم والساق، ويكون على دين جده، مع جيش عظيم، ويتجه إلى إيران ويعمر الأرض ويملأها عدلاً.

ويضيف في كتابه:

إن نبي العرب هو آخر الرسل وسيظهر من جبال مكة... ومن أبناء النبي سيظهر شخص في مكة يصبح خليفته ويكون على دين جده... ومن عدله سيشرب الذئب مع النعجة من غدير واحد وسيتبع العالم كله مذهبه.

الخلاص في اليهوديّة والمسيحيّة:

المسيح المنتظر:

المسيح (بالعبرية ماشيح מָשִׁיחַ ؛ بالآراميّة مشيحا משיחא ؛ بالسريانيّة مشيحو ܡܫܝܚܐ ؛ باليونانيّة مسياس Μεσσίας ؛ باللاتينيّة مسياس Messias) ؛ وتعني عند الجميع الشخص الذي يُمسح. في التقليد المسياني اليهودي أو الاسكاتولوجيا اليهوديّة، يشير المسيّا إلى ملك مستقبلي لإسرائيل من سلالة داوود، يحكم شعب أسباط إسرائيل الموحد ويعلن الزمن المسياني المميز بالسلم الكوني. بالعبريّة الفصحى يسمّى ملخ هامشيح מלך המשיח، التي تعني الملك الذي يمسح.

يؤمن المسيحيّون أن النبوءات الموجودة في العهد القديم إنما تشير إلى مخلّص روحاني، وهو ما تثبته مقاطع من سفر إشعياء: « ها أن الصبيّة تحمل فتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » (7 : 14). لكن نلاحظ هنا أن الترجمة السائدة بين المسيحيين للفظة " علماه " العبرانيّة إنما تتبنى الترجمة السبعينية اليونانيّة للعهد القديم. فعلماه لا تعني عذراء،

بل صبيّة أو امرأة تزوجت منذ برهة قصيرة. هنالك نص آخر من السفر ذاته: « طعن بسبب معاصينا وسحق بسبب آثامنا؛ نزل به العقاب من أجل سلامنا؛ وبجرحه شفينا » (53 : 5). وهم يعتقدون، بعكس اليهود، أن يسوع هو المسيح. والنسخة السبعينيّة اليونانيّة من العهد القديم تترجم المواضع التسعة والثلاثين كلها التي ورد فيها التسمية مشيح بلفظ خريستوس Χριστός. في إنجيل يوحنا نجد الترجمة اليونانيّة، مسياس، مرتين (1 : 41؛ 4 : 25).

اليهوديّة:

مفهوم المسيح في التاناخ (العهد القديم) غير شائع ولا موحد المضمون. فالمصطلح مستخدم هنا لوصف الكهنة الإسرائيليين، الأنبياء، والملوك الذين يمسحون بالزيت أثناء تكريسهم لمناصبهم. على سبيل المثال، يقال عن قورش الكبير، ملك فارس، إنه "مسيح الله" في العهد القديم. وذلك كما يفسّر الأمر الحاخام أرييه قبلان. كذلك فهو يستخدم في العهد القديم لوصف أحد ملوك اليهود، كهنة يهود، أنبياء، الهيكل اليهودي وأدواته والخبز غير المخمر. التاناخ يحتوي عدداً (العدد محط جدل) من النبوءات حول النزول المستقبلي للملك داوود الذي سيمسح باعتباره القائد الجديد للشعب اليهودي.

يعتقد المسيحيّون أن دانيال كان نبيّاً، وأنه ألمح إلى زمن مجيء المسيح، الأمير مشيح ناغيد. لكن الأرجح، إذا ما راجعنا سفر الملوك الثاني، الإصحاح الرابع، أن يكون هذا المشيح عظيم الكهنة أونيا

الثالث. وكان هذا قد عزله وقتله رجال أنطيوخس ابيفانس عام 175 تقريبا. تشير نبوءات دانيال إليه على أنه منحدر من نسل داوود، والذي سيعيد بناء أمة إسرائيل، فيقتل الأشرار، ويدين العالم كله في النهاية.

يعتقد اليهود الإصلاحيّون أنه كان ثمة مسحاء عدة – أي كل من مسح من الملوك والكهنة، بمن فيهم داوود وسليمان وهارون وشاؤول. الأخير، وهو أول ملك، يقال إنه "ممسوح من قبل الرب."

حين يتحدّث اليهود الحاليّون عن مسيح المستقبل، فهم يقصدون مسيحين إثنين: المشيح ابن يوسف والمشيح ابن داوود. لكن "بن" العبريّة تعني أما ابن فلان أو ينحدر من صلبه. يمكن أن تعني الكلمة أيضاً "بطريقة"، أي سيكون هنالك مشيح بطريقة يوسف أو داوود.

ثمة تفسير حاخامي شائع يقول إنه هنالك مسيح كامن في كل جيل. فالتلمود، الذي غالباً ما يستخدم قصصاً من أجل غايات أخلاقيّة، يخبرنا عن حاخام محترم للغاية يجد المسيح على بوابات روما فيسأله، «متى ستأتي أخيراً؟». واندهش للغاية حين قيل له، «اليوم». وممتلئاً بالفرح والتوقع، انتظر الرجل طول النهار. في اليوم التالي عاد محبطاً ومتحيراً، وسأل، «قلت أن المسيح سيأتي اليوم لكنه لم يأت! ماذا حصل؟» أجاب المسيح، «يقول الكتاب المقدّس، "اليوم"، إذا استمعتم لصوته». لكن التلمود البابلي أيضاً، في رسالة لعابودا زارار، يقول إن عمر العالم ستة آلاف سنة: الألفان الأوليان طوهوبوهو(عماء)؛ الثانيتان، ألفا التوراة؛ والثالثتان ألفا المسيح. ومن

أهم أسباب عدم إيمان اليهود بيسوع كمسيح، بعكس المسيحيين والمسلمين، هو مجيئه قبل أوانه.

المسيحيّة:

ظهرت المسيحية عام 30 للميلاد تقريباً كحركة بين اليهود والأغيار الذين اعتقدوا أن يسوع هو المسيح. فالمسيحيون يؤمنون أن يسوع هو المسيح الذي كان اليهود في انتظاره: أول ما فعله أندرياس أنه فتش عن أخيه شمعون وقال له: «وجدنا المسيح». وجاء به إلى يسوع. مع ذلك، فالمفهوم المسيحي للمسيح باعتباره "الكلمة صار جسداً" يختلف عن مثيليه في اليهوديّة والإسلام في أن اللاهوت الأساسي المسيحي يعتبر يسوع إلهاً، كما تقول عقيدة نيقية: «إله من إله، مولود غير مخلوق». في العهد الجديد، غالبا ما يقال عن يسوع إنه "ابن الإنسان"، الذي تفسّره المسيحيّة استناداً إلى سفر دانيال 7: 13 -14: «وكنت أنظر في رؤياي ليلا فإذا بمثل ابن الإنسان آت على غمام السماء فبلغ إلى قديم الأيام وقرّب إلى أمامه. وأوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه وسلطانه سلطان ابدي لا يزول وملكه لا ينقرض». وكما هو معروف، فالآيات من 2:4 إلى 7:28 مكتوبة بالآرامية. ولفظ "بار ناشا الآرامي" (= بن آدم العبراني)، يعني الإنسان، كما يخاطب الله النبي في سفر حزقيال. لكنها هنا تدل على إنسان يفوق البشر. وهكذا فيسوع ذاته يستخدم هذا اللقب على أنه مطالبة مباشرة بكونه المسيح (لوقا 24: 45 -47؛ متى 8:20). والمسيحيّة تمضي في تفسيرها لمقاطع كثيرة من العهد

القديم على أنها تتنبّأ بقدوم المسيح، وتعتقد أن العديد من النبوءات المسيانيّة تحققت في رسالة يسوع وموته وقيامته؛ وتحاول الكنيسة بالتالي نشر تفسيرها بأن المسيح هو المخلّص الأوحد، وأن يسوع سوف يعود لإكمال ما تبقى من النبوءة المسيانيّة بشكل بشري. فما هو المجيء الثاني للمسيح؟

رغم أن الاختلافات تعم بين الكنائس وفق انتماءاتها المذهبيّة بالنسبة لمجيء المسيح الثاني، يمكن تعريف هذا المصطلح، وفق معظم من يعتقد به من اللاهوتات المسيحيّة، بأنه العودة المنتظرة ليسوع من السماء، التي صعد إليها بعد صلبه، إلى الأرض؛ حدث تكتمل به سمات النبوءة المسيانيّة، مثل قيامة الموتى، الدينونة الأخيرة للأموات والأحياء والقيام التام لملكة الله على الأرض، بما في ذلك العصر المسياني. مع ذلك، فالمؤمنون من المسيحيين بالمجيء الثاني يختلفون كثيراً فيما بينهم بخصوص تفاصيل هذا المجيء.

المجيء الثاني يتكرر كثيراً كعقيدة في العهد الجديد، خاصّة في صورة عودة يسوع كمسيح ديّان للأحياء والأموات (أع 10 : 42) والمسكونة بالعدل (السابق 17 : 31). وفي هذا اليوم يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح (روم 2: 5 -16)؛ الرب الذي سينير خفايا الظلام (1 كو4: 5)؛ فأمام كرسي المسيح ينال كل واحد بسبب ما صنع، خيراً كان أم شراً (2 كو5: 10)؛ لأنه سيدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته (2 تيم 4: 1)، الذي سيتأنى الأخوة إلى مجيئه (يعقوب 5: 7). ومثل سوشيانت تماماً في الميثولوجيا

الزرادشتيّة، نجد أنه «سيستعلن الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه» (2 تسا 2: 8).

يسوع المسيح سوف يظهر (1 تيم 6: 14)، الذي سيدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته (2 تيم 4: 1)، والذي انتظاره مترافق بانتظار الرجاء المبارك ومجد الله العظيم (تيطس 2: 13).

إن يوم الربّ كلص في الليل هكذا يجيء (1 تسا 5: 2). لكن في إنجيل لوقا نجده يوماً لابن الإنسان (17: 30). وإذا ما استشهدنا بنص من خارج الرسائل والأناجيل الإزائيّة، نجد بضع آيات في الإنجيل "اللاهوتي"، يذكرنا هنا أيضاً بسوشيانت، يقول، على لسان المسيح: «إن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبديّة وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يوحنا 6: 40).

في الأناجيل الإزائية أمثلة عديدة يشير فيها يسوع إلى نفسه بأنه ابن الإنسان، أو يتحدّث عن الدور الذروي لقدوم ابن الإنسان (غالباً "بالمجد" أو "في ملكوته")؛ وكما لاحظنا آنفاً، يستخدم يسوع لقب ابن الإنسان كأحد أشكال المرجعيّة الذاتيّة مطبقاً على شخصه صورة مسيانيّة هامة من الأقسام الرؤيوية في سفر دانيال عن: "ابن الإنسان "الذي سيأتي" على غمام السماء فبلغ إلى قديم الأيام وقرّب إلى أمامه. وأوتي سلطاناً ومجداً وملكا فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه وسلطانه سلطان أبدي لا يزول وملكه لا ينقرض."

في الإنجيل اللاهوتي غير الإزائي، يوحنا، نجد أن يسوع يستخدم هنا أيضاً صورة ابن الإنسان في حديثه عن "الأيام الأخيرة" (6:

39 -54). والصورة هنا ترتبط بمقولة قيامة الموتى – مقولة يعاد التأكيد عليها في وصف مارثا لقدوم يسوع بأنه قيامة وعمليّة متواصلة (11 : 24)؛ وفي قول يسوع لتلاميذه من أنه سيأتي من جديد ليأخذهم إليه فيكونون حيثما يكون، « في بيت أبي » (14 : 3).

لكن متى يحين موعد ملكوت الله؟ في مرقس (1 : 15)، يقول يسوع: "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله". وبحسب متى 24 يأتي ملكوت ابن الإنسان بعد دمار الهيكل مباشرة؛ وفي الآية 10 : 23؛ يقال "ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان". وهو ما تؤكّد عليه الأناجيل الإزائيّة كلها: "الحق أقول لكم: إن من القيام ها هنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته" (متى 16 : 28). راجع أيضاً: مرقس 9 : 1؛ لوقا 9 : 27).

تتفق الأناجيل الإزائيّة أيضاً على مقولة يبدو أنها مستمدة أساساً من دانيال، تقول إن ابن الإنسان لن يظهر إلا بعد دمار الهيكل: "فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها النبي دانيال قائمة في المكان المقدّس ليفهم القارئ... حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء... يبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير" (متى 24: 15، 30). راجع أيضاً: مرقس 13 : 1 -30؛ لوقا 21: 5 -32. كذلك تتفق الأناجيل الإزائيّة كلها في أن هذه الأمور ستحدث قبل أن "يمضي هذا الجيل" (متى 24 : 34؛ مرقس 13 : 30؛ لوقا 13 : 32).

في سفر أعمال الرسل، ثمة نوع من الارتباط بين صعود يسوع وعودته الثانية: «إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (1 : 11). مع ذلك، ففي رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي، هنالك آيتان ليس من السهل فهمهما، في سياق الحديث عن المجيء الثاني: "نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الربّ لا نسبق الراقدين. لأن الربّ نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الربّ في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الربّ.» (4: 15 -17).

سفر الرؤيا يذخر بصور يوم الدينونة الأخير وبانتصار ملكوت الله، وينتهي هذا السفر غير العادي بعبارة: «تعال، أيها الربّ يسوع».

المسيح والمهدي عند أهل السنّة والجماعة:

إنّ رأي المسلمين عموماً بالمجيء الثاني للمسيح يتضمّن أنّ عيسى لم يمت، بل رفعه الله إلى السماء، حيث ينتظر أن ينزل في "الأيام الأخيرة"، بعد أن يسود الجور والظلم على الأرض.

سيعود عيسى ليشنّ حرباً على المسيح الدجّال فيهزمه ويدعو الإنسانيّة جمعاء إلى الإسلام. سيكون في صف عيسى جيش من الأخيار، وسوف يحاربون الظلمة؛ ثم يتّحد جيشه بجيش المهدي في آخر معركة في تاريخ الجنس البشري.

المسيح في القرآن:

من شبه المؤكّد أن القرآن، بوضعه الحالي، يضع صعوبات في وجه الباحث يصعب تخطيها: فمن جهة الافتقار إلى وحدة الموضوعات، وقد كانت لنا محاولة لإعادة ترتيب سورة النساء بدت بعدها السورة الشهيرة أكثر تماسكا ومنطقيّة؛ ومن جهة أخرى غياب العامل الكرونولوجي في مسألة ترتيب السور، الأمر الذي يعيق كثيراً تكوين تصوّر عن تطوّر التفكير المحمدي فيما يخص مسألة بعينها. من هنا، في مقاربتنا لمسألة تطوّر فكرة المسيح عند محمد، فقد آثرنا أن نهمل بالكامل الترتيب المتعارف عليه للقرآن، واستعنّا بآخر كرونولوجي، يساعد أكثر في فهم تطور مفهوم المسيح عند محمد، كما أشرنا. مع أننا نعتقد أن ثمة إشكاليات حتى في هذا الترتيب، وكثير من الآيات لم يحسم زمنها: مكي أم مدني. دون أن ننسى الإشارة إلى الجهد الكبير الذي قام به فلوغيل لترتيب القرآن على نحو منطقي.

في القرآن عشرون موضعاً، على الأقل، فيها حديث عن المسيح بشكل أو بآخر. أول إشارة إلى المسيح، باسم عيسى بن مريم [ثمة خطأ واضح في القرآن، حين يدمج محمد بين مريمتين من الكتاب المقدّس: الأولى ذكرت في العهد القديم، وهي أخت موسى وهارون وابنة عمران، والثانية ذكرت في العهد الجديد، وهي أم المسيح – عيسى]، وردت في سورة مريم، 34 (ترتيبها الكرونولوجي 45)، وتتحدث عن نقاش حول شخص المسيح. الذكر الثاني في الزخرف، (ترتيبها 63)، 41، التي تقول إن عيسى عنده علم الساعة؛ وفي 63، وهنا حديث

عن بيّنات عيسى، أي آياته ومعجزاته. وللمرة الأولى نجد حديثاً عن الروح القدس، الأقنوم الثالث في الثالوث المسيحي، في سورة البقرة (ترتيبها 83). لكنه هنا ليس أقنوماً، بل مؤيد لعيسى.

في آل عمران (ترتيبها 89)، نطالع للمرّة الأولى الإشارة إلى عيسى ابن مريم على أنه المسيح. وهو الكلمة التي من الله. وهو ما يذكرنا بيوحنا: "في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة [هو] الله" (يو1 : 1). كذلك فعيسى وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين (الآية 45). وبعد ذكر لأنصاره (الآية 52)، نجد إشارة هامة توافق الخرستولوجيا التقليدية المسيحيّة، يقال فيها إن الله سيتوفى عيسى (لا المسيح)، ورافعه إليه (الآية 55 من آل عمران). لكنه يخالف تلك الخرستولوجيا بعد آيات قليلة (59)، بقوله إن عيسى، لا المسيح، مخلوق غير مولود. في سورة النساء نجد أصداء لآراء طائفة المشبهة المسيحيّة، حيث ينفي قتل المسيح وصلبه، فالأمر "شبّه لهم" - رغم حسّ التناقض مع النص السابق حول موت عيسى (نساء 157 ؛ ترتيبها 92). في السورة ذاتها نجد للمرّة الأولى سجالا عنيفاً ضد المسيحيين المثلّثين، مع أنه لا ينفي أن المسيح عيسى "رسول الله وكلمته وروح منه" (171)، وهو الأوحد بين كل الأنبياء الذي يحظى بمثل تلك الأوصاف. لكنه عبد الله (172).

النقلة الهامة في سورة الصف (الآية 6 ؛ ترتيبها 109)، هو قول عيسى لبني إسرائيل إن رسولاً بعده سيأتي اسمه أحمد. لكن الأثر الأبيوني واضح هنا في تجاهل المؤمنين بالمسيح من الأمم، واعتبار أن

بني إسرائيل انقسموا إلى مؤمنين بالمسيح وكافرين به ؛ والله يؤيد المؤمنين على أعدائهم (الصف 14).

في السور المتأخرة زمنياً، على عكس السور الأولى، نتفاجأ باللغة العدائيّة ضد القائلين بألوهيّة المسيح (مائدة 17 ؛ ترتيبها الزمني 112) ؛ وحديث المسيح هنا موجه كالعادة إلى بني إسرائيل (72). لكن الإضافة الوحيدة في المائدة هي تبني اللقب العبراني "صديقة"، في الحديث عن مريم (75). ونجد في الآية 110 نوعاً من التأنيب الإلهي لعيسى (وربما لأمه أيضاً)، حيث يذكرهم الله أن كل معجزات عيسى المذكورة في العهد الجديد وغيره من الأسفار المسيحية – الكلام في المهد، تعلم الكتاب والحكمة، خلق الطير من الطين، إبراء الأكمه والأبرص، إحياء الموتى، كف بني إسرائيل عنه – كانت بإيعاز من خالقه. ثم نرى بعد ذلك جدلاً بين عيسى وأتباعه، الذين يريدون اختباره بطلب أن "ينزل" ربه عليهم مائدة من السماء (114). وهنا أيضاً نجد تبرّؤ عيسى من أن يكون قد طلب إلى الناس عبادته وأمه. وهنا للمرّة الأولى أيضاً نتفاجأ بأن المسيحيين يعبدون مريم، الأمر الذي قد يذكرنا ببعض العبادات المنقرضة في التاريخ المسيحي(116).

أخيراً، ثمة ربط غير مفهوم بين قول لنص أبوكريفي يهودي نادر الوجود، يرى في عزرا (العزير) ابناً لله، وتعميم ذلك على اليهود كافة ؛ وقول "النصارى" إن المسيح ابن الله ؛ وختم ذلك بقول: "أنّى يؤفكون". (التوبة 30 ؛ الترتيب 113).

إذن، لا نجد في القرآن كلّه إشارة إلى عودة ثانية للمسيح ـ بغضّ النظر عن المهدي.

الحديث النبوي:

إذا كان ثمة إشكاليات كبيرة في تناول النص القرآني أو مقاربة تاريخه، فإن الصعوبات لا تنتهي في التعامل مع السنّة النبويّة: تناقضها الداخلي، أي في المرجع ذاته؛ التناقض بيت المرجع والمرجع الآخر؛ استحالة تحديد صدقيّة الحديث؛ اختلاف الآراء في الجرح والتعديل؛ وتناقض بعضها مع النص القرآني ذاته. لقد طعن عدد من علماء أهل السنّة والجماعة بصحة الحديث النبوي عموماً؛ وكانوا على حقّ. ونحن نرى أن بعد الزمن، في ظل غياب التوثيق ولاموثوقيّة الذاكرة الشفوية، بين وقت النطق بالحديث ووقت تدوينه؛ إضافة إلى الانتشار السرطاني للصراعات السياسيّة التي بدأت عملياً منذ غياب النبي المؤسّس، وحاجة كل طرف لدعم مزاعمه بترسانة لاهوتيّة تنسب إلى النبي، بعد أن أقفل عثمان القرآن — كلّ ذلك أدّى إلى ما يسمّى بصناعة الحديث، أي إنتاج أحاديث "حسب الطلب"، لدعم هذا السياسي أو ذاك. بل إن أشهر المحدثين، أي أبو هريرة، كان على الدوام هدفاً لسهام المشككين والمكذبين، إنْ من القدماء أو من المحدثين. مع ذلك، توخّياً للموضوعيّة، لا بدّ من مقاربة سريعة لأبرز ما تناول مسألة المهدي من أحاديث نبويّة؛ مع استعراض لمقولات أهم منكري المسألة من مفكري أهل السنة، أي، ابن خلدون. ونبدأ بصحيح البخاري. ففي باب نزول عيسى بن مريم؛ يقال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم

منكم ». " إمامكم " التي يلوونها لتعني "المهدي"، لا تعني بأية حال وجود إمام بين المسلمين وقت نزول عيسى ؛ كذلك فقد أخرجه مسلم «وأمكم منكم»، بمعنى أن المسيح سينزل "فأمكم بكتاب ربكم" وهذا أكثر تساوقاً مع سياق النص. وهذا يتساوق أيضاً مع ذكر صحيح البخاري لظهور جديد لعيسى ابن مريم مع ضدّه الدجّال، دون أيّ إقحام لمسألة المهدي (صحيح البخاري، الفتن، ذكر الدجال).

أبو داود، من جهته، يقدّم لنا أيضاً إحدى صور الاسكاتالوجيا الإسلاميّة المتعلّقة بالمجيء الثاني للمسيح وصراعه مع ضدّه، الأعور الدجّال: «عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ؛ قال: ليس بيني وبينه نبي ـ يعني عيسى ـ وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون». (الملاحم، خروج الدجال). يؤكّد الأمر ابن ماجه (الفتن، فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج)؛ إضافة إلى ما ذكرناه حول تفرّد المسيح، بين كلّ الأنبياء، بمعرفة "الساعة": «عن عبد الله بن مسعود قال: لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى ؛ فتذاكروا الساعة فبدءوا بإبراهيم، فسألوه عنها ؛ فلم يكن عنده منها علم ؛ ثم سألوا موسى، فلم يكن عنده منها علم ؛ فرد الحديث إلى عيسى ابن مريم، فقال: قد

عهد إلي فيما دون وجبتها ـ فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله! فذكر خروج الدجال؛ قال: فأنزل فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إلى الله فأدعو الله أن يميتهم فتنتن الأرض من ريحهم فيجأرون إلى الله فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيلقيهم في البحر؛ ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم فعهد إلي متى كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها؛ قال العوام: ووجد تصديق ذلك في كتاب الله تعالى». وليس هنا أدنى ذكر لمهدي مع المسيح.

مع ذلك، كثيرة هي الأحاديث التي يتناقلها المسلمون السنّة حول المهدي المنتظر، مع ربط ذلك أيضاً بعودة المسيح الثانية إلى الأرض. وقد قام العلامة ابن خلدون بتلخيص ذلك في *مقدمته*، في القسم الأول من الفصل الثالث والخمسين في أمر الفاطمي، وما يذهب إليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك. ثم فنّد كل تلك الأحاديث بطريقة علميّة، وفق معايير علوم ذلك الزمان. يقول العلامة التونسي: «اعلم أن في المشهور... ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره. وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتمّ بالمهدي في صلاته...

يكمل ابن خلدون: جماعة من الأمة خرجوا أحاديث المهدي منهم الترمذي وأبو داود والبزاز وابن ماجة والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي وأسندوها إلى جماعة من الصحابة...

وبطريقة الجرح والتعديل يفنّد أهم تلك الأحاديث؛ فينقل عن مالك بن أنس أن أبا بكر الإسكاف، الذي نقل عن النبي قوله: «من كذب بالمهدي فقد كفر»، متهم وضّاع.

عن أبي داود والترمذي، ينقل ابن خلدون حديثين شبه متطابقين، يقول فيهما النبي: يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي؛ ثم ينكر الحديث باعتبار أن أحد ناقليه، عاصم بن أبي النجود، مطعون به. ثم يطعن بحديث آخر لابن داود، يضاف فيه، إن هذا الرجل، المهدي، يملأها [الدنيا] عدلاً كما ملئت جوراً؛ باعتبار أن أحد رواته، قطن بن خليفة، مطعون به. كذلك يطعن بحديث لبن داود ثالث، المضاف فيه هنا أن المهدي من صلب الحسن ـ لا الحسين ـ على أساس أن أحد رواته مطعون به. مثله أيضاً مثل حديث غريب، ينقلون فيه عن النبي قوله: يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطىء أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته؛ والطعن هنا في الراوية هارون.

عن ابن داود والحاكم ينقل ابن خلدون عن أم سلمة؛ قالت: سمعت رسول الله ﷺ؛ يقول: المهدي من ولد فاطمة؛ وهنا يطعن بالراوي علي بن نفيل.

يضيف أبوداود تفاصيل أخرى، نقلاً عن أم سلمة، بأن النبي؛ قال: يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة؛ فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق، فيبايعونه؛ ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب، فيبعث إليهم بعثاً، فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم، صلى الله عليه وسلم، ويلقي الإسلام بجرانه على الأرض، فيلبث سبع سنين؛ وقال بعضهم تسع سنين. وهنا الطعن في الراوية قتادة.

عن ابن داود والحاكم، ينسب إلى النبي تفاصيل أخرى تتعلّق هنا بشكل المهدي، التي لا تتناسق بالمناسبة مع شكله في المراجع الشيعيّة: المهدي منا أهل البيت أشم الأنف أقنى أجلى... ويبسط يساره وإصبعين من يمينه السبابة والإبهام وعقد ثلاث. وهنا يطعن ابن خلدون بعمران القطّان.

في نص آخر ينسب للحاكم وابن ماجه والترمذي؛ يضاف تفصيل هام يتعلّق بالمادة: يجيء إليه الرجل؛ فيقول: يا مهدي أعطني! قال: فيحثو له في ثوبه ما استطاع أن يحمله. وفي لفظ آخر: فتنعم أمتي فيه نعمة لم يسمعوا بمثلها قط: تؤتى الأرض أكلها ولا يدخر منه شيء، والمال يومئذ كدوس؛ فيقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول

خذ. والراوي محط الطعن هنا هو زيد العمي. مثل ذلك حديث للحاكم، لكن المطعون به في هذه النسخة هو أبو هارون العبدي.

ينقل الحاكم، عن أبي هارون العبدي نصوصاً أخرى تتحدث عن المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً؛ وفي نص يضاف، إنه ينزل على بيت المقدس. والراوية المطعون بنزاهته هنا، الحسن بن يزيد.

من ناحية أخرى، يقدّم لنا ابن حبان رواية ينسب فيها للنبي تفاصيل إضافيّة: إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق، معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون وينصرون فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً كما ملؤوها جوراً؛ فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج. لكن ثمة راو مطعون في نزاهته هنا، اسمه يزيد بن أبي زياد.

أما نص ابن ماجه، المهدي منا أهل البيت يصلح الله به في ليلة، فيطعن فيه بياسين العجلي.

للطبراني نص فحواه أن المهدي من أهل البيت؛ وهنا يطعن ابن خلدون بعبد الله بن أبي لهيعة وعمر بن جابر والحضرمي. ثم نطالع نصّاً آخر للطبراني، مليء بالتفاصيل؛ يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما

يحصل الذهب في المعدن ؛ فلا تسبوا أهل الشام ولكن سبوا أشرارهم فإن فيهم الأبدال ؛ يوشك أن يرسل على أهل الشام صيب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم ؛ فعند ذلك يخرج خارج من أهل بيتي في ثلاث رايات ؛ المكثر يقول بهم : خمسة عشر ألفاً ! والمقل يقول بهم : اثنا عشر ألفاً ! وأمارتهم امت امت ؛ يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك ، فيقتلهم الله جميعاً ويرد الله إلى المسلمين إلفتهم ونعمتهم وقاصيتهم ورأيهم. وهنا الطعن بعبد الله بن لهيعه.

كذلك ينقل الحاكم عن محمد بن الحنفية ؛ أنه قال : كنا عند علي رضي الله عنه ، فسأله رجل عن المهدي ؛ فقال له : هيهات ! ثم عقد بيده سبعاً ؛ فقال : ذلك يخرج في آخر الزمان ! إذا قال الرجل : الله ! الله ! قتل ؛ ويجمع الله له قوماً قزعاً ، كقزع السحاب ، يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد ؛ دخل فيهم عدتهم على عدة أهل بدر ، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون ؛ وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر. قال أبو الطفيل : قال ابن الحنفية : أتريده؟ قلت : نعم. قال : فإنه يخرج من بين هذين الأخشبين ! قلت : لا جرم والله ولا أدعها حتى أموت. ومات بها يعني مكة ! وهنا طعن واضح ببشر بن مروان.

أخيراً ينقل ابن ماجه عن النبي قوله : نحن ولد عبد المطلب سادات أهل الجنة ـ أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي. وهنا يطعن ابن خلدون بعكرمة بن عمّار.

إن أهمية الجرح والتعديل، كما نراه، تكمن في جانبه السلبي لا الإيجابي. بمعنى أن الجرح والتعديل، كعلم، ينحّي جانباً من وضع عدم أمانته؛ لكنه لا يمكن إلا أن يسمح لنا بأن نتوسع في شكوكنا لتطال أولئك الذين لم "تتوضح" لا أمانتهم، خاصّة وأن الباطن لا يتوافق دائماً مع الظاهر في بيئة كهذه.

المهدي عند الشيعة الإثني عشريين:

طرفان مسلمان، لا يخفى على الباحث الحيادي أبداً تأثرهم بعقائد وأفكار فارس وغيرها قبل الإسلام، تحتل أسطورة المهدي مكانة مركزيّة في عقائدهم: الصوفيّون السنّة، والشيعة، الذين يعتقدون أنه إمامهم الثاني عشر، الذي دخل غيبة كبرى ذات يوم وسوف يعود منها. لكن أسطورة المهدي، وإن لم تصبح عقيدة مركزيّة عند علماء السنّة عموماً، إلا أن أياً منهم لم يشجبها أو يتبرّأ منها.

ومع أننا نميل إلى اعتبار أن "مهدي" كلفظ مشتقة من "هدى" العربيّة، إلى أنه لا يمكن إغفال الجذر الفارسي "مه" في تفسير معنى الكلمة: ويعني القمر. ودون أن ننسى بعض عقائد العلي -إلهيّة بشأن الإمام علي، يمكن القول إن أحد معاني "مهدي" هو "الشخص الذي يمتلك القمر" أو "الذي وجهه على القمر"؛ وهو ما يتوافق مع قول للإمام الإثني عشري السادس، مؤسس المذهب عمليّاً، جعفر الصادق: إن وجه المهدي سيظهر على القمر. مع أن وجهه سيظهر أيضاً على الحجر الأسود في الكعبة.

يمكن اختصار النقاط التي يتفق فيها السنّة مع الشيعة في مسألة المهدي على النحو التالي:

سيكون المهدي من نسل النبي محمد عبر ابنته فاطمة ؛ سيكون اسمه محمداً ؛ سيحكم سبع سنين، أو تسع، أو تسع عشرة ؛ سيقوم بتوزيع الثروات ؛ سيترافق مجيئه مع ظهور أشياء سيئة ؛ سيرافق ظهوره خروج الدجال ؛ سيكون ثمة كسوف وخسوف في شهر رمضان ؛ سيبزغ من الشرق نجم قبيل ظهوره ؛ سيعيد الدين إلى شكله الأصلي ويقتلع جذور الفساد ؛ سيحارب لأجل الإسلام وينشره في أصقاع المعمورة ؛ ستكون جبهته عريضة وأنفه أقنى وعيناه كحيلتين ؛ سيملأ الكون عدلاً بعدما ما امتلأ بالجور.

مهدي الشيعة الإثني عشريين:

لا شك أن المهدي كرمز أضحى فكرة في غاية القوة ضمن منظومة العقائد الإثني عشرية. فهو إمامهم الثاني عشر والأخير؛ ورغم أن الشكوك تحيط أصلاً بوجوده قط، فالحسن العسكري، والده المفترض، لم ينجب وفق مصادر لا حصر لها، يعتقد الإثنا عشريون أن مهديهم ولد عام 869 للميلاد ؛ لكن الله أخفاه عن الناس وهو في الخامسة ؛ فهو ما يزال حياً في غيبته بانتظار أمر الله له كي يرجع. وسوف يظهر في مكة بين زاوية الكعبة ومقام إبراهيم، ويدعو الناس إلى مبايعته، ليذهب بعدها إلى الكوفة. سيعود الإمام الغائب مع ثلة من مختاريه ؛ وسيكون جزءاً من رجعته أعداءه الذين يقودهم الأعور الدجّال والسفياني. وكما الزرادشتيين تماماً، ستتحارب قوتا الخير

والشر في معركة أبوكاليبتيّة أخيرة، حيث سينتصر المهدي وقواته (سوشيانت) على قوى الشر (أهريمن). الإضافة هنا المأخوذة عن المسيحيّة، هي أنه بعد حكم المهدي الأرض بضع سنوات، سيعود من جديد عيسى المسيح.

علامات المهدي بحسب الإثني عشريين:

قبيل ظهوره سيحل بالأرض الموت الأحمر (السيف) والموت الأبيض (الطاعون)؛ ستظهر شخصيّات عديدة، أهمها: الأعور الدجّال؛ السفياني واليماني؛ سيعود العرب للسيطرة على أراضيهم وطرد الغرباء؛ ستعرف سوريّة صراعاً هائلا بحيث تتدمّر؛ سيضرب الموت والخوف أهل بغداد والعراق؛ وستظهر نار في السماء ويغطيهم اللون الأحمر.

سيرة حياة المهدي بحسب الإثني عشريين:

منزلته: الإمام الثاني عشر؛ اسمه: محمد بن حسن بن علي؛ كنيته: أبوالقاسم؛ ميلاده: 15 شعبان 255 للهجرة = 29 تموز 869 للميلاد؛ مكان الولادة: سامرّاء، العراق؛ حياته: 5 سنوات قبل الإمامة (255 – 260 هـ)، الإمامة، الغيبة الصغرى (260 – 329هـ)، الغيبة الكبرى (329 – إلى اليوم)؛ ألقابه: المهدي، القائم، الحجة، صاحب الزمان، المنتظر، حجة الله، الغائب، صاحب الأمر، إمام العصر؛ أمه نرجس ولم ينجب. السنة والشيعة السبعيّون وغيرهم لا يعتبرون محمد بن الحسن مهدياً.

ميلاد الإمام

وردت قصة ميلاد الإمام المهدي في عدد من كتب الشيعة من أهمها *بحار الأنوار* للمجلسي وتثبت بالفعل ولادته من حيث المصداقية التاريخية. ويعتبر كتاب *بحار الأنوار* مصدر أكاديمي معتبر في المصادر التاريخية. ووردت كالتالي:

عن محمد العطار، عن الحسين بن رزق الله، عن موسى ابن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر، قال: حدثتني حكيمة بنت محمد ابن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قالت: بعث إلي أبومحمد الحسن بن علي عليهما السلام فقال: يا عمة اجعلي إفطارك الليلة عندنا فانها ليلة النصف من شعبان فان الله تبارك والله سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه.

قالت: فقلت له : ومن أمه؟ قال لي: نرجس. قلت له: والله جعلني الله فداك ما بها أثر؟ فقال: هو ما أقول لك.

قالت: فجئت فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا سيدتي كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي! قالت: فأنكرت قولي؛ وقالت: ما هذا يا عمة ؟ قالت: فقلت لها: يا بنية إن الله تبارك والله سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة.

قالت: فجلست واستحيت فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة وأفطرت وأخذت مضجعي فرقدت فلما أن كان في جوف الليل

قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة ثم اضطجعت ثم انتبهت فزعة وهي راقدة ثم قامت فصلت.

قالت حكيمة : فدخلتني الشكوك فصاح بي أبومحمد من المجلس فقال: لاتعجلي يا عمة فان الأمر قد قرب.

قالت: فقرأت الم السجدة ويس فبينما أنا كذلك إذا انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك! ثم قلت لها: تحسين شيئا؟ قالت: نعم يا عمة، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك.

قالت حكيمة: ثم أخذتني فترة وأخذتها فطرة فانتبهت بحس سيدي فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضممته إلي فإذا أنا به نظيف فصاح بي أبومحمد: هلمي إلي ابني يا عمة! فجئت به إليه فوضع يديه تحت أليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ثم أدلى لسانه في فيه وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال: تكلم يا بني!

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم.

قالت حكيمة: فلما كان في اليوم السابع جئت وسلمت وجلست فقال: هلمي إلي ابني! فجئت بسيدي في الخرقة ففعل به كفعلته الأولى ثم أدلى لسانه في فيه. كأنه يغذيه لبنا أو عسلا ثم قال: تكلم يا بني!

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله! وثنى بالصلاة على محمد وعلى آل محمد، ثم تلا هذه الآية «بسم الله الرحمن الرحيم ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون».

قال موسى: فسألت عقبة الخادم عن هذا فقال: صدقت حكيمة.

والروايات الشيعية تتحدث عن بعض الأشياء التي قام بها الحسن العسكري بعد مولد الإمام:

* أنّه أكثر من العقائق عن الإمام المهدي، وهذه من خواصه أنه لم يُعق عن مولود على الإطلاق كما عقّ عن الإمام المهدي، حتّى ورد في الروايات: أنه عقّ عنه ثلاثمائة عقيقة، بل أمر الإمام العسكري عثمان بن سعيد أن يشتري كذا ألف رطل من اللحم وممّا شاكل ويوزّعه على الفقراء، والشيء الملفت للنظر أنّ الإمام نوّع وعدّد الأماكن، مثلاً كتب إلى خواصه في قم أن يعقّوا وأن يقولوا للناس أن هذه العقيقة بمناسبة ولادة المولود الجديد للامام العسكري وأنّه محمد، وهكذا مثلاً كتب إلى خواصه في بغداد وفي سامراء.

* أنّه كان يحضر مجاميع من خواصّه وشيعته وكان يعرفهم على ولده الإمام المهدي وهذا ظاهر من جملة روايات:

مثلاً في *إكمال الدين* للشيخ الصدوق عن أبي غانم الخادم: أنّ العسكري أخرج ولده محمداً في الثالث من مولده وعرضه على أصحابه قائلاً: «هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي

تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فاذا امتلأت الأرض ظلماً وجوراً خرج فيملأها قسطاً وعدلاً».

وهكذا الرواية السابقة التي رواها شيخ الطائفة الطوسي في *الغيبة*: أنّ الإمام أطلع أربعين ـ تقريباً ـ من خواص أصحابه على ولده.

أم المهدي

تروي الكتب الشيعية أن أم المهدي هي نرجس الرومية (مليكة) التي يروى أنها من نسل شمعون الصفا وصي المسيح عيسى بن مريم وكانت ابنة قيصر الروم في عهد الحسن العسكري.

ولدت نرجس في القسطنطينية ورأت في منامها السيد المسيح يبشرها بأنها ستتزوج من الحسن العسكري. وفي إحدى انتقالاتها وقعت أسيرة في يد المسلمين وجيء بها إلى بغداد. وتقول الروايات انه في هذه الأثناء وجه علي الهادي أبوالحسن العسكري، أحد خاصته من سامراء إلى بغداد مع رسالة منه باللغة الرومية (اليونانية)، وأوصاه بتسليم هذه الرسالة إلى فتاة أسيرة جليلة في سوق النخاسة، وقد وصف له بالتفاصيل طبيعة المكان وشكل الفتاة. بعد أن وصف للرسول المكان والشيخ البائع والأسيرة الجليلة، وحمّله مائتين وعشرين ديناراً، ليدفعها ثمناً لمالكها. هنالك في بغداد في سوق العبيد ناول المبعوث كتاب الهادي إلى الفتاة التي كانت ترفض بأباء أن يقترب منها أي أحد. حينها قرأت الرسالة انخرطت بالبكاء وراحت تصرخ مهددة بالانتحار إن لم يوافق النخاس على بيعها إلى ذلك المبعوث. فساوم الرسول الشيخ

البائع، حتى توقف عند الثمن الذي أرسله الهادي فدفعه إليه، ونقلها بتجليل واحترام إلى سامراء. فلما دخلت على الهادي رحب بها كثيراً، ثم بشرها بولد يولد لها من ابنه الحسن العسكري يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً. ثم بعد ذلك أودعها عند أخته "حكيمة" بنت الجواد لتُعلمها الفرائض والأحكام، فبقيت عندها أياماً. بعدها وهبها الهادي ابنه الحسن العسكري فتزوجها، وهي في مقتبل العمر.

أما أبوه، فيعتقدون أن ولادته ظلّت سريّة خوفاً عليه من الاضطهاد الذي كان يواجهه الشيعة على أيدي الخليفة العباسي، المعتمد. وبرأيهم أنه مات مطلع عام 874 للميلاد (8 ربيع الأول، 260هـ) حيث عينه الله إماماً ليقود مؤمني عصره.

إعلان إمامته

بعد وفاة الحسن العسكري تروي الروايات أن أخوه جعفر بن علي الهادي (وكان لا يعلم أن للإمام ابناً) ادعى أنه الإمام ودعى لنفسه. ولكنه عندما علم بأمر محمد المهدي تنازل له وأعلن البيعة لأبن أخيه.

لما قبض سيدنا أبومحمد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليهما وفد من قم والجبال وفود بالأموال التي كانت تحمل على الرسم والعادة، ولم يكن عندهم خبر وفاة الحسن، فلما أن وصلوا إلى سر من رأى سألوا عن سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام، فقيل لهم: إنه قد فقد، فقالوا: ومن وارثه؟ قالوا: أخوه جعفر بن علي.

فسألوا عنه فقيل لهم إنه قد خرج متنزهاً وركب زورقاً في الدجلة يشرب ومعه المغنون، قال: فتشاور القوم فقالوا: هذه ليست من صفة الإمام، وقال بعضهم لبعض: امضوا بنا حتى نرد هذه الأموال على أصحابها.

فقال أبوالعباس محمد بن جعفر الحميري القمي: قفوا بنا حتى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره بالصحة. قال: فلما انصرف دخلوا عليه فسلموا عليه وقالوا: يا سيدنا نحن من أهل قم ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها وكنا نحمل إلى سيدنا أبي محمد الحسن بن علي الأموال؛ فقال: وأين هي؟ قالوا: معنا، قال: احملوها إلي، قالوا: لا، إن لهذه الأموال خبراً طريفاً، فقال: وما هو؟ قالوا: إن هذه الأموال تجمع ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران، ثم يجعلونها في كيس ويختمون عليه وكنا إذا وردنا بالمال على سيدنا أبي محمد يقول: جملة المال كذا وكذا دينارا، من عند فلان كذا، ومن عند فلان كذا حتى يأتي على أسماء الناس كلهم، ويقول ما على الخواتيم من نقش.

فقال جعفر: كذبتم تقولون على أخي ما لا يفعله، هذا علم الغيب ولا يعلمه إلا الله. قال: فلما سمع القوم كلام جعفر جعل بعضهم ينظر إلى بعض فقال لهم: احملوا هذا المال إلي، قالوا: إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب المال ولا نسلم المال إلا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام، فإن كنت الإمام فبرهن لنا، وإلا رددناها إلى أصحابها، يرون فيها رأيهم.

قال: فدخل جعفر على الخليفة ـ وكان بسر من رأى ـ فاستعدى عليهم، فلما أحضروا قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر، قالوا: أصلح الله أمير المؤمنين إنّا قوم مستأجرون، وكلاء لأرباب هذه الأموال وهي وداعة لجماعة وأمرونا بأن لا نسلمها إلا بعلامة ودلالة، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام.

فقال الخليفة: فما كانت العلامة التي كانت مع أبي محمد قال القوم: كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي؟ فإذا فعل ذلك سلمناها إليه، وقد وفدنا إليه مرارا فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا، وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر فليقم لنا ما كان يقيمه لنا أخوه، وإلا رددناها إلى أصحابها.

فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء قوم كذابون يكذبون على أخي، وهذا علم الغيب، فقال الخليفة: القوم رسل وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

قال: فبهت جعفر ولم يرد جواباً، فقال القوم: يتطول أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى من يبدرقنا حتى نخرج من هذه البلدة، قال: فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها.

فلما أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام أحسن الناس وجهاً، كأنه خادم، فنادي يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أجيبوا مولاكم، قال فقالوا: أنت مولانا، قال: معاذ الله، أنا عبد مولاكم فسيروا إليه، قالوا: فسرنا [إليه] معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي عليهما

السلام، فإذا ولده القائم سيدنا قاعد على سرير كأنه فلقة قمر، عليه ثياب خضر، فسلمنا عليه، فرد علينا السلام، ثم قال: جملة المال كذا وكذا ديناراً، حمل فلان كذا، وحمل فلان كذا، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع.

ثم وصف ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدواب، فخررنا سجداً لله عز وجل شكراً لما عرفنا، وقبلنا الأرض بين يديه، وسألناه عما أردنا فأجاب، فحملنا إليه الأموال، وأمرنا القائم أن لا نحمل إلى سر من رأى بعدها شيئاً من المال. فإنه ينصب لنا ببغداد رجلاً يحمل إليه الأموال ويخرج من عنده التوقيعات، قال فانصرفنا من عنده، ودفع إلى أبي العباس محمد بن جعفر القمي الحميري شيئا من الحنوط والكفن فقال له: أعظم الله أجرك في نفسك، قال: فما بلغ أبوالعباس عقبة همدان حتى توفي.

ولعل في أسطورة موت أبيه أحد أبرز الشواهد على اعتقادهم به إماماً. فقد نحّى المهدي عمه جعفر بن علي جانباً، وأم بنفسه المصلين في صلاة الجنازة، وكان عمره خمس سنوات. في تلك اللحظة بالذات، اختفى المهدي ودخل في الغيبة الصغرى.

الغيبة الصغرى (874 – 941):

موضوع الغيبة عند الشيعة له الكثير من الأبعاد والأبحاث ملخصه. فبعد الإعلان عن نفسه والصلاة على جنازة أبيه أمام الملأ وبعدما بدأت السلطة العباسية في الاستقصاء عنه غاب الإمام عن الأنظار.

ويرى الشيعة أن الغيبة ليست شيئاً مستحيلاً أو غير منطقي فكما غاب عيسى في عقيدة أغلب المسلمين وكما يعتقد أهل السنة أن شخصية المسيح الدجال شخصية موجودة منذ أكثر من ألف سنة ولكنها مخفية عن الأنظار وكما يرى بعض المسلمين أيضا أن الخضر يعيش بين الناس ولكنه مختفي، يرى الشيعة إمامهم غائباً منتظراً غيبه الله عن الأنظار حفاظاً على الدين وحفاظاً عليه ولحكم لا يعلمها إلا الله.

كما يعتقد الشيعة فإن الإمام ولمدة 72 سنة كان غائباً ولكنه كان يعين نائباً له يتحدث باسمه ويبلغ الناس عنه؛ وكان له أربعة نواب الواحد تلو الآخر: عثمان بن سعيد العمري؛ محمد بن عثمان العمري؛ الحسين بن روح؛ علي بن محمد السمري.

الغيبة الكبرى (بدأت عام 941 للميلاد؛ 329 هـ):

في ذلك العام أعلن النائب الرابع أن المهدي أمر بأن يموت النواب الأربعة وأن تنتهي حقبة النيابة وتبدأ حقبة الغيبة الكبرى. وبعدها بستة أيام مات النائب الرابع؛ ولا يزال الشيعة بانتظار ظهور المهدي. في العام ذاته، مات علماء شيعة بارزون، مثل علي بن بابويه القمي ومحمد بن يعقوب الكليني.

بدأت الغيبة الكبرى بوفاة السفير السمري سنة 328هـ أو329 هـ. حيث توقفت النيابة وخرجت رسالة من الإمام المهدي على الناس أنه لن يكون هناك نائب عنه مباشر وبالرغم من أن البعض ادعى النيابة

بعد السمري إلا أنهم لم يلاقوا تجمعاً أو نجاحاً وأوصى الإمام في فترة الغيبة الكبرى أن يرجع الناس إلى الفقهاء الحافظين والعلماء العارفين وهو ما سيتحول إلى ما يعرف بالمرجعية الشيعية ؛ وستبقى هذه الغيبة مستمرة حتى يأذن الله.

ومن رسائله التي أوردها الشيخ المفيد «ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلواته على سيدنا البشير النذير محمد وآله الطاهرين وسلم».

يعتقد الشيعة الإثنا عشريون أن المهدي هو المتمم لسلسلة الأئمة، فهو الإمام الثاني عشر والأخير الذي سيأتي ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

نذكّر أخيراً أنه يروى أن الإمام الحادي عشر الحسن العسكري أنجب طفلاً وهو محمد (ولم تثبت هذه الحقيقة التاريخية لدى بعض أهل السنة) وظل يحاول إخفاءه عن الناس إلا المقربين منه فقط خوفا على الطفل من سطوة الدولة العباسية التي كانت تنكل بالعلويين في ذلك الوقت حيث إن الحسن العسكري كان في إقامة جبرية في مدينة عسكر ليكون تحت أنظار السلطة.

الانتظار

ينتهج أغلب الشيعة الآن مفهوم الانتظار، فيعتقد الشيعة أنه على الإنسان أن يكون دائماً مستعداً لظهور الإمام بالبعد عن المعاصي وترقية النفس عن الدنيا والحفاظ على الصلوات والصيام ونشر علوم أهل البيت. وأن يدعو الله دائماً بتعجيل الفرج وخصوصا حين يرى الظلم قد استشرى أو فساداً.

ويقول السيد محمد باقر الصدر بهذا الخصوص "إن الإسلام حوّل فكرة الخلاص من الإيمان بها في الغيب، ومن فكرة ننتظر ولادتها، ومن نبوئه نتطلع إلى مصداقها، إلى واقعاً ننظر فاعليته وإنساناً معيناً يعيش بيننا بلحمه ودمه، نراه ويرانا ويعيش مع آمالنا وآلامنا ويشارك أحزاننا وأفراحنا ويترقب اللحظة الموعودة".

الظهور وإتمام العدل

لكي تتم هذه العملية بالشكل المطلوب والفعال لابد من توفر شروط معينة، وهي التي ذكرها السيد محمد صادق الصدر في *موسوعة الإمام المهدي* (ع) تحت عنوان شرائط الظهور، وهي بشكل مختصر تتمثل في أربع نقاط أو شروط:

الشرط الأول: وجود النظرية أو الأطروحة الكاملة لعملية التغيير. وبمعنى آخر وجود الإيديولوجية الفكرية الكاملة والقابلة للتنفيذ في كل الأمكنة والأزمنة والتي تضمن الرفاهية للبشرية جمعاء، وهذا ما تم بالفعل بوجود الشريعة الإسلامية والرسالة المحمدية الخاتمة.

الشرط الثاني : وجود القائد المحنك الذي يقود عملية التغيير الشامل. حيث ينبغي أن يمتلك هذا القائد العظيم القابلية الكاملة لقيادة العالم كله ونشر العدل فيه، وهذا أيضا قد حصل والمتمثل في وجود الإمام المهدي (ع).

الشرط الثالث : وجود العدد الكافي من الأنصار والمؤازرين للقائد العظيم الذين يشكلون قاعدة للتغيير ولديهم مستوى عالٍ من الوعي والاستعداد للتضحية بين يدي القائد بحيث يعتمد عليهم في نشر العدل في جميع أنحاء المعمورة ويكونون قادة لجيش الإمام ومقاتلين بين يديه.

الشرط الرابع: وجود قاعدة شعبية مؤيدة وكذلك استعداد عالمي للتغيير؛ أي وجود العدد الكافي من المؤمنين المؤيدين للإمام في حال ظهوره، وكذلك وجود استعداد لدى شعوب العالم لقدوم المخلص المنتظر.

من هنا نعرف أن ظهور الإمام (ع) سوف يتحقق لنا متى اجتمعت هذه الشروط في زمن واحد مهما طال الزمن، حيث أن هذه الشروط كفيلة بإنجاح عملية التغيير المنشودة، واستحالة تخلف وعد الله لعباده الصالحين.

يكون الظهور في سنة وتر أي: واحد، ثلاثة، خمسة، سبعة، تسعة من السنين الهجرية.

ويبدأ ليلة التاسع من محرم بعد صلاة المغرب والعشاء في الحرم المكي (في الكعبة) وليلة جمعة ويكون أصحابه ومعاونوه في الأرض الـ313، من حوله فيوجه بيانه إلى أهل مكة، ثم يسيطر أصحابه وبقية أنصاره على الحرم في تلك الليلة، وعلى مكة، وفي اليوم الثاني، أي العاشر من محرم، يوجه بيانه إلى شعوب العالم كافة وبجميع اللغات، وتبدأ عملية الظهور المقدس حتى تنتهي بملء الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ويقول شيخ الطائفة أبوجعفر الطوسي بهذا الخصوص: "الذي نقوله في هذا الباب.. أن الذي هو لطفنا من تصرف الإمام وانبساط يده لا يتم إلا بأمور ثلاثة: أحدها يتعلق بالله وهو إيجاده (ع)، والثاني يتعلق به من تحمل أعباء الإمامة والقيام بها، والثالث يتعلق بنا من العزم على نصرته ومعاضدته والانقياد له".

علامات الظهور

باختصار من مصدر كتاب العلامة الشيخ علي الكوراني، عصر *الظهور*:.

العلامة الأولى الكبرى:

اجتماع اليهود في أرض فلسطين

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾. – الإسراء 104

«وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي

بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا». الإسراء 4 -7

1. تشير الآيات إلى أن وقت ظهور الإمام يكون فيه اليهود مجتمعين ومسيطرين على المسجد الأقصى، لأن عملية الدخول سوف تكون بالقوة، إلى المسجد (دخول الفاتحين).
2. أنه قبل الظهور مباشرة توجه ضربات لليهود في فلسطين "ليسوؤوا وجوهكم"، أي أن هناك ضربات مؤلمة ومذلة سوف يتعرض لها اليهود قبل الظهور.
3. من المعروف في الروايات الإسلامية والمتفق عليها عند الطرفين أن المسلمين سينتصرون في المعركة الأخيرة، وسيكونون بقيادة المهدي.

إذاً هناك أربع إشارات تشير إليها الآيات:

1. اجتماع اليهود في فلسطين "جئنا بكم لفيفا."
2. احتلالهم للمسجد الأقصى والقدس "وليدخلوا المسجد."
3. "وليسوؤوا وجوهكم" ضربات موجهة من المقاومة قبل التحرير.
4. قيادة الإمام المهدي للمسلمين في هذه الحرب... وهذا ما ينتظره الآن المسلمون.

العلامة الثانية الكبرى:

خروج رجل من قم

رجل من قم يدعو الناس إلى الحق يجتمع معه قوم قلوبهم كزبر الحديد لا تزلهم الرياح والعواصف لا يملون من الحرب ولا يجبنون وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين.

العلامة الثالثة الكبرى:

قوة عسكرية وإعلامية للإمام قبل الظهور:

في تفسير قول القرآن "بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد"، عن الصادق: «قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وتراً (أي عدواً) لآل محمد صلى الله عليه وآله إلا قتلوه».

العلامة الرابعة الكبرى:

"المهدي مبدأه من المشرق" مسند أحمد وسنن الترمذي والبيهقي في الدلائل؛ أي تبدأ عملية الظهور من المشرق، من قبل بلاد فارس. «تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء القدس.« وهي تشير إلى أن الجيش الذي ينطلق مع الإمام يبدأ تحضيره في خراسان، ويكون هو الجيش الذي يتوجه مع الإمام إلى القدس.

وفي حديث عن الباقر: كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا... ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم (أي المهدي عج) قتلاهم شهداء... أما

أني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر (أي المهدي عج).

العلامة الخامسة الكبرى:

العمائم السود من ذرية الرسول يقاتلون أعداء الإمام قبل الظهور.

عن أبان بن تغلب عن الإمام الصادق قال: «إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل الشرق وأهل الغرب! أتدري لم ذلك؟» قلت: لا قال: «للذي يلقى الناس من أهل بيته».

من الواضح أن الذرية من بني هاشم سيكون لهم دور سياسي كبير ومميز في العالم الإسلامي يزعج العالم بأجمعه في الشرق والغرب. كما سيكون لهم من النفوذ والقوة.

ومن الواضح أن هذه العمائم السود التي هي من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم تطلب الحق، وستزعج العالم لأنها لا تستسلم كالآخرين، وكأن رأيهم واحد، فهم من مدرسة واحدة وهي مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تعلمهم هيهات منا الذلة، فتسلم الراية للإمام المهدي في آخر الزمان.

العلامة السادسة الكبرى:

أبواب القدس: أناس يقاتلون على أبواب بيت المقدس يلقون عناية الإمام الحجة قبل الظهور؛ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزال عصابة من أمّتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة (الظهور)».

ورد في الرواية عن الإمام المهدي أنه: »حزب يقاتل على أبواب بيت المقدس أنا منهم وهم مني» (مئتان وخمسون علامة ظهور).

العلامة السابعة الكبرى: العراق - دخول قوات غربية إلى العراق!

«ورود خيل من قبل الغرب حتى تربط بفناء الحيرة.»

العلامة الثامنة الكبرى: العراق ـ إستشهاد نفس زكية في النجف مع 70 من الصالحين!

«قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين».

العلامة التاسعة الكبرى: العراق ـ انتقال العلم من النجف إلى قم قبل الظهور.

يقول الإمام الصادق: ستخلو الكوفة من المؤمنين، ويأزر عنها العلم كما تأزر الحية في جحرها ثم يظهر العلم ببلد يقال لها قم، وتصير معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدّرات وذلك عند قرب ظهور قائمنا.

وعن الصادق: وأن البلايا مرفوعة عن قم وأهلها، وسيأتي زمان تكون قم وأهلها حجة على الخلائق، وذلك زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره.

العلامة العاشرة الكبرى: العراق ـ خروج السفياني المنتظر وهو شخص يجهز جيوشه للبطش بأتباع آل البيت النبوي قبل ظهور المهدي.

عن جابر بن زيد الجعفي قال سألت أبا جعفر (الإمام الباقر) عن السفياني فقال: «وأنّي لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيصباني يخرج بأرض كوفان، ينبع كما ينبع الماء فيقتل وفدكم فتوقعوا بعد ذلك السفياني وخروج القائم«.

العلامة الحادية عشرة الكبرى: سقوط العراق بيد قوات أجنبية وتعم الفوضى في بغداد!

ورد في رواية خطبة البيان عن أمير المؤمنين: ألا يا ويل بغداد من الري من موت وقتل وخوف يشمل أهل العراق إذا حل بهم السيف فيقتل ما شاء الله... فعند ذلك يخرج العجم على العرب ويملكون البصرة.

العلامة الثانية عشرة الكبرى: الحجاز ـ آخر حكام الحجاز اسمه عبد الله!

عن الإمام الصادق: من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم (أي ظهور الإمام)، ثم قال: إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد ولم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله، ويذهب ملك السنين ويصير ملك الشهور والأيام، فقلت: يطول ذلك؟ قال: كلا.

العلامة الثالثة عشرة الكبرى: العالم ـ خوف الناس قبل الظهور من الأوبئة والزلازل والأعاصير.

في الحديث عن أمير المؤمنين يشير إلى علامات الظهور (نعم قتل فظيع وموت سريع وطاعون شنيع).

وعن الإمام الباقر: »لا يقوم القائم إلا على خوف شديد وطاعون (وباء) قبل ذلك«.

العلامة الرابعة عشرة الكبرى: الكون ـ دخول مذنّب إلى مدار الأرض فيغيّر كل الطبيعة الفلكية على الأرض.

ذكر نعيم بن حماد عن الوليد قال بلغني أنه قال يطلع نجم من قبل المشرق قبل خروج المهدي، له ذنب يضيء لأهل الأرض كإضاءة القمر ليلة البدر.

العلامة الخامسة عشرة الكبرى: القادة ـ الخراساني: الخراساني هو الذي يسلم الراية إلى الإمام المهدي أو يكون أعلى منصب عند أهل (خراسان) حتى يسلم راية الولاية والقيادة إلى الإمام المهدي. إذا خرجت خيل السفياني (عدو الإمام المهدي) إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي (أي لمبايعته) فيلتقي هو الهاشمي (الخراساني) برايات سود على مقدمته شعيب بن صالح (قائد الجيش) فيلتقي هو وأصحاب السفياني بباب إصطخر (منطقة بجنوب إيران) فيكون بينهم ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود (أي تنتصر) وتهرب خيل السفياني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي (أي لمبايعته كما بايعه أتباعه) ويطلبونه.

ورد في الروايات مواصفات الخراساني كالتالي: 1 ـ سيد هاشمي حسيني. 2 ـ من خراسان. 3 ـ صبيح الوجه. 4 ـ في خده الأيمن خال. 5 ـ في يده اليمنى خال أو خلل (الخال في اللغة علامة ضعف).

العلامة السادسة عشرة الكبرى: القادة - شعيب بن صالح! عن عمار بن ياسر: المهدي على لوائه شعيب بن صالح. وفي رواية أخرى: إن على مقدمة جيش المهدي رجلاً من تميم ضعيف اللحية يقال له شعيب بن صالح. وعن محمد بن الحنفية: ثم تخرج من خراسان رايات سود قلانسهم سود وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم، يهزمون أصحاب السفياني، حتى تنزل ببيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه.

أما مواصفاته بحسب الروايات كالتالي: 1ـ شاب أسمر. 2 ـ خفيف اللحية. 3 ـ نحيل. 4 ـ قائد القوات. 5 ـ صاحب بصيرة ويقين وتصميم لا يلين. 6 ـ رجل حرب من الطراز الأول لا ترد له راية. 7 ـ إنه من أهل الري.

العلامة السابعة عشرة الكبرى: القادة ـ اليماني. عن الصادق: وليس في الراويات راية أهدى من راية اليماني، هي راية حق لأنه يدعو إلى صاحبكم فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس، وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق، وإلى صراط مستقيم.

ورد في الروايات أن مواصفاته كالتالي:

1ـ سيد هاشمي. 2 ـ من نسل الإمام الحسين (أي حسيني). 3 ـ اسمه حسن. 4 ـ يماني (إما أن يكون من اليمن من قبائل يمنية أومن اليُمن والبركة). 5 ـ عالم دين. 6 ـ رايته موالية لراية أهل البيت.

العلامة الثامنة عشرة الكبرى: السفياني وانقلاب دمشق وأنه سيكون أكبر عدو للإمام المهدي. عن السجاد : إن القائم حتم من الله وأمر السفياني حتم من الله ولا يكون قائم إلا بسفياني. وعن أمير المؤمنين قال: يخرج ابن آكلة الأكباد (إشارة إلى جدته هند) من الوادي اليابس (سوريا) وهو رجل ربعة (مربوع) وحشي الوجه ضخم الهامة بوجهه أثر جدري، إذا رأيته حسبته أعور، وأبوه (عتبة بن أبي سفيان) وهو من ولد أبي سفيان، حتى يأتي أرض قرار ومعين فيستوي على منبرها.

العلامتان التاسعة عشرة والعشرون: آخر العلامات ـ الصيحة والنفس الزكية. وعن محمد بن مسلم: ينادي مناد من السماء باسم القائم، فيسمع ما بين المشرق والمغرب، فلا يبقى راقد إلا قام، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه من ذلك الصوت، وهو صوت جبرائيل، الروح الأمين.

وفي رواية يصيح أن الحق مع آل محمد عليهم السلام، وتكون الصيحة في النصف من شهر رمضان، وتقول رواية أخرى إن إبليس يتحير ماذا يفعل بهذه الهزيمة الإعلامية الكبيرة، فينادي في الأرض بنداء مضاد، لكي يربك الناس أن الحق من النصارى، وهذه الصيحة تكون في نفس العام الذي يظهر فيه الإمام.

ومن العلامات التي أشارت إليها الروايات قتل نفس زكية، وإن المهدي لا يخرج حتى تقتل نفس زكية في الكعبة اسمه محمد، وهو

حسني النسب أي سيد حسني من نسل الإمام الحسن، والظاهر أنها تكون قبل الظهور بسنة، أوفي نفس سنة الظهور وتعتبر هاتان العلامتان من أواخر العلامات قبل الظهور. فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض.

السمات المذهبيّة للمهدي الإثني عشري:

يتميّز مهدي الإثني عشريين، بين كل المخلّصين الذي تنتظرهم الشعوب والأديان، بسماته المذهبيّة المعادية لأهل السنّة والجماعة، والتي لا يمكن فهمهما إلا عبر التفسير النيتشوي الذي يرى فيه إن المضطهدين ينتقمون ممن يضطهدهم بخلق عالم ما ورائي، يتخيّلون فيه من يضطهدهم في حالة اضطهاد.

هنا شذرات مما سيفعله الإمام الغائب قبل أن يملأ الأرض عدلاً ونوراً كما ملأت جوراً، حسب روايات الشيعة، في مكة والمدينة فقط: 1) قتل الحجاج بين الصفا والمروة « كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة » وقد عزى المجلسي كلامه إلى كتاب الاختصاص المفيد. 2) قطع أيدي وأرجل المشرفين على الحرم وقتلهم لاحقاً « كيف بكم لو قطعت أيديكم وأرجلكم وعلقت في الكعبة ثم يقال لكم: نادوا نحن سراق الكعبة» و أيضاً: «إذا قام المهدي هدم المسجد الحرام... وقطع أيدي بني شيبة وعلقها بالكعبة وكتب عليها هؤلاء سرقة الكعبة ». « يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً فأول ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهما

ويعلا في الكعبة وينادي مناديه هؤلاء سرّاق الله ثم يتناول قريشاً فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف». وسيُكثر القتل في قريش والعرب خاصة! عن أبي عبد الله قال: « إذا قام القائم من آل محمد (عليه السلام) أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات». 3) سرقة أموال الحجاج واغتصابها كلما حانت الفرصة: «خذ مال الناصب حيثما وجدته وأدفع إلينا الخمس»؛ كما جاء في كتب الطوسي وابن إدريس والحر العاملي: «مال الناصب وكل شيء يملكه حلال». 4) القذف العام لحجاج بيت الله الحرام ما عدا الإثني عشريين: « إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار الحسين بن علي عشية عرفة قبل نظره إلى الموقف، لأن في أولئك ـ يعني حجاج بيت الله ـ أولاد زناة وليس في هؤلاء أولاد زنا». ويستند فيض الكاشاني كلامه هذا على ما جاء في تفسير العياشي القائل: «ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته فإن علم أن المولود من شيعتنا حجبه من ذلك الشيطان وإن لم يكن المولود من شيعتنا أثبت الشيطان أصبعه في دبر الغلام فكان مأبوناً وفي فرج الجارية فكانت فاجرة». 5) نزع الحجر الأسود من الكعبة: «يا أهل الكوفة لقد حبكم الله عز وجل بما لم يحب أحد من فضل مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس وصلى إبراهيم .. ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه». 6) هدم الحجرة النبوية، وإخراج جسدي الخليفتين الراشدين، أبي بكر وعمر، وكسر المسجد النبوي: «وأجيء إلى يثرب فأهدم الحجرة

وأخرج من بها وهما طريان فآمر بهما تجاه البقيع وأمر بخشبتين يصلبان عليهما. فتورقان من تحتهما فيفتن الناس بهما أشد من الأولى ». «فعن أبي عبد الله قال: «هل تدري أول ما يبدأ به القائم (المهدي) عليه السلام؟ قلت: لا، قال: يخرج هذين رطبين غضين فيحرقهما ويذريهما في الريح، ويكسر المسجد». والقصد هنا أبا بكر وعمر. «إذا قدم القائم عليه السلام وثب أن يكسر الحائط الذي على القبر فيبعث الله تعالى ريحا شديدة وصواعق ورعودا حتى يقول الناس: إنما ذا لذا، فيتفرق أصحابه عنه حتى لا يبقى معه أحد، فيأخذ المعول بيده، فيكون أول من يضرب بالمعول ثم يرجع إليه أصحابه إذا رأوه يضرب المعول بيده، فيكون ذلك اليوم فضل بعضهم على بعض بقدر سبقهم إليه، فيهدمون الحائط ثم يخرجهما غضين رطبين فيلعنهما ويتبرأ منهما ويصلبهما ثم ينزلهما ويحرقهما ثم يذريهما في الريح». « وهذا القائم .. هو الذي يشفي قلوب هو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين فيخرج اللات والعزى طريين فيحرقهما إن الله أرى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم المهدي والأئمة ؛ فقال: «يا رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذي يحل حلالي ويحرم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي وهو راحة لأوليائي وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزى طريين فيحرقهما، فلفتنة الناس بهما يومئذ أشد من فتنة العجل والسامري». وعلق المجلسي بعد إيراده هذه الرواية: «يعني باللات والعزى، صنمي قريش، أبي بكر وعمر». وقال تعليقاً على

رواية أخرى: «لعل المراد بإحداث الحدث، إحراق الشيخين الملعونين». ثم سيبعث عائشة أم المؤمنين من قبرها ويقيم عليها الحدّ. عن أبي جعفر قال: «أما لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة (عليها السلام) منها». 7) هدم المسجد الحرام والمسجد النبوي «إن القائم سيهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه ومسجد الرسول(ص) إلى أساسه».

أما سائر العرب ما عدا قريش، فليس بينه وبينهم إلا الذبح! عن أبي عبد الله قال: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح وأومأ بيده إلى حلقه». وفي نص آخر لا تستثنى قريش من الذبح، فعن أبي جعفر أنه قال: «لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقريش، فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم». وقد سُئل الإمام الباقر خامس أئمة الشيعة، عن المهدي هل سيسير بسنة محمد، فقال: «هيهات، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، سار في أمته باللين، وكان يتألف الناس، والقائم أمر أن يسير بالقتل وأن لا يستتيب أحداً».

وأخيرا ننقل كلام حسين الخراساني أحد آيات الله عند الشيعة: «إن طوائف الشيعة يترقبون من حين لأخر أن يوماً قريباً آت يفتح الله لهم تلك الأراضي المقدسة»، ويقصد أنهم ينتظرون قدوم المهدي لكي يفتحها.

وسماته اليهوديّة:

«عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي رجل من ولدي لونه لون عربي وجسمه جسم إسرائيلي على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري، يملأ الأرض عدلاً كما ملأت جوراً، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء، والطير في الجو». وعن أبي عبد الله قال: «إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود (عليه السلام)، ولا يحتاج إلى بينة».

ملحق 2:

ميثرا

لا يمكن فهم الوضع الميثولوجي ـ الديني لمنطقة الشرق الأوسط إلاّ عبر تلك اللوحة الفسيفسائية التي يساهم كلّ معتقد في إضافة حجر صغير إليها بحيث يبدو أن تجاهل تفصيل صغير من تلك المعتقدات يمكن أن يشوّه الصورة البانوراميّة الميتافيزيكيّة!

يحتفل كلّ المسيحيين تقريباً بعيد ميلاد المسيح في الخامس والعشرين من كانون الأوّل ـ ديسمبر من كلّ عام! ومع أنّ المؤمنين بالمسيح يختلفون فيما بينهم حول ماهيته، فالمسيحيّة الأرثوذكسيّة تقول إنه "إله منبثق من إله"، رغم تناقض المسيحيين الأرثوذكس حول بعض التفاصيل، في حين تقول بعض المسيحيّة اللاتقليديّة، كشهود يهوه، أو جماعة لاهوت الصيرورة، والمسلمون، إنه نبي مرسل مع بعض الاختلافات في التفاصيل، فإن كلّ أولئك المؤمنين أن يسوع هو المسيح يرفضون قطعياً اعتبار يسوع إله الشمس: فمن أين جاء الاحتفال بعيد ميلاده يوم الخامس والعشرين من كانون الأوّل ـ ديسمبر، البداية تقريباً لعودة النهار عن القصر، وولادة الشمس، إذن؟ ومن هو إله الشمس هذا الذي أخذ يسوع بعض سماته والذي ما تزال بعض سمات

عبادتـه، كعيـد المـيلاد مـثلاً، موجـودة في المسـيحيّة حتـى الآن؟

ميثرا: مدخل تعريفي!

لا شكّ أن أهورا مزدا، إله الخير في الزرادشتية، أهم إله في البانثيون الإيراني القديم. لكن هذا لا يعني أنه كان الإله الأوحد بالنسبة لهم؛ فبمحاذاة أناهيتا، كان ميثرا أحد الآلهة الرئيسة في ذلك البانثيون؛ وهو الذي عبر حدود العالم الفارسي ليصبح من ثمّ أهم إله في الديانة السرانيّة -الباطنيّة التي كانت شائعة آنذاك في الامبراطوريّة الرومانيّة! بل غالباً ما ذكر ميثرا في الأفستا والأدب الزرادشتي الحديث؛ كما أنّ الأفستا تكرّس له ترتيلة بأكملها! إضافة إلى ما ذكرناه آنفاً، يمكننا الإشارة أيضاً إلى الميثراكانا، وهو احتفال سنوي كبير يقام في الشهر السابع من التقويم الزرادشتي، مكرّس لميثرا أيضاً، كما يدلّ اسمه، واستمرّت أشكال معدّلة منه حتى دخول المسلمين المنطقة.

ثمّة مراجع أخرى عديدة تقودنا كلها إلى إله الشمس هذا: فالمخطوطات الأخمينيّة، بدءاً بأرتحششتا الثاني (404 -309 ق.م.)، تذكره جنباً إلى جنب مع أهورا مزدا وأناهيتا؛ وعلى نقود الامبراطوريّة كان اسمه ميورو، وكان يصوّر كإله للشمس؛ وفي المانوية البارثيّة والسوغديانيّة يظهر تحت اسم ترتوس ليغاتوس؛ أمّا في المانوية الفارسيّة فيظهر باعتباره سبرتوس فرنس، وهكذا.

في الأساس، ميثرا هو إله النور: فهو الذي يجرّ الشمس بخيوله السريعة؛ وهو أوّل من يصل إلى قمّة جبل هارا، مركز الأرض، ومن

هناك يراقب منازل كلّ الآريين ؛ وهو الذي يشعّ بأنواره الذاتيّة فيجعل أشكالاً عديدة من العالم مرئيّة صباحاً. في العالم الإيراني، بجانب كونه إله النور الذي يحمل سمات شمسيّة (تُفسّر تماثله مع الإله شمش في منطقة ما بين النهرين) قويّة، يمتلك ميثرا أهميّة واضحة كإله للحرب! وإذا ما أردنا مقارنته بآلهة البانثيون الهندوسي، ميثرا أقرب إلى أندرا منه إلى ميترا في الفيدات، أسفار الهندوس المقدّسة. لميثرا أيضاً سمات الآلهة المسؤولة عن هطول المطر وهو ما يؤدي إلى الازدهار بحماية الماشية من الموت عبر توفير المراعي الكثيرة لها!

تشكّل عبادة ميثرا وأناهيتا التجدّد الأساسي في الزرادشتيّة بعد زرادشت، وتمثّل أهم توافق للزرادشتيّة مع التعدّديّة الإلهيّة القديمة. ومن المفيد هنا أن نشير إلى دور ميثرا كمحام عن "آشا"، النظام والحقيقة - المبدأ الأساسي للديانة الإيرانيّة -الهندوسيّة القديمة، والزرادشتيّة أيضاً - الذي ينقذه من وصمة التعدّديّة الإلهيّة التي أدانها زرادشت أصلاً.

يُعتقد عموماً أنّ ميثرا - الإله أقدم ربما من تاريخ انفصال فرع غزاة الهند الآريين عن جذعهم الإيراني، وذلك لأنه مذكور في الوثائق السنسكريتيّة والفارسيّة القديمة!

منذ عصور ما قبل الزرادشتيّة، تسلّلت عبادة ميثرا الإيراني، إله الشمس والعدالة والعقود والحرب، إلى روما، وهناك عرف باسم ميثراس، في القرنين الثاني والثالث للميلاد؛ وكان لهذا الإله المؤمنون به كجزء من الولاء للإمبراطور. لكن فرض المسيحيّة كدين رسمي

للإمبراطوريّة الرومانيّة من قبل الإمبراطور قسطنطين في بداية القرن الرابع للميلاد، هزم المثرويّة بسرعة لتحلّ المسيحيّة محلها.

الديانة الميثرويّة:

بعد مرورنا السريع على بعض جوانب ميثرا الإله، نصل الآن إلى الميثرويّة الديانة، التي أُشيدت أساساً على هذا الإله الإيراني، لكنها تطوّرت من ثم، تاريخيّاً وجغرافيّاً، وفق الأمكنة التي وصلت إليها أو تاريخ وصولها.

إنها ديانة سرّانيّة ذات بناء قريب من ذلك الذي تميّزت به الديانات السرّانيّة الأخرى، وأساسها فكرة تتحدّث عن إله يجتاز سلسلة حوادث معقّدة دون هزيمة. ومع أن الميثرويّة ديانة إيرانيّة الجذور، وهو ما تشير إليه حقيقة أن ميثرا عُرف على الدوام كإله فارسي، فالديانة أخذت شكلها العام خارج إيران، حين انتشرت داخل الإمبراطوريّة الرومانيّة. فالميثرويّة استهوت العالم الروماني بسبب فلسفتها السرّانيّة، التي تركّز على حياة النفس وصعودها، كما سنفصّل لاحقاً، عبر العوالم الكونيّة السبعة. ويتجسّد هذا الصعود في سبع درجات استهلاليّة، متأوّجاً من ثم في المستوى التصاعدي للنجوم الثابتة أو aeternitas.

المنابع:

يُقال عموماً إنّ آسيا الصغرى هي على الأرجح نبع الميثرويّة والأرض لتي انطلقت منها تلك الديانة، حيث تواجدت الجماعات الفارسيّة وكهنتها، الذين كانوا يسمّون بالماغي [المجوس]، في نهاية

مرحلة الحكم الأخميني (بدءاً بالقرن الخامس قبل الميلاد وانتهاء بالقرن الرابع قبل الميلاد). كانت هذه الجماعات تفضّل حلولاً توفيقيّة مع الديانات المحليّة، من هنا فالاعتقاد السائر هو أنّ الميثرويّة، كما وصلت إلينا، ليست غير نتيجة لتهجين عناصر كثيرة. وهكذا لا يمكننا فهم الميثرويّة أو تفسيرها دون أن نضع بحسباننا المقابلة بين العالمين الدينيين لإيران وبلاد ما بين النهرين. فانتشار العناصر الفلكيّة فيها يوحي أنّ ديانة بابل الفلكيّة، التي تطوّرت بشكل خاص في الألف الأولى قبل الميلاد، لعبت دوراً هامّاً في تكوّن الميثرويّة. ولا بأس من الافتراض أنّه في زمن أكثر قدماً اتحد الإله الإيراني ميثرا مع شمش، إله الشمس في بلاد ما بين النهرين.

تشير عناصر كثيرة إلى انتشار كبير لعبادة ميثرا في النصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد في المناطق الغربيّة لحدود الدولة الأخمينيّة، من آسيا الصغرى إلى بابل وأرمينيا. وفي هذه الحالة لا يمكننا الحديث عن ميثرويّة، بل فقط عن عبادة الإله ميثرا المختلفة عن الأصل الذي كانت عليه في إيران الزرادشتيّة. لكن النسخة الإغريقيّة للإله الإيراني، في القرن الأوّل قبل الميلاد، واضحة المعالم. وكما تُظهر نُصب كالنيكوس Kallinikos وأنثيوخوس Anthiochus، يتماثل ميثرا مع هليوس وأبولو وهرمس. أمّا بالنسبة إلى فهم تطوّر الديانة في الإمبراطوريّة الرومانيّة، فإن شهادة بلوتارك Plutarch في "حياة بومبي Pompy " تبدو ذات أهميّة خاصّة. فهي تتعلّق بعبادة ميثرا وفق الصورة التي انتشرت بها بين قراصنة كيليكيا، في منطقة جنوب آسيا الصغرى،

التي يفترض أنها منبع الطقوس الاحتفاليّة السرانيّة للميثرويّة وقت كان بلوتارك على قيد الحياة. لدينا أيضاً منابع للميثرويّة أكثر قدماً من السابقة، من ذلك بوزيدونياس Posidonias، على الغالب. وهكذا، يمكننا تتبع أثر العبادة الرومانيّة لميثرا وصولاً إلى العام 100 ق.م.

كانت فترة حضانة الديانة الجديدة طويلة على الأرجح. وفي Thebas يطالعنا نصب لميثرا، نراه فيه وهو يقوم بذبح عجل، الأمر الذي يدلّ على وصول الديانة إلى روما بالذات. وقد كان هذا بداية الانتشار العريض للميثرويّة، الذي نصادفه في ظلّ الأباطرة الفلافيين Flavian، في الربع الأخير من القرن الأوّل للميلاد. لكننا لا نستطيع تحديد المراحل الخاصّة بتحوّل الإله الإيراني هذا إلى إله الرومان السرّاني. مع ذلك، يمكننا أن نستنتج أنّ للتحوّل أساساً ميزتين رئيستين من ميزات الإله الإيراني: ميثرا هو إله النور، القريب من الشمس، وميثرا هو إله الخلاص.

من المنابع يمكننا التأكّد من السمات الشمسيّة لميثرا، لكن ميثرا ليس تشخيصاً للشمس، مع أن اسمه، مثر Mithr، هو أحد أسماء الشمس. في الأفستا، يبدو هذا الإله وكأنه على علاقة بهفار خشيتا Hvar Khashaeta أو الشمس المشرقة، مثلما هي العلاقة بين ميثرا الروماني والشمس Sol. أمّا بالنسبة إلى الاستدلال على طبيعة الإله الإيراني كإله خلاص فيمكن الوصول إليه من براهين كثيرة. من ذلك على سبيل المثال، أسطورة توفيقيّة هامّة من الحقبة البارثيّة عن المخلّص، خالق الكون، الذي كان ميثرا، المولود في مغارة، نصيراً له.

أمّا عيد ميلاده، الذي كانوا يحتفلون به يوم 25 كانون الأوّل - ديسمبر، فقد كانت تصحبه دلالات خاصّة وأعياد تجلّ شهيرة، واعتبر رمزاً لطقس ملكي مصاحب لمسألة إدخال أحدهم في الديانة.

تاريخ ميثرا:

قبل زرادشت، أي القرن السادس قبل الميلاد وما قبل، كان للإيرانيين آلهة كثيرة؛ وكان ميثرا أحد الآلهة ذات الأهميّة الفائقة. ومع أنّه مذكور كإله فارسي هام في مدوّنات الكتّاب الإغريق، خاصة تلك التي تعود إلى الزمن الهلنستي، إلاّ أنّ تاريخه غامض. وكما يذكر أحد المراجع، ففي الزرادشتيّة يصادفنا ميثرا كمجرّد يازاتا، وهو أحد أنواع الملائكة، قوّة من نور تحارب إلى جانب أهورا مزدا. وما نزال بحاجة إلى من يبرهن على أن مكانته كانت أعلى من ذلك.

لقد كان إله العقود والالتزام التبادلي. وفي رقم مسماري من القرن الخامس عشر قبل الميلاد، يذكر ميثرا كإله للقَسَم. اسم ميثرا الإله مترادف مع كلمة ميترا، التي تعني "عقداً"، كما يقترح أنطوان ميليه. وفي بعض المصادر الهندوسيّة الفيديّة القديمة، يظهر الإله ميترا كصديق وإله للعقود. ويصح ترجمة كلمة ميترا بمعنى العقود والصداقة على حدّ سواء. فالعقود والالتزام التبادلي تفضي إلى نوع من الصداقة.

باختصار، يمكن أن يشير ميثرا إلى نوع من العلاقات الإنسانيّة أو إلى شيء يقيم بين بني البشر علاقات جيّدة. دُعي ميثرا المداوي أيضاً. وكما أشرنا من قبل، فهو إله الشمس الذي يغمر بنوره المضيء كلّ

شيء. ويقال إنه ربما كان إله الملوك، كإله للإلتزام التبادلي بين الملك ومحاربيه، لذلك فهو أيضاً إله الحرب. إضافة إلى كلّ ما سبق، فميثرا كان إله العدالة، الذي يكفله الملك. وحيث كان الناس يهتمّون بالعدالة والعقود، كان ميثرا يفرض تبجيله.

كان شائعاً بين الشرقيين في حقب مختلفة الأسماء المشتقة من ميثرا، كميثريداتس (اسم أحد الملوك في آسيا الصغرى).

منذ داريوش (522 -486 ق. م.)، كان ملوك الفرس من السلالة الأخمينيّة زرادشتيين. لكن داريوش وخلفاءه لم يكونوا يميلون إلى خلق الصعوبات السياسيّة لأنفسهم عن طريق اقتلاع الاعتقادات القديمة التي ظلت عزيزة على قلوب كثير من النبلاء. وتدريجيّاً راحت الديانة الزرادشتيّة تحتوي عناصر من الديانات القديمة، متعدّدة الآلهة. فألفت التراتيل على شرف الآلهة القديمة. وكان هنالك أيضاً تراتيل مكرّسة لميثرا، يوصف فيها الإله كإله للنور السماوي، عليم بكلّ شيء، يحمي العهود، ويصون الحقيقة في عالمنا هذا والعالم الآخر؛ لكنه قبل كلّ شيء، العدو الأكبر لقوى الشرّ والظلام - وهكذا فهو إله المعارك والانتصارات.

في أواخر الحقبة الأخمينيّة، سيطرت السمات الزرادشتيّة على تلك التعددية الإلهية، في هذه الديانة التي كانت تحتوي عناصر متمازجة. فالتضحية بالثور، التي كان الزرادشتيون يأنفون منها، لم تكن تذكر قط. وحين أخضع الاسكندر الكبير الامبراطوريّة الفارسيّة

لنفوذه عام 330 ق. م.؛ بدا أن البنيان القديم للمجتمع سوف ينكسر بالكامل، فلم تعد عبادة ميثرا مباحة في فارس.

كانت عبادة ميثرا قد انتشرت في الأماكن التي غزاها الفرس؛ ووصلت، بشكل خاص، إلى وادي الفرات حيث استقرّت لفترة طويلة للغاية؛ حتى أن كثيراً من الكتّاب اليونان والرومان تحدّثوا عن هذا الإله كإله آشوري. فرع آخر من تلك الديانة ترسّخت أقدامه في كيليكيا؛ وكانت أهميته خاصّة نظراً للتطوّرات اللاحقة التي عرفتها الديانة. ولسبب أو لآخر، لم يخترق ميثرا قط الأجزاء الغربيّة من آسيا حتى أوقات متأخرة، أي بداية ظهور المسيحيّة. لكن فهمه تعدّل بالطبع عبر الاحتكاك مع الديانات الغريبة، خاصة، كما أشرنا مراراً، حين بدا أنه تماثل مع الشمس، أو تقارب منها على الأقل. ونتيجة لزيادة عدد المؤمنين به في الغرب، أخذت عبادته شكلاً سرّانيّاً، هذا إذا لم تكن السرانيّة جزءاً فعليّاً منها؛ إضافة إلى طقوس الإدخال في الدين، احتفالات التطهير والتكفير وما شابه، من تلك الطقوس المناسبة لعبادة كهذه.

في القرن الأوّل قبل الميلاد، وصلت المثرويّة إلى العالم الروماني، عن طريق القراصنة الكيليكيين، الذين أسرهم بومبي. أمّا زمن أغسطس فالمعرفة بميثرا كانت قليلة في الإقليم الروماني، مع ذلك فقد أحرز وجوداً تدريجيّاً راسخاً في إيطاليا، نتيجة توسّع روما باتجاه آسيا.

ظلّ أرستقراطيّون محليّون يبجّلون ميثرا في الجزء الغربي من الامبراطوريّة الفارسيّة. كما كان يعبده الملوك والنبلاء في المناطق

الحدوديّة الواقعة بين العالم الروماني -الإغريقي من جهة، والعالم الفارسي من جهة أخرى. وحين أقرّ تيريداتوس الأرمني بالسيادة المطلقة للإمبراطور الروماني نيرون، أدّى طقساً ميثرويّاً، مشيراً بذلك إلى أن إله العقود والصداقة وطّد علاقات جيدة بين الأرمن والرومان العظماء. كما كان ملوك كوماجينه، الواقعة جنوب شرق تركيّا الحاليّة، يجلّون ميثرا. ويعتقد أنّ الملك ميثريداتيس البونطوسي كان يعبد ذاك الإله، وأن حلفاءه من القراصنة كانوا يقومون بطقوس ميثرويّة، عام 67 ق. م. لكن عبادة ميثرا لم تلق رواجاً شعبيّاً في العالم الإغريقي قط، لأن الإغريق لم يستطيعوا أن ينسوا قط أن ميثرا هو إله ألدّ أعدائهم الفرس.

لا توجد أيّة إشارة إلى الإله الفارسي في العالم الروماني حتى بداية القرن الميلادي الثاني؛ مع ذلك، فمنذ عام 136 وما بعد، كان ثمّة عدد من النقوش المكرّسة لميثرا. ومع نهاية القرن الثاني بدأت الديانة تنتشر بسرعة في صفوف الجيش وبين طبقات التجّار والعبيد؛ وكانت كلّ تلك الطبقات مكوّنة إلى حدّ كبير من الآسيويين. وازدهرت عبادة ميثرا بشكل خاص في محطّات الجيش، وعلى طرق التجارة؛ كما انتشرت بشكل معتبر في الموانيء. وكان الدليل الأهم على ازدهار الميثرويّة هو ذاك الذي قدّمه ساكنو الحدود من الألمان. ويبدو أنّ روما ذاتها أيضاً كانت مكاناً مفضّلاً للديانة. ومنذ القرن الثاني للميلاد، راح الأباطرة يشجعون على انتشار الميثرويّة، لأنها تدعم الحق الإلهي للملوك. فقد كان الفرس يعتقدون أنّ الملك الشرعي إنما يحكم بنعمة أهورا مزدا،

الذي كان يظهر معروفه بإرسال هفارينو ـ Hvareno ـ أي هالة نار سماويّة ؛ وفي رأيهم أن الشمس هي التي تمنح الهفارينو. من هنا يصبح ميثرا، المتماثل مع سول أنفكتس Sol Invictus، ذاك الذي يعطي السلطة والنصر للبيت الملكي.

استخدمت فرضيّات كثيرة لتفسير انتشار الميثرويّة في العالم الروماني كانت أكثرها قرباً إلى المنطق تلك القائلة إن الميثرويّة الرومانيّة كانت في الواقع عملية خلق جديد، قام به عبقري دين عاش في أواخر القرن الأوّل للميلاد، حيث أعطى الطقوس الفارسيّة القديمة تفسيراً أفلاطونيّاً جديداً مكّن الميثرويّة من الانتشار في العالم الروماني. ونعيد من جديد، إن الميثرويّة الرومانيّة، كالميثرويّة الإيرانيّة، كانت ديانة الولاء للملك. لذلك يبدو أنها شُجّعت من قبل بعض الملوك، خاصّة كوموس (180 - 192)، سبتمس سيفروس (193 - 211)، وكركلاّ (211 – 217). أمّا الموالون الذين عرفناهم من النقوش الميثرويّة، الذين كانوا من الجماعات المقرّبة من الملوك عموماً، فقد كانوا أشخاصاً يؤمنون بإله يمكن أن يوصلهم إلى ترقية سريعة.

راحت أسرار الميثرويّة، التي انتشرت بين نهاية القرن الأوّل والقرن الرابع، تموت تدريجيّاً. وكان أقصى امتداد لها عند منتصف القرن الثالث. في إيطاليا، نجد الدليل المحسوس على انتشار الميثرويّة في الأماكن التالية: روما، أوستيا، Latium Etraia، كامبانيا، Cisalpine Gaul ؛ مع ذلك، يمكن لمراكز أخرى أن تبقى في الذاكرة: أكيليا ؛ موانيء صقليّة الرئيسة: باليرمو، سراقوسة، وكتانيا ؛ كذلك

فقد انتشرت الديانة الميثرويّة أيضاً على تخوم الراين ؛ في النمسا وألمانيا ؛ في الأقاليم الدانوبيّة : بانيا ، ميسا ، داشا ؛ في فرنسا : دالماتا ، وادي الرون وأكيتانيا ؛ تراشا ؛ بلجيكا ؛ في انجلترا : في لندن وفي الشمال في هارديان ؛ في شبه جزيرة إيبريا ومقدونية كان انتشار الأسرار أقل ؛ لكن أثرها لم يكن موجوداً في اليونان. تظهر لنا بعض الأدلّة عن وجود للديانة على طول سواحل المتوسط الآسيويّة والإفريقيّة : لكن حضورها كان محصوراً في الموانيء البحريّة الكبيرة ، خاصة في الأقاليم الآسيويّة.

عام 275 م. بدأ سقوط الميثرويّة ، مع ضياع اقليم داشا Dacia من الامبراطوريّة الرومانيّة. وكان للاضطهاد المسيحي للميثرويين دوره في إسقاط تلك الديانة. وظل أباطرة الرومان يفضّلون الميثرويّة ، التي كان الجيش يعتنقها ، حتى قضى قسطنطين على كلّ الآمال. لكن حكم جوليانوس واغتصاب أيوجينوس للعرش أعاد بعض الحياة إلى الآمال الميثرويّة ، وجاء انتصار ثيودوسيوس ، عام 394 ، ليحبط تلك الآمال نهائيّاً. وظلّت الميثرويّة على قيد الحياة في بعض مناطق الألب حتى القرن الخامس الميلادي ، وكان تمسّكها بالحياة أكثر في موطنها الآسيوي.

الميثولوجيا واللاهوت في الميثرويّة :

خلقُ العالم هو الموضوعة المركزيّة في الميثولوجيا الميثرويّة. فوفقاً للأساطير ، يرسل إله الشمس رسوله ، الغراب ، إلى ميثرا ويأمره أن يضحّي بثور. ينفّذ ميثرا الأمر ليس دون تردّد ؛ وفي نقوش كثيرة يظهر

ميثرا وهو يشيح بوجهه حزيناً، عندما ينفّذ أمر التضحية بهذا الثور. لكن في لحظة موت الثور، تحدث معجزة عظيمة. فالثور الأبيض يتحوّل إلى القمر؛ وعباءة ميثرا تتحوّل إلى قبة سماء، تحتوي كواكب منيرة ونجوماً ثابتة؛ ومن ذيل الثور ودمه تخرج أولى سنابل القمح والعنب؛ ومن أعضائه التناسليّة تسيل البذور المقدّسة التي يتم تلقيها في أحد الأوعية. ومن مزيج هذه البذور المقدّسة تمّ تشكيل أوّل مخلوق على وجه المعمورة. وإحدى التراتيل الميثرويّة تبدأ بجملة: "أنت افتديتنا بإراقة الدماء". بدأ الليل والنهار متناوبين، ثم بدأت القمر ـ يعتبر القمر أنثى في الميثولوجيا الميثرويّة ـ دورتها الشهريّة؛ وراحت الفصول تتوالى عبر السنة، وخلق بالتالي الزمان. لكن مخلوقات الظلمة، التي أزعجها النور المفاجيء، تخرج من الأرض، فتلعق أفعى دم الثور، ويحاول عقرب امتصاص البذور المقدّسة من أعضائه التناسليّة. وعلى النقوش التي بين أيدينا، غالباً ما يظهر أحد الأسود. بموت الثور وخلق العالم، يبدأ الصراع بين الخير والشرّ: وهكذا هي حياة الإنسان. الغراب يمثّل الهواء، والأفعى التراب، والأسد النار، والوعاء الماء. من هنا يبرز إلى الوجود عناصر أربعة: الهواء والنار والماء والتراب، التي تخلق منها الأشياء كلّها. بعد تقديم الأضحية، يظهر ميثرا وإله الشمس في الأسطورة الميثرويّة وهما يتناولان معاً الطعام، إذ يأكلان اللحم والخبز ويشربان الخمر. من ثمّ يركب ميثرا عربة إله الشمس، يسوقها عبر المحيط، داخل الأثير، حتى نهاية العالم.

أعاد الميثرويّون الرومان تفسير الأسطورة وفق مصطلحات الفلسفة الأفلاطونيّة. فالتضحية تحدث في مغارة، والتي تعتبر صورة للعالم؛ والمسألة تشبيه بلاغي للمغارة في جمهوريّة أفلاطون. أما تيماوس فيساوي بين ميثرا والخالق. ومثل وسيط الخلق عند أفلاطون، يدعى ميثرا وسيط خلق كلّ الأشياء. كما يعرف تيماوس جيّداً قضايا العناصر الأربعة، الوعاء، خلق الزمان، وهجوم الحيوانات الشريّرة على الكائن الجديد. ومذهب الروح الميثروي مرتبط للغاية مع فلسفة أفلاطون وأسطورة الخلق عنده. وكما عند تيماوس، فروح الإنسان تنزل من السماء. فتعبر عوالم كواكب سبعة، لتستحوذ على الجسد في نهاية الأمر. أمّا واجب الإنسان فهو تحرير الجزء الإلهي، أي النفس، من قيود الجسد وتصفيته عبر امراره بالكواكب السبعة نحو عالم النجوم الثابتة الخالد، الذي لا تبديل له. وكان ميثرا ذاته قد قدّم سلفاً أمثولة الصعود إلى السماء، وذلك حين غادر الأرض في عربة إله الشمس.

تستند معرفتنا الحاليّة بالميثرويّة على مابين أيدينا من فيدا، أفستا، كتابات بهلويّة، والتماثيل المعبّرة عن الديانة. والأخيرة تشمل بضع مئات من المنحوتات، إضافة إلى معابد كثيرة، هي مغارات ما تحت أرضيّة، أو أبنية تحاكي المغارات في أسلوبها المعماري. ويتراوح معدّل استيعاب المعبد بين خمسين ومئة شخص.

ثمّة تصوير أنموذجي أساسي، متواجد بوفرة هائلة في متاحف أوروبا، يمثّل على الدوام ميثرا، بهيئة شاب يرتدي قبعة مخروطيّة

الشكل وثياباً متطايرة، وهو يقوم بذبح الثور المقدّس، وفي التصوير نلمح أيضاً عقرباً، يهاجم كما سبق وأشرنا أعضاء الحيوان التناسليّة، وأفعى تشرب من دمه، وكلباً يقفز نحو جرح في خاصرته. كذلك غالباً ما نصادف في التصوير إله الشمس، ورسوله الغراب، شجرة تين، أسداً، إبريقاً، وحملة مشاعل. وفي بعض النماذج يحيط بالنقش إطار من أشخاص ومشاهد نجدها في النقش ذاته. وكان كومونت قد صنّف النقوش الصغيرة إلى نوعين: الأوّل، غير محدّد الزمن، أو أرفان أكارنا، ويدعى باليونانيّة: Κρδçος يتطابق هذا النوع من النقوش عند منظّري تلك الأيام مع ما يسمّى باليونانيّة χρδνος؛ وهو ما يطلق عليه باللاتينيّة Saturnus.

تظهر إحدى مجموعات النقوش أهورا مزدا والصاعقة، رمز القوّة، بين يديه؛ مجموعة أخرى تصوّر لنا عيد ميلاد ميثرا. وهنا نرى الإله عار، يقطف فواكه وأوراق من على شجرة تين فيها الجزء العلوي من الألوهة؛ وأمامها تهبّ الريح على ميثرا؛ يطلق الإله سهماً على صخرة، فيتفجّر منها نبع ماء؛ نرى الثور في قارب صغير، ثمّ يصوّر بعد ذلك وهو موشك أن تُشعل فيه النيران من قبل شخصين؛ يهرب الثور، ويطارده ميثرا؛ يحمل ميثرا الثور على كتفيه؛ يركع هيليوس أمام ميثرا؛ تتشابك أيادي ميثرا وهيليوس فوق مذبح؛ يحمل ميثرا قوساً ويركب جواداً؛ يتناول ميثرا وهيليوس الطعام من وليمة مشتركة؛ وأخيراً يركب ميثرا وهيليوس عربة الأخير ويجوبان المحيط – هذا ما تناقلته لنا نقوش أسطورة ميثرا.

دون تلك النقوش لم يكن باستطاعتنا استعادة بعض أسطورة ميثرا، التي يمكن القول إن معظمها ضاع. من تفاصيل تلك الأسطورة نعرف، أنّ ميثرا ولد من صخرة، ولم ير تلك الأعجوبة غير بضع رعاة، جاءوا يحملون إليه الهدايا، وكانوا يحبّونه إلى درجة العبادة. وبعدما عملت الريح على تبريده، ذهب الإله حديث الولادة إلى شجرة تين، فأكل من فاكهتها، وألبس نفسه أوراقها. بعدها راح يقهر كائنات هذا العالم، واحداً بعد آخر. كان الشمس ـ الشمس هنا مذكّر ـ أوّل ما التقى به ميثرا، وانتهى الإثنان إلى معاهدة صداقة. من ثمّ، قام ميثرا بأسر الثور المقدّس الذي خلقه أهورا مزدا. وبأمر من الشمس، الذي أرسل رسوله الغراب، ضحّى ميثرا ـ متردّداً ـ بالثور. ومن الحيوان، الذي مات رغم إرسال أهريمان رسله لحمايته، خرجت حياة الأرض. ارتفعت روح الثور إلى الكواكب السماويّة، وأضحت الروح الحارسة للمحاصيل والماشية، والتي سميّت سلفانوس Silvanus. وبهذا العمل، كان ميثرا خالق الحياة. أثناء ذلك، يرسل أهريمان جفافاً مخيفاً إلى الأرض. لكن ميثرا يحبط هدفه عن طريق إرسال سهم على صخرة، واستجرار المياه منها. من جديد، يعود أهريمان لإرسال طوفان، لا ينجو منه غير رجل بمفرده يركب مع ماشيته أحد القوارب. وأخيراً تحاصر النار الأرض، ولا ينجو منه غير خليقة أهورا مزدا. وبعد أن ينتهي ميثرا من عمله، يتناول مع الشمس وجبة طعام للمرّة الأخيرة؛ وكما أشرنا من قبل، يأخذه الشمس في عربته إلى مثوى الخالدين، حيث يواصل من هناك حماية المؤمنين.

المعابد الميثرويّة:

كما أشرنا مراراً، فإنّ أغلب ما بين أيدينا من شواهد بشأن الميثرويّة كانت أركيولوجيّة، ومعلوماتنا عنها استندت أساساً إلى تحليلنا للنقوش والأوابد. وهكذا، فإن عالم الميثرويّة الكبير، فرانز كمونت، حاول إعادة بناء ميثولوجيا تلك الديانة ولاهوتها ونظرتها إلى الكون واسكاتولوجيتها وطقوسها، معتمداً في عمله أوّلاً على تلك التصاوير الناتئة التي ظلّت محفوظة في الميثرايوم Methraeum – فما هو الميثرايوم؟

إنه أحد أنواع المعابد، المخصّص لاجتماع أتباع الميثرويّة. ولأن جزءاً منه كان تحت الأرض، فقد بدا كنسخة طبق الأصل عن تلك المغارة التي أمسك فيها ميثرا بالعجل السرّاني وقتله. من الناحية الشكليّة، كان المعبد مستطيلاً، طويلاً، واضح المعالم، فيه مقاعد جانبيّة مبنيّة من القرميد، كان أتباع الميثرويّة يجلسون عليها في الاحتفالات الطقسيّة، ومن هناك ينظرون إلى صورة ميثرا الموجودة في كوّة خاصّة عند نهاية سرارة المعبد. وغالباً ما نجد مذبحاً أمام الصورة. على السقف، تطالعنا صورة لقبّة السماء المرصّعة بالنجوم. ولأن من المفترض أنّ هذا المعبد ـ الكهف تمثيل للكون، فهو يحتوي إشارات إلى النجوم والنباتات. يلعب الماء دوراً تطهيريّاً في الميثرويّة، فقرب كلّ معبد، لابدّ من وجود نبع ماء طبيعي أو اصطناعي. وفي أغلب الأحيان، تحيط بالمعبد -الكهف غرف أخرى، قد تكون مخصّصة لطقوس الإدخال في الديانة، أو أنها مجرّد معابد صغيرة الحجم. وكان

العرف السائد يقتضي أن يكون الدخول إلى تلك الأمكنة من ممرّ خارجي. من الصفات الإضافيّة التي تميّزت بها تلك المعابد ـ الكهوف عن غيرها من المعابد الأخرى المكرّسة لآلهة الديانات الشعبيّة: حجمها المتواضع! ـ إضافة إلى كونها غير عاديّة ومختلفة عن أية معابد غيرها. وعادة ما يقوم بالخدمة في المعبد، حيث تصل الصلوات إلى قمتها في وليمة يشترك بها الجميع، جماعة صغيرة، مؤلّفة من بضع عشرات من الأشخاص. وتتمّ كل الطقوس الاحتفاليّة في المعبد تحت نور اصطناعي. والديانة مقصورة على الذكور، ولا يبدو أنها كانت تتضمّن درجات كهنوتيّة.

كانت المعابد ـ الكهوف الميثرويّة مزدانة بنقوش ورسوم تصويريّة من الجص؛ إضافة إلى تماثيل لآلهة نافذين وتماثيل لآلهة الكواكب. قرب المقاعد العريضة كان هنالك على الجانبين ممرّان ضيّقان. وعلى المقاعد يصادفنا المؤمنون، إمّا راكعين أو في وضعيّة الاتكاء. وعند أحد طرفي الممر كان هنالك على الدوام نقش أو تصوير يمثّل التضحية بالثور. لكن النقش كان يتحوّل أحياناً إلى تمثال دوّار، تمثّل خلفيته الوليمة التي كانت بين ميثرا وإله الشمس. وفي حين أنّه من غير المحتمل أن يكون الاحتفال الطقسي المتمثّل بتقديم أحد الثيران قرباناً يُنفّذ على الدوام، فإن الوليمة التي يشارك بها الجميع والتي تُقام في احتفالات الإدخال في الدين الطقسيّة كانت سمة نظاميّة في الديانة الميثرويّة. مع ذلك، فطقس التضحية بالثور الاحتفالي هو أحد أهم الاحتفالات الميثرويّة. لكننا لا نعرف ما إذا كان هذا النمط من الاحتفالات الطقسيّة

كان قبل زرادشت أم بعده. بالمناسبة، فقد شجب زرادشت هذا النوع من الأضاحي؛ من هنا، يبدو أن هذا الاحتفال الطقسي جزء من وثنيّة إيرانيّة قديمة. وهذه النتيجة تعزّزها وثيقة هندوسيّة تظهر ميثرا وهو يشارك متردّداً في التضحية بإله يدعى سوما؛ وهذا الإله يظهر على شكل قمر أو ثور أبيض. وفي النصب الرومانيّة، نجد ميثرا يضحّي متردّداً بالثور الأبيض، الذي يتحوّل إلى القمر. ويبدو هذا التفصيل المرافق للوحة وكأنه يثبت أن طقس التضحية بالثور الاحتفالي يرجع إلى زمن ما قبل زرادشتي. وبما أن العقود والقرابين مرتبطة ببعضها، فقد كانت المعاهدات قديماً، تكرّس بوليمة يشارك فيها الجميع.

مبادىء الإدخال في الميثرويّة وطقوسه:

بالإشارة إلى الطقوس الميثرويّة، فقد حفظت لنا مؤلّفات القديس إيرينيموس ومخطوطات غيرها، حقيقة أن الصوفي أو السرّاني (mystic أو Sacratus) الميثروي، يمرّ في سبع درجات أو مراحل، إذا ما أراد الدخول في الديانة، ربما تكون إشارة إلى الكواكب السبعة التي تعبرها الروح أثناء صعودها. ووفقاً لتدرّجها، تسمّى هذه المراحل كما يلي: الغراب أو Corax؛ العريس أو Nymphus (وردت في مراجع أخرى: العروس؛ وأحياناً يقال: المخبأ)؛ الجندي أو Miles، ويرمز إلى الجهاد ضدّ الشر خدمة للآلهة؛ الأسد أو Leo، ويرمز لعنصر النار؛ الفارسي أو Peres، ويمكن مقارنته بمفهوم إسرائيل أو صهيون عند المسيحيين؛ رسول الشمس Heliodramus، وهو رسول من الشمس وإليه؛ وفي

مراجع أخرى يقال إنه الشمس ذاته ؛ والأب أو Pater ، وهي درجة تدخل الصوفي في عداد أولئك الذين يمكنهم توجيه الديانة حتى نهاية حياتهم. وهذا هو الترتيب الروماني للميثروية.

Bibliography:

- Michael Back, *Die Sassanidischen Staatsinschriften: Studien zur Orthographie und Phonologie des Mittelpersischen der Inschriften,* Acta Iranica 18, Leiden, 1978.
- Émile Benveniste, *The Persian Religion According to the Chief Greek Texts*, Paris, 1929.
- Idem, *Les Mages dans l'Ancien Iran*, Paris, 1938.
- Elias J. Bickerman and Hayim Tadmor, "Darius I, Pseudo-Smerdis, and Magi," *Athenaeum* 56, 1978, pp. 239-61.
- Joseph Bidez and Franz Valery Cumont, *Les Mages hellénisés: Zoroastre, Ostanès et Hystaspe d'après la tradition greque*, 2 vols., Paris, 1938.
- D. H. Bivar, "A Parthian Amulet," *BSOAS* 30, 1967, pp. 518-25.
- Raymond A. Bowman, *Aramaic Ritual Texts from Persepolis*, Chicago, 1970.
- Mary Boyce, *Zoroastrians: Their Religious Beliefs and Practices*, London, 1979.
- Idem, *A History of Zoroastrianism* II, Leiden, 1982.
- George G. Cameron, *Persepolis Treasury Tablets*, Chicago, 1948.
- Albert Tobias Clay, *Neo-Babylonian Letters from Erech*, Yale Oriental Series 3, New Haven, 1919.
- Franz V. M. Cumont, *The Oriental Religions in Roman Paganism*, New York, 1956.
- Muhammad A. Dandamayev, "The Ebabbar Temple and Iranian Magi," *Altorientalische Forschungen* 22, 1995, pp. 34-36.
- Muhammad A. Dandamayev and Vladimir A. Livshits, "Zattumēšu: A Magus in Babylonia," in Werner Sunderman, Jacques Duchesne-Guillemin, and Fereydun Vahman, eds., *A Green Leaf: Papers in Honour of Professor Jes P. Asmussen*, Acta Iranica 28, Leiden, 1988, pp. 457-59.
- Igor Mikhaĭlovich D'yakonov (Diakonoff), *Istoriya Midii* (History of Media), Moscow and Leningrad, 1956; tr. Karim Kešāvarz, as *Tārīḵ-e Mād*, Tehran, 1966. I. M.

Diakonoff and V. A. Livshits, *Parthian Economic Documents from Nisa. Texts* I, Corp. Inscr. Iran., part 2, vol. 2, London, 2001.

- Jacques Duchesne-Guillemin, "Die Magier in Bethlehem und Mithras als Erlöser," *ZDMG* 111, 1961, pp. 469-75.
- Idem, "Fire in Iran and Greece," *East and West* 13, 1962, pp. 198-206.
- Idem, "La religion des Achémenides," in Gerold Walser, ed., *Beiträge zur Achämenidengeschichte*, Historia: Einzelschriften 18, Wiesbaden, 1972, pp. 59-82. Idem, "Le dieu de Cyrus," Acta Iranica 3, Leiden 1974, pp. 11-21.
- Richard N. Frye, *The Heritage of Persia*, London, 1962.
- Idem, "The Institutions," in Gerold Walser, ed., *Beiträge zur Achämenidengeschichte*, Historia: Einzelschriften 18, Wiesbaden, 1972, pp. 83-93. Ilya Gershevitch, "Zoroaster's Own Contribution," *JNES* 23, 1964, pp. 12-38.
- Idem, "Iranian Nouns and Names in Elamite Garb," *Transactions of the Philological Society*, 1969a, pp. 165-200.
- Idem, "Amber at Persepolis," in *Studia Classica et Orientalia Antonino Pagliaro Oblata*, 3 vols., Rome, 1969b, II, pp. 167-251.
- Phillipe Gignoux, *Catalogue des sceaux, camées et belles Sasanides de la Bibliothèque Nationale et du Museé du Louvre* II: *les sceaux et bulles inscrits*, Paris, 1978.
- Gherardo Gnoli, *Zoroaster's Time and Homeland: A Study on the Origins of Mazdeism and Related Problems*, Naples, 1980.
- Idem, *Zoroaster in History*, New York, 2000.
- F. Grillot-Susini, C. Herrenschmidt, and F. Malbran-Labat, "La version élamite de la trilingue de Behistun: une nouvelle lecture," *JA* 281, 1993, pp. 19-59.
- Richard T. Hallock, *Persepolis Fortification Tablets*, Chicago, 1969.
- Johanes Hertel, *Die Zeit Zoroasters*, Leipzig, 1924.
- Ernst Herzfeld, *The Persian Empire: Studies in Geography and Ethnography of the Ancient Near East*, Wiesbaden, 1968.
- H. V. Hilprecht and Rev. A. T. Clay, eds., *The Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania, Series*

A: Cuneiform Texts IX. *Business Documents of Murashû sons of Nippur Dated in the Reign of Artaxerxes I. (464-424 B. C.)*, Philadelphia, 1898.

- Walther Hinz, "Die elamischen Buchungstäfelchen der Darius-Zeit," *Orientalia* 39, 1970, pp. 421-40.
- Georg Hüsing, *Der Mazdaismus*, Vienna, 1935.
- Clarence Elwood Keiser, ed., *Babylonian Inscriptions in the Collection of J. B. Niesl*, New Haven, 1917.
- Heidemarie Koch, *Die Religiösen Verhältnisse der Dareioszeit: Untersuchungen an Hand der elamischen Persepolistäfelchen*, Wiesbaden, 1977.
- Emil C. Kraeling, *The Brooklyn Museum Aramaic Papyri: New Documents of the Fifth Century B.C. from the Jewish Colony at Elephantine*, New Haven, 1953.
- Vladimir A. Livshits, "New Parthian Documents from South Turkmenistan," *Acta Antiqua Academiae Scientiarum Hungaricae* 25, 1977, pp. 157-85.
- Gilbert J. P. McEwan, ed., *Late Babylonian Texts in the Ashmolean Museum*, ed., Oxford Editions of Cuneiform Texts X, Oxford, 1984.
- Giuseppe Messina, *Der Ursprung der Magier und die Zarathustrische Religion*, Rome, 1930.
- Henrik S. Nyberg, *Die Religionen des alten Iran*, Mitteilungen der Vorderasiatisch-aegyptischen Gesellschaft 43, Leipzig, 1938.
- M. Papathcophances, "Heraclitus of Ephesus, the Magi and Achaemenids," *Iranica Antiqua* 20, 1985, pp. 101-61.
- Shahrokh Razmjou, "The *lan* Ceremony and Other Ritual Ceremonies in the Achaemenid Period: The Persepolis Fortification Tablets," *Iran* 42, 2004, pp. 103-17.
- Jenny Rose, *The Image of Zoroaster: The Persian Mage Through European Eyes*, New York, 2000.
- Erich Frierich Schmidt, *Persepolis* II: *Contents of the Treasury and Other Discoveries*, Chicago, 1957.
- Rüdiger Schmitt, *The Bisitun Inscriptions of Darius the Great: Old Persian Text*, Inscriptions of Ancient Iran: The Old Persian Inscriptions, Texts 1, Corp. Inscr. Iran, part 1/1, Texts 1. London, 1991.

- Elizabeth N. von Voigtlander, *The Bisitun Inscription of Darius the Great: Babylonian Version*, Corp. Inscr. Iran. part. 1/2, Text 1, London, 1978.
- *Vorderasiatische Schriftdenkmäler der Königlichen Museen zu Berlin* III, Berlin, 1907.
- Robert C. Zaehner, *The Dawn and Twilight of Zoroastrianism*, London, 1961.

خلال تاريخ الأديان، تواجدت أنواع ودرجات اعتقادات بمختلف الكائنات والقوى والمبادئ الروحية التي تتوسط بين العالم المقدس أو القدسي – أي، العالم المتسامي - والعالم الدنيوي للزمان والمكان، العلّة والمعلول. وعادة ما تسمى هذه الكائنات الروحية عندما ينظر إليها على أنها خيرة بالملائكة في الأديان الإبراهيمية؛ وأولئك الذين يُنظر إليهم على أنهم "أشرار" يُطلق عليهم الاسم "شياطين". في الديانات الأخرى - الشرقية، القديمة، وغير المتعلمة - هذه الكائنات الوسيطة أقل حسماً في تصنيفها، لأنها قد تكون خيرة في بعض الظروف وشريرة في أخرى.

في الزرادشتية كان هناك اعتقاد بمجموعة الأميشا سبندا أو سبنتا amesha spendas ، أو الخالدون المقدسة أو الخيّرون، الذين كانوا سمات وظيفية أو كيانات لأهورا مزدا Ahura Mazdā، الرب الحكيم. أحد الأميشا سبنتا، وهو فوهو ماناه (العقل الخيّر)، كشف للنبي الإيراني زرادشت (القرن السادس قبل الميلاد؟) عن الإله الحقيقي، طبيعته، وعن نوع من الميثاق الأخلاقي، الذي قد يقبله الإنسان ويطيعه أو يرفضه ويعصيه. وعلى نحو مماثل، بعد حوالي 1200 سنة، كشف الملاك جبريل (المرسل من الله) للنبي محمد (القرنان 6 - 7 م) عن القرآن (الكتاب الإسلامي المقدّس) وعن الإله الحقيقي (الله)، وحدانيته، والمتطلبات الأخلاقية والعبادية للإسلام. الصفات المستخدمة لوصف جبريل، رسول الله - "روح القداسة" و"الروح المخلصة" - مشابهة لتلك التي تطلق على الأميشا سبنتا الزرادشتية والأقنوم الثالث من الثالوث (الآب والابن والقدس الروح) في المسيحية. في هذه الديانات التوحيدية (على الرغم من أن الزرادشتية أصبحت ثنوية في وقت لاحق وفي اعتقادنا أن الإسلام واليهودية، رغم الزعم بالتوحيد، كما أشرنا من قبل، يبدو طابعهما الثنوي واضحاً للغاية) كما هو الحال في اليهودية، فإن الخصائص الوظيفية للملائكة يتم التعبير عنها بوضوح أكثر من خصائصها الأنطولوجية (أو طبيعة الكينونة) – عدا في الحالات الكثيرة التي يتم فيها طغيان التقوى والأسطورة الشعبيتين على الجوانب الوظيفية.

أبكالو